وقائع

بحوث المؤتمر العلمي الرابع

لإحياء تراث أمير المؤمنين عليه السلام

المنعقد تحت عنوان

التربية وبناء الإنسان في تراث الإمام علي

في ضوء التحديات المعاصرة

- الجزء الأول -

للمدة ٧ـ٨ / تشرين الثاني / ٢٠٢٥ م

الموافق ١٥ ـ١٦ / جمادى الاولى ١٤٤٧هـ



العنوان: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الرابع لإحـــياء تراث أمـير المؤمنـين عليه السلام

-الجزء الأول-

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية

مركز المرايا للدراسات والاعلام

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الإدارة الفنيـــة: م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: احمد محسن الحسينيّ

عدد النسخ: ٢٥٠

تاريخ الاصدار: ١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦ م

ISBN:9789922264448

وقائع بحوث المؤتمر العلمي الرابع لإحياء تراث أمير المؤمنين عليه السلام : المنعقد تحت عنوان التربية وبناء الانسان في تراث الامام علي في ضوء التحديات المعاصرة.-الطبعة الأولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، 1448 هـ. = 2026.
مجلد ؛ 24 سم.
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
ISBN : 9789922264448
1. علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، 23 قبل الهجرة-40 هجري -- مؤتمرات. 2. التربية الاسلامية (شيعة) -- مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193.1.A3 W37 2026 VOL. 04 PT. 01
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

٩٥٦،٠٦
م ٦٨٨ المؤتمر العلمي (٤ : ٢٠٢٦ : جمعية العميد العلمية والفكرية)
وقائع المؤتمر العلمي الرابع لجمعية العميد العلمية والفكرية - كربلاء : احياء تراث امير المؤمنين (ع) / المؤتمر:- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦
مج١ (٣٠٤ ص ؛ ٢٤ سم)
١.التاريخ الاسلامي - مؤتمرات أ- علي بن ابي طالب (ع) - الامام الأول ب - العنوان
رقم الايداع
٥٩٨٩/ ٢٠٢٦

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٩٨٩) لسنة ٢٠٢٦





سورة المائدة: ٥٥

الجـــــــــــزء الأول		
١١	الإمام علي عليه السلام والمفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير	**الشيخ حسين محسن علي التميمي** العتبة العباسيَّة المقدَّسة
٤١	التوازن التربوي بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام	**الشيخ عبد الغني إبراهيم جابر** مركز أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصيَّة
٨٣	دراسة في ضوء المنهج التربوي للإمام عليّ عليه السلام	**أ.د. صالح عبد حسن الطائي**
١١٣	المضامين التربويَّة والاجتماعيَّة في ارشادات الإمام علي عليه السلام للرعيَّة	**أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي** **أ.د. عبد القادر عزيز أحمد الحيالي** كليَّة التربية / الجامعة العراقيَّة
١٥١	مفهوم الأسرة في فكر الإمام علي عليه السلام دراسة تحليليَّة	**م.م. زهراء فرحان عباس** مديريَّة تربية الكرخ الثالثة **أ.د. ساجد صبري نعمان** الجامعة العراقيَّة / كليَّة العلوم الإسلاميَّة / قسم الأديان

١٨١	أثر العلم في التربية الأسريَّة الصالحة (منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنموذجًا)	**أ.د. حيدر عبد الحسين زوين** جامعة الكوفة / كلية الآداب
٢٠١	القيم الإنسانيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام	**أ.د. عهود حسين جبر** جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة
٢٢٣	التربية الأسريَّة في تراث آل البيت عليهم السلام وصيَّة الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام أنموذجًا	**أ.م.د. غصون مزهر حسين** الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب
٢٤٧	المَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ فِي فِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)	**أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلاوي** جامعة الشيخ الطوسي / كلية التربية **أ.م.د. كريم عبد حمزة الكلابي** جامعة الشيخ الطوسي / كليَّة التربية / قسم علوم القرآن
٢٨١	بناء الإنسان في الاتجاهات التنموية؛ قراءة نقدية للمقاربات التنموية وتحدياتها في تراث أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام	**أ.م.د. مسلم طاهري** جامعة طهران – مجمع الفارابي / كلية الإلهيات/ إيران

كلمة الجمعية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَىٰ مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُورًا لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَأُمَنَاءِ الْفَضِيلَةِ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمْ نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ ضَلَّ وَهَوَىٰ.

يَعْتَرِكُ الْعَالَمَ الْمُعَاصِرَ تَحَوُّلَاتٌ بِنْيَوِيَّةٌ مُتَسَارِعَةٌ أَفْرَزَتْهَا عَجَلَاتُ الْعَوْلَمَةِ، وَمَا تَبِعَهَا مِنْ ثَوْرَةٍ رَقْمِيَّةٍ انْتَهَكَتِ الْحُدُودَ، وَأَضْحَتْ عَابِرَةً لِلثَّقَافَاتِ وَالْخُصُوصِيَّاتِ؛ مِمَّا جَعَلَهَا مُهَدِّدًا حَقِيقِيًّا لِلْهُوِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا حَقَّقَتْهُ هٰذِهِ التَّحَوُّلَاتُ مِنْ تَقَدُّمٍ مَادِّيٍّ وَتِكْنُولُوجِيٍّ، إِلَّا أَنَّهَا أَوْقَعَتْ إِنْسَانَ الْعَصْرِ فِي أَزْمَةِ وُجُودٍ، وَتَشَتُّتٍ فِي الْهُوِيَّةِ، وَفِقْدَانٍ لِلِانْتِمَاءِ؛ فَغَدَا الْفِكْرُ الْإِنْسَانِيُّ وَالتَّرْبَوِيُّ الْمُعَاصِرُ يَبْحَثُ جَاهِدًا عَنْ نَمَاذِجَ أَصِيلَةٍ يُعِيدُ فِي ضَوْئِهَا صِيَاغَةَ الْبِنْيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَيَسْتَعِيدُ بِهَا التَّوَازُنَ الْمَفْقُودَ بَيْنَ مُوَاكَبَةِ التَّطَوُّرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ أُصُولِ الْهُوِيَّةِ وَالْوِجْدَانِ.

وَفِي ظِلِّ هٰذِهِ الْحَاجَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْمُلِحَّةِ، اِنْبَرَى مَرْكَزُ الْمَرَايَا لِلدِّرَاسَاتِ وَالْإِعْلَامِ، وَبِرِعَايَةِ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَبِالتَّعَاوُنِ مَعَ جَمْعِيَّةِ الْعَمِيدِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، وَأَمَانَةِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ الْمُعَظَّمِ، وَجَامِعَةِ الْكَفِيلِ، وَجَامِعَةِ الْعَمِيدِ، وَجَامِعَةِ الْكُوفَةِ كُلِّيَّةِ الْآدَابِ، وَمَرْكَزِ دِرَاسَاتِ الْكُوفَةِ، وَاتِّحَادِ الْأُدَبَاءِ وَالْكُتَّابِ فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ؛ لِتُشَكِّلَ اسْتِجَابَةً وَاعِيَةً لِهٰذِهِ التَّحَدِّيَاتِ؛ فَكَانَ عَقْدُ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الرَّابِعِ لِإِحْيَاءِ تُرَاثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، الْمَوْسُومِ بِـ **"التَّرْبِيَةُ وَبِنَاءُ الْإِنْسَانِ فِي تُرَاثِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي ضَوْءِ التَّحَدِّيَاتِ الْمُعَاصِرَةِ"**، وَيَنْطَلِقُ هٰذَا الْمُحْفِلُ مِنْ رُؤْيَةٍ بَحْثِيَّةٍ تَرْتَكِزُ عَلَىٰ مِحْوَرِ أَسَاسٍ؛ مَفَادُهُ أَنَّ الْفِكْرَ الْعَلَوِيَّ الشَّرِيفَ — بِمَا يَكْتَنِزُهُ مِنْ قِيَمٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وَعَقَائِدِيَّةٍ، وَأَخْلَاقِيَّةٍ، وَتَشْرِيعِيَّةٍ — لَا يُمَثِّلُ مُجَرَّدَ مَوْرُوثٍ تَارِيخِيٍّ

يُسْتَذْكَرُ فِي حَيِّزِ الْمَاضِي، بَلْ يَطْرَحُ مَشْرُوعًا تَنْمَوِيًّا مُتَكَامِلًا لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى وفْقِ الرُّؤْيَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِخَالِقِ الْكَوْنِ. وَبِذَلِكَ، يَتَجَاوَزُ هَذَا الْفِكْرُ حُدُودَ الْبِيئَةِ الضَّيِّقَةِ أَوِ الْحُقْبَةِ الزَّمَنِيَّةِ الْمُعَيَّنَةِ، لِيَكُونَ بِنَاءً مَعْرِفِيًّا وَتَرْبَوِيًّا صَالِحًا لِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ وَتَأْصِيلِ هُوِيَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَالْجَامِعَةِ، بِمَا يَضْمَنُ لَهُ التَّفَاعُلَ الْإِيجَابِيَّ مَعَ الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ مِنْ دُونِ الذَّوَبَانِ فِيهِ أَوِ التَّخَلِّي عَنْ فِطْرَتِهِ.

إِنَّ الْمِيزَةَ الْجَوْهَرِيَّةَ الَّتِي يَتَّسِمُ بِهَا الْمَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ هِيَ التَّكَامُلُ وَالشُّمُولُ؛ فَالتَّكَامُلُ يَكْمُنُ فِي عُمْقِ الرُّؤْيَةِ الْكَوْنِيَّةِ، وَالشُّمُولُ يَتَجَلَّى فِي أَهْدَافِ الِاسْتِدَامَةِ وَتَنْمِيَتِهَا الْمُمْتَدَّةِ. فَالتَّرْبِيَةُ فِي هَذَا التَّصَوُّرِ الشَّرِيفِ لَا تَفْصِلُ الْأَبْعَادَ الْمَادِّيَّةَ عَنِ الرُّوحِيَّةِ، بَلْ تَتَآزَرُ لِتَشْكِيلِ شَخْصِيَّةٍ مُتَوَازِنَةٍ يَنْضَبِطُ فِيهَا الْإِيقَاعُ بَيْنَ "الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ"؛ إِذْ يُمَثِّلُ الْعَقْلُ أَدَاةَ الْفَهْمِ الْعَمِيقِ وَالْمُحَاكَمَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ لِلْمَبَادِئِ وَالْكَوْنِ، بَيْنَمَا يُمَثِّلُ الْقَلْبُ رُوحَ الْعَوَاطِفِ السَّامِيَةِ وَمُنْطَلَقَ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْعِرْفَانِ. هَذَا التَّوَازُنُ التَّرْبَوِيُّ يَقِي الْإِنْسَانَ مِنْ شَطَطِ الْعَقْلَانِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ الْجَافَّةِ، وَيَحْمِيهِ مِنْ عَوَاصِفِ الْعَاطِفَةِ الْعَمْيَاءِ، مُحَقِّقًا عَلَاقَةَ تَآزُرٍ تَجْعَلُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مُرْشِدَةً لِلْوِجْدَانِ، وَمِنَ الْوِجْدَانِ حَارِسًا لِغَايَاتِ الْعِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ.

وَمِنَ الرَّكَائِزِ الْأُخْرَىٰ لِلْمَنْهَجِ الْعَلَوِيِّ التَّلَازُمُ الْوَثِيقُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ فَالْعِلْمُ فِي مَدْرَسَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ تَرَفًا فِكْرِيًّا، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ لِإِحْيَاءِ الضَّمِيرِ، وَإِصْلَاحِ السُّلُوكِ، وَتَهْذِيبِ الْعَقْلِ، لِيَكُونَ أَدَاةً فَاعِلَةً فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَأَمَّا الْعَمَلُ، فَيُؤَكِّدُ ﷺ عَلَىٰ مُلَازَمَتِهِ لِلْمَعْرِفَةِ؛ لِكَيْ يُثْمِرَ نِتَاجُهُ طَيِّبًا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَيَحْفَظَ لَهُ آخِرَتَهُ.

عَلَاوَةً عَلَىٰ ذَلِكَ، يَمْتَدُّ الْمَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ الْعَلَوِيُّ مِنْ نِطَاقِ الْفَرْدِ وَالْأُسْرَةِ وُصُولًا إِلَىٰ الْمُجْتَمَعِ وَالدَّوْلَةِ، وَاضِعًا أُطُرًا مَتِينَةً لِتَحْقِيقِ "الْأَمْنِ الِاجْتِمَاعِيِّ" وَ"التَّنْمِيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُسْتَدَامَةِ". فَالْأَمْنُ فِي الرُّؤْيَةِ الْعَلَوِيَّةِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الزَّجْرِ

وَالِانْضِبَاطِ الْقَانُونِيِّ فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ مَنْظُومَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ مُتَكَامِلَةٌ تَقُومُ عَلَىٰ إِشَاعَةِ التَّكَافُلِ، وَالْعَدَالَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَإِزَالَةِ الْفَوَارِقِ الطَّبَقِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ، جَاعِلًا مِيزَانَ التَّفَاضُلِ الْقَائِمَ عَلَىٰ إِشَاعَةِ الْفَضِيلَةِ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَىٰ.

وَكَذَلِكَ تَتَجَلَّىٰ فِي هٰذَا الْمَنْهَجِ "ثَقَافَةُ الِاحْتِوَاءِ الْفِكْرِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ" بِوَصْفِهِ أَحَدَ أَرْوَعِ مَعَالِمِ الِاسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْعَلَوِيَّةِ فِي إِدَارَةِ الِاخْتِلَافِ؛ إِذْ يَدْعُو الْمَنْهَجُ الْعَلَوِيُّ إِلَىٰ احْتِضَانِ الْآخَرِ الْمُخْتَلِفِ، وَتَفْعِيلِ لُغَةِ الْحِوَارِ وَالْإِقْنَاعِ الْقَائِمِ عَلَىٰ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ، بَدَلًا مِنَ الصِّرَاعِ وَالْإِقْصَاءِ، وُصُولًا إِلَىٰ الْقَاعِدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْخَالِدَةِ" :النَّاسُ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ".

إِنَّ اسْتِدْعَاءَ هٰذِهِ الرَّكَائِزِ الْمَعْرِفِيَّةِ يَكْتَسِبُ الْيَوْمَ صِفَةَ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَىٰ؛ لِمُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ الْمُعَاصِرَةِ وَالْأَزَمَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الرَّاهِنَةِ الَّتِي تَعْصِفُ بِالْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، مِنْ قَبِيلِ الْإِلْحَادِ، وَالْغُلُوِّ، وَالتَّطَرُّفِ، وَالِانْفِلَاتِ الْقِيَمِيِّ، وَتَسَيُّدِ التَّفَاهَةِ، وَالِاغْتِرَابِ الْأُسْرِيِّ، وَالتَّفَكُّكِ الْمُجْتَمَعِيِّ؛ وَهِيَ تَحَدِّيَاتٌ أَفْرَزَتْهَا سَلْبِيَّاتُ الثَّوْرَةِ الرَّقْمِيَّةِ الَّتِي عَجَزَتْ بَعْضُ الْمُجْتَمَعَاتِ عَنْ احْتِوَائِهَا وَتَقْدِيمِ الْبَدِيلِ النَّاجِحِ الْمُتَوَافِقِ مَعَ بِنْيَتِهَا وَفِكْرِهَا؛ لِتَكْتَفِيَ بِأَنْ تَكُونَ مُتَأَثِّرًا بِالْفَاعِلِ الْأَسَاسِ الْمُسَيْطِرِ عَلَىٰ هٰذِهِ الثَّوْرَةِ.

وَبِنَاءً عَلَىٰ هٰذِهِ الْمُعْطَيَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، عَمِلَتْ جَمْعِيَّةُ الْعَمِيدِ الْعِلْمِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ مَعَ شُرَكَائِهَا عَلَىٰ إِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ أَمَامَ الْبَاحِثِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ مِنْ شَتَّىٰ الْجَامِعَاتِ وَالْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ فِي هٰذَا الْمُؤْتَمَرِ الْمُبَارَكِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ التَّرْبَوِيِّ الْعَلَوِيِّ، وَتَحْوِيلِهِ مِنْ إِطَارِهِ النَّظَرِيِّ التَّارِيخِيِّ إِلَىٰ مَشْرُوعٍ عَمَلِيٍّ، وَحَضَارِيٍّ، وَإِنْسَانِيٍّ قَابِلٍ لِلتَّطْبِيقِ فِي الْمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالْخِطَابِ الدِّينِيِّ وَالثَّقَافِيِّ الْمُعَاصِرِ.

إِنَّ الْغَايَةَ الْمُثْلَىٰ لِهٰذَا الْمَحْفَلِ الْعِلْمِيِّ هِيَ تَقْدِيمُ إِسْهَامٍ حَقِيقِيٍّ فِي تَجْدِيدِ الْخِطَابِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتَحْصِينِ الْهُوِيَّةِ الْأَصِيلَةِ، وَصِيَاغَةِ فَلْسَفَةٍ تَرْبَوِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُعَاصِرَةٍ تَسْتَلْهِمُ

مِـنْ تُـرَاثِ أَهْـلِ الْبَيْـتِ ﷺ جُذُورَهَـا وَقِيَمَهَـا؛ لِتُقَـدِّمَ الأَنْمُـوذَجَ الْأَمْثَـلَ لِلْحَـاضِرِ بِتَطْبِيقَاتِـهِ وَوَسَـائِلِهِ، وَتَسْـتَشْرِفَ الْمُسْـتَقْبَلَ بِرُؤْيَـةٍ إِصْلَاحِيَّـةٍ شَـامِلَةٍ.

إِنَّ مُحَصِّلَـةَ مَـا سَـلَفَ تَمَثَّلَـتْ فِي دِرَاسَـاتٍ وَبُحُـوثٍ رَصِينَـةٍ فِي الـتُّرَاثِ التَّرْبَـوِيِّ لِأَمِـيرِ الْمُؤْمِنِـينَ ﷺ، صَالِحَـةٍ لِأَنْ تَكُـونَ مَسَـارَاتٍ إِصْلَاحِيَّـةً فِي وَاقِعِنَـا الْمُعَـاصِرِ؛ وَقَـدْ تَكَفَّـلَ بِهٰـذِهِ الْبُحُـوثِ مَرْكَـزُ النَّـشْرِ فِي جَمْعِيَّـةِ الْعَمِيـدِ الْعِلْمِيَّـةُ وَالْفِكْرِيَّـةُ، فَأَعَـادَ قِرَاءَتَهَـا عِلْمِيًّـا، وَمَعْرِفِيًّـا، وَلُغَوِيًّـا، حَتَّـىٰ وَصَلَـتْ إِلَىٰ مَـا هِـيَ عَلَيْـهِ مِـنْ حُلَّـةٍ قَشِـيبَةٍ؛ لِتَكُـونَ مَسَـارَاتٍ عِلْمِيَّـةً لِانْطِـلَاقِ دِرَاسَـاتٍ أُخْـرَىٰ تُكْمِـلُ الْمَسِـيرَةَ، وَتَسـتَجِيبُ لِحَاجَـاتِ الْمَعْرِفَـةِ الرَّاهِنَـةِ وَتَحَدِّيَاتِهَـا.

وَخِتَامًـا، نَتَوَجَّـهُ بِمَشَـاعِرَ مِلْؤُهَـا الْإِجْـلَالُ وَالِاعْتِـزَازُ، لِنَرْفَـعَ وَافِـرَ الشُّـكْرِ وَأَسْـمَىٰ آيَـاتِ الامْتِنَـانِ إِلَىٰ الْمَقَـامِ الْكَرِيـمِ لِسَـمَاحَةِ الْمُتَـوَلِّي الشَّرْعِـيِّ لِلْعَتَبَـةِ الْعَبَّاسِـيَّةِ الْمُقَدَّسَـةِ السَّـيِّدِ أَحْمَـدَ الصَّـافِيِّ (دَامَ عِـزُّهُ)؛ لِرِعَايَتِـهِ الْأَبَوِيَّـةِ الْفَائِقَـةِ، وَدَعْمِـهِ اللَّامَحْدُودِ لِلْعِلْـمِ وَالْعُلَمَـاءِ، فَنَبْتَهِـلُ إِلَى الْعَلِـيِّ الْقَدِيـرِ أَنْ يَمُـدَّ فِي عُمْـرِهِ الشَّرِيفِ وَيُوَفِّقَـهُ لِمَرَاضِيهِ. وَكَذٰلِـكَ نُقَـدِّمُ كَبِيرَ الشُّـكْرِ وَالامْتِنَـانِ إِلَى اللَّجْنَتَيْنِ الْعِلْمِيَّـةِ وَالتَّحْضِيرِيَّـةِ الْمُوَقَّرَتَيْنِ، عَـلَىٰ مَـا بَذَلَتَـاهُ مِـنْ جُهُـودٍ اسْـتِثنَائِيَّةٍ فِي سَـبِيلِ إِنْجَـاحِ هٰـذَا الْمُؤْتَمَـرِ الْمُبَـارَكِ وَإِظْهَـارِهِ بِهٰـذِهِ الصُّـورَةِ الْمُشْـرِقَـةِ.

فَجَـزَى اللهُ تَعَـالَى الْجَمِيـعَ عَـنِ الْعِلْـمِ وَأَهْلِـهِ خَـيْرَ الْجَـزَاءِ، وَتَقَبَّـلَ مَـا بَذَلُـوهُ بِأَحْسَـنِ قَبُـولٍ، وَآخِـرُ دَعْوَانَـا أَنِ الْحَمْـدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِـينَ، وَصَـلَّى اللهُ عَـلَىٰ مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ الطَّيِّبِـينَ الطَّاهِرِيـنَ.

جمعية العميد العلمية والفكرية

الإمام علي عليه السلام والمفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير

الشيخ حسين محسن علي التميمي

العتبة العباسيَّة المقدَّسة

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى استكشاف رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بناء الهُويَّة الذاتيَّة، ومقارنتها بالمفاهيم الحديثة التي تناولت هذا المصطلح في الفكر الإنساني المعاصر. ينطلق البحث من فرضيَّة مفادها أنَّ فكر الإمام علي عليه السلام - بما يتضمَّنه من قيم إنسانيَّة وعقائديَّة وأخلاقيَّة — يقدِّم أساسًا متينًا لإعادة تشكيل الهُويَّة في زمن التغيّر المتسارع، الذي تفرضه العولمة والتكنولوجيا والتحولات الثقافيَّة والاجتماعيَّة.

يتناول البحث مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة كما صاغه الإمام عليه السلام من خلال خطبه وحكمه في نهج البلاغة، مبيِّنًا كيف تتجسَّد عناصر الوعي بالذات، والمسؤوليَّة الأخلاقيَّة، والكرامة الإنسانيَّة في رؤيته التربويَّة والفكريَّة. ويعرض أيضًا التحديات الراهنة التي تواجه الإنسان المعاصر في الحفاظ على ثبات هويَّته أمام تيارات التغريب، وفقدان المعنى، وتبدّل منظومات القيم.

خلصت الدراسة إلى أنَّ الفكر العلوي يمكن أن يُقدِّم حلولًا واقعيَّة لبناء هُويَّة متوازنة، تستند إلى الإيمان والعقل، وتجمع بين الثبات المبدئي والانفتاح الإيجابي، بما يجعلها قادرة على التفاعل مع العالم من دون الذوبان فيه، وعلى مواجهة الأزمات الفكريَّة والروحيَّة بعقلٍ مستنير وروحٍ راسخة.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، الهُويَّة الذاتيَّة، المفاهيم الحديثة، العولمة، الفكر الإنساني، التحدِّيات المعاصرة.

Abstract

This research deals with the concept of self-identity through the vision of Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, and reviews how its concepts can be applied in our contemporary world, which is suffering from major transformations as a result of globalization and technology. The research aims to analyze the concept of identity as proposed by Imam Ali, peace be upon him, and focus on how this vision affects the formation of individual and collective identity in the current era. It also reviews the intellectual and cultural challenges that individuals face in defining Their self-identity in light of the rapid social and cultural changes. In this context, the research seeks to present an integrated vision for individuals and societies to benefit from the principles of Imam Ali, peace be upon him, in facing contemporary challenges, by reinterpreting the Alawite concepts that contribute to building a strong and solid self-identity capable of facing the pressures and imbalances imposed by the era

This research examines the role of Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, in forming concepts of self-identity and how to apply them in contemporary contexts The research analyzes how the teachings of Imam Ali, peace be upon him, can contribute to... Understanding individual and collective identity in light of the intellectual and social challenges facing the contemporary world. The research will also address the relationship between the upper concepts of self-identity and the modern concepts that are witnessing continuous development in the context of globalization, technology, and changing

cultural values.

Research objectives:

1- Analysis of the concept of self-identity as presented by Imam Ali, peace be upon him.

2- Studying the relationship between the principles of Imam Ali, peace be upon him and self-identity in our current era.

3- Exploring the contemporary challenges that individuals face in defining their self identity.

4- Comparing the effects of higher thought and self-identity with the concepts of identity in modern philosophies.

Some results:

1- Explain how the teachings of Imam Ali peace be upon him, can contribute to renewing the understanding of self identity.

2- Explain how individuals and societies can benefit from these concepts to face contemporary challenges related to identity

3- Providing an integrated vision of the role of supreme values in reshaping identity in a world full of changing challenges

Keywords: Imam Ali - modern concepts - self-identity- a changing world

المقدِّمة

إنَّ في ظلِّ التحولات الكبرى التي يشهدها العالم اليوم، أصبح مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة أحد أبرز المواضيع التي تستأثر باهتمام الفلاسفة والمفكِّرين وعلماء النفس والاجتماع. فقد أدَّى التطور التكنولوجي المتسارع، والعولمة الثقافيَّة، والتغيرات الاجتماعيَّة العميقة إلى تحدِّيات غير مسبوقة أمام الأفراد في تحديد هويَّتهم الذاتيَّة. وأصبحت الأسئلة حول "من نحن؟" و"كيف نحدِّد ذواتنا في عالم متغير؟" جزءًا من النقاشات الفكريَّة المعاصرة التي تتناول موضوع الهُويَّة الفرديَّة والجماعيَّة على حدٍّ سواء. في هذا السياق، يبرز الفكر الإسلامي، وتحديدًا فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ بوصفه مصدرًا غني يعالج هذه التساؤلات بعمق ورؤية استشرافيَّة تجمع بين البعد الروحي والبعد العملي في تشكيل الهُويَّة الذاتيَّة.

والإمام علي عليه السلام، بوصفه شخصيَّة قياديَّة وفكريَّة بارزة في التاريخ الإسلامي، لم يكن فقط حاكمًا عادلًا أو قائدًا عسكريًا محنكًا؛ بل كان أيضًا مفكرًا عميقًا قدَّم رؤية متكاملة حول الإنسان وهويَّته ورسالته ووجوده. وفي خطبه وكلماته، نجد تأصيلًا لمفهوم الهُويَّة الذاتيَّة؛ إذ ربطها بمبادئ مثل المعرفة الذاتيَّة، والتوازن بين الروح والجسد، والاستقلال الفكري، والمسؤوليَّة الأخلاقيَّة. فمن أقواله الشهيرة: "من عرف نفسه فقد عرف ربَّه"، وهي عبارة تحمل في طيَّاتها دعوة صريحة إلى الغوص في أعماق الذات بوصفها مدخلًا أساسًا لفهم الوجود والغاية من الحياة.

وأنَّ الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام ليست مجرَّد انعكاس لمتغيرات اجتماعيَّة أو ثقافيَّة، بل هي بناء متكامل يقوم على الوعي العميق بالذات، والقيم الراسخة، والاستقلال عن الضغوط الخارجيَّة التي قد تسلب الإنسان قراره ووعيه، وفي عالم اليوم؛ إذ تتغيَّر المفاهيم التقليديَّة للهُويَّة بفعل التفاعل الرقمي والثقافات المتداخلة، يصبح من الضروري العودة إلى هذه المفاهيم العميقة لإيجاد توازن بين متطلبات العصر والحفاظ على الأصالة والقيم.

وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين المفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة والتعاليم العلويَّة، مع التركيز على كيفيَّة توظيف رؤى الإمام علي عليه السلام في التعامل مع التحدِّيات المعاصرة. وتسعى أيضًا إلى تقديم تحليل مقارن بين الأسس التي طرحها الإمام عليه السلام والمفاهيم السائدة اليوم في الفلسفة وعلم النفس، بهدف إبراز مدى توافقها أو اختلافها، وإمكانيَّة الإفادة منها في صياغة رؤية متوازنة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغيِّر.

وفي هذا الإطار، تطرح الدراسة تساؤلات جوهريَّة عدَّة: كيف يمكن لمفاهيم الإمام علي عليه السلام أن تُسهم في إعادة بناء الهُويَّة الذاتيَّة للفرد في عصرنا الحالي؟ إلى أي مدى يمكن أن تكون تعاليمه مرجعًا في مواجهة الاغتراب الذاتي والانفصال عن الجذور الروحيَّة والثقافيَّة؟ وما هي آليَّات التفاعل بين الهُويَّة العلويَّة ومتطلبات العصر الرقمي الحديث؟ من خلال الإجابة عن هذه التساؤلات، تحاول الدراسة تقديم رؤية متكاملة تربط بين التراث الفكري الإسلامي والمعطيات الحديثة، ممَّا يفتح آفاقًا جديدة لفهم الهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغيِّر.

الإمام علي عليه السلام والمفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير

بيان موضوع البحث:

يتناول هذا البحث دراسة الهُويَّة الذاتيَّة من منظور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ضوء التحولات الفكريَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة التي يشهدها العالم المعاصر. يركِّز البحث على تحليل المفاهيم العلويَّة المتعلقة بالهُويَّة، مثل معرفة الذات، الاستقلال الفكري، المسؤوليَّة الأخلاقيَّة، والتوازن بين الروح والمادة، ومقارنتها بالمفاهيم الحديثة التي تطرحها الفلسفات الغربيَّة وعلم النفس المعاصر. ويسعى أيضًا إلى استكشاف مدى قدرة الفكر العلوي على تقديم حلول واقعيَّة للأزمات التي تواجه الهُويَّة الفرديَّة في العصر الرقمي والعولمي.

أهميَّة البحث:

يسلط الضوء على البعد الروحي والأخلاقي للهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام، وهو جانب يحتاجه الإنسان المعاصر لمواجهة تحدِّيات العولمة والحداثة.

يبرز مدى توافق الرؤية العلويَّة مع بعض المفاهيم الحديثة للهُويَّة، مثل الوعي الذاتي والتنمية الشخصيَّة، ممَّا يساعد في تقديم أنموذج متوازن للهُويَّة يجمع بين الأصالة والتطور.

يقدِّم إطارًا معرفيًّا جديدًا لفهم الهُويَّة الذاتيَّة في سياق إسلامي، ممَّا يعزِّز الدراسات المقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي حول الهُويَّة.

يُسهم في بناء رؤية جديدة لمفهوم الهُويَّة يمكن أن تُطبق في مجالات متعددة، مثل علم النفس، والفلسفة، والدراسات الثقافيَّة، والاجتماع.

أهداف البحث:

تحليل مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام، مع التركيز على أبعاده الأخلاقيَّة والروحيَّة والفكريَّة.

دراسة العلاقة بين المفاهيم العلويَّة والمفاهيم الحديثة حول الهُويَّة الذاتيَّة، ومدى تقاربها أو اختلافها.

استكشاف التحديات التي تواجه الهُويَّة الذاتيَّة في العصر الحالي، مثل العولمة، والانفتاح الثقافي، والتكنولوجيا الرقميَّة، ومقارنتها بالتحديات التي واجهها الإمام علي عليه السلام في زمانه.

تقديم أنموذج مستمد من فكر الإمام علي عليه السلام يساعد الأفراد والمجتمعات على تحقيق التوازن بين هويَّتهم الدينيَّة والثقافيَّة والتغيرات المعاصرة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن؛ إذ يتمُّ تحليل نصوص الإمام علي عليه السلام المتعلقة بالهُويَّة الذاتيَّة ومقارنتها بالمفاهيم الحديثة الواردة في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع. ويتمُّ الإفادة من المنهج التاريخي لدراسة التحديات التي واجهها الإمام علي عليه السلام في زمانه وكيف تعامل معها، بهدف تقديم رؤية تطبيقيَّة للحاضر.

أسئلة البحث:

السؤال الأصلي:

كيف يمكن توظيف تعاليم الإمام علي عليه السلام في مواجهة التحدِّيات المعاصرة المتعلِّقة بالهُويَّة الذاتيَّة؟

الأسئلة الفرعيَّة:

ما هو مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام ؟

ما هي أهم القيم والمبادئ التي طرحها الإمام علي عليه السلام لتعزيز الهُويَّة الذاتيَّة؟

ما هي أبرز التحدِّيات التي تواجه الهُويَّة الذاتيَّة في العصر الحديث؟

كيف يمكن مقارنة المفاهيم العلويَّة للهُويَّة بالمفاهيم الحديثة في الفلسفة وعلم النفس؟

ما مدى إمكانيَّة تطبيق رؤية الإمام علي عليه السلام في بناء هُويَّة متوازنة للفرد المعاصر؟

فرضيَّات البحث:

يحتوي فكر الإمام علي عليه السلام على رؤية متكاملة للهُويَّة الذاتيَّة يمكن أن تُسهم في حلِّ الأزمات المعاصرة المتعلِّقة بالهُويَّة.

المبادئ العلويَّة للهُويَّة، مثل معرفة الذات، الحريَّة الفكريَّة، والتوازن بين الروح والجسد، تتقاطع مع بعض المفاهيم الحديثة؛ لكنَّها تمتاز بجذورها الأخلاقيَّة والروحيَّة.

التحديات التي تواجه الهُويَّة الذاتيَّة اليوم، مثل العولمة والتكنولوجيا، قد تجد حلولًا في فكر الإمام علي عليه السلام إذا ما أُعيد تفسيره في سياق حديث.

يمكن لفكر الإمام علي عليه السلام أن يشكِّل أنموذجًا عمليًا للفرد المسلم في العصر الرقمي، ممَّا يساعده على الحفاظ على هويَّته من دون الانعزال عن التطورات الحديثة.

السابقة الدراسيَّة للبحث:

يُعد موضوع الهُويَّة الذاتيَّة من الموضوعات التي نالت اهتمامًا واسعًا في الفلسفة الإسلاميَّة وعلم النفس الحديث، وقد تناول العديد من الباحثين الهُويَّة من زوايا مختلفة، مثل:

دراسات حول الهُويَّة الإسلاميَّة وتأثيرها على الأفراد والمجتمعات.

أبحاث حول فلسفة الإمام علي عليه السلام في تكوين الشخصيَّة الإسلاميَّة.

دراسات حديثة حول تأثير العولمة على الهُويَّة الفرديَّة.

إلَّا أنَّ معظم هذه الدراسات لم تتناول الربط المباشر بين المفاهيم العلويَّة ومفاهيم الهُويَّة الحديثة، ممَّا يجعل هذا البحث إضافة نوعيَّة من خلال تقديم تحليل مقارن يبرز نقاط التلاقي والاختلاف بين المفهومين، ويفتح آفاقًا جديدة لتطبيق الفكر العلوي في معالجة قضايا الهُويَّة المعاصرة.

تمهيد

وفي عالم اليوم؛ إذ تتسارع التغيرات الثقافيَّة والاجتماعيَّة بفعل العولمة والتكنولوجيا الرقميَّة، باتت الهُويَّة الذاتيَّة واحدة من أكثر القضايا الفكريَّة تعقيدًا وإلحاحًا. إذ لم تعد الهُويَّة مجرَّد انعكاس للموروث الثقافي أو الديني؛ بل أصبحت في كثيرٍ من الأحيان ساحة للصراع بين القيم التقليديَّة والتوجهات الحديثة، فالإنسان المعاصر يواجه تحديات غير مسبوقة في تحديد ذاته، بين تأثيرات وسائل الإعلام، والتواصل الاجتماعي، والعوامل الاقتصاديَّة والسياسيَّة، ممَّا يجعله عرضة لما يُعرف بأزمة الهُويَّة أو الاغتراب الذاتي.

وفي خضم هذه التغيرات، يعود المفكِّرون والباحثون إلى الشخصيَّات التي قدَّمت رؤى عميقة حول مفهوم الهُويَّة، ومن بين هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي قدَّم أنموذجًا فريدًا للهُويَّة الذاتيَّة يقوم على المعرفة الحقيقيَّة بالذات، والتحرر من التبعيَّة الفكريَّة، والارتباط بالمبادئ الأخلاقيَّة الثابتة. فالإمام علي عليه السلام لم يتناول الهُويَّة من منظور فلسفي مجرد فقط؛ بل قدَّم تعاليم عمليَّة يمكن تطبيقها في أي زمان ومكان، ممَّا يجعلها ذات صلة مباشرة بالتحديات التي تواجه الهُويَّة في العصر الحديث.

وتتناول هذه الدراسة كيف يمكن لمفاهيم الإمام علي عليه السلام حول الهُويَّة الذاتيَّة أن تقدِّم إجابات للتحديات التي يواجهها الإنسان المعاصر، كما تبحث في نقاط التلاقي بين المفاهيم العلويَّة والمفاهيم الحديثة للهُويَّة في علم النفس والفلسفة والاجتماع، بهدف بناء فهم متكامل للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير.

المبحث الأوَّل:

مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام .

المطلب الأوَّل: تعريف الهُويَّة الذاتيَّة وأهميَّتها في تكوين الشخصيَّة:

إنَّ الهُويَّة الذاتيَّة مفهوم يعبِّر عن إدراك الإنسان لذاته وفهمه لحقيقته ووعيه لمكانته ودوره في الحياة، فهي تعكس التصورات التي يحملها الفرد عن نفسه ضمن إطار منظومة القيم والمعتقدات والسلوكيات التي ينتمي إليها ويتفاعل معها، ويتجلَّى هذا المفهوم في شخصيَّة الإنسان وأفعاله وتوجهاته الفكريَّة والأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، وفي ظلِّ عالم متغير تتزايد فيه التحديات الفكريَّة والثقافيَّة وتتسارع فيه المتغيرات الاقتصاديَّة والتكنولوجيَّة تصبح مسألة الهُويَّة الذاتيَّة أكثر أهميَّة وإلحاحًا؛ لما لها من دور في حماية الإنسان من الضياع والتيه الفكري والانحراف عن الثوابت والقيم. وهنا نجد أنَّ الإمام علي عليه السلام قدَّم أنموذجًا فريدًا للهُويَّة الذاتيَّة المتكاملة التي جمعت بين المعرفة العميقة بالذات والالتزام بالمبادئ الإلهيَّة والاستقلال في الرؤية والفكر.

ومفهوم الهُويَّة الذاتيَّة في اللغة والاصطلاح يعكس طبيعة الذات الإنسانيَّة المتفردة التي تميِّز كل فردٍ عن غيره فالهُويَّة في اللغة مأخوذة من الضمير "هو"، الذي يدلُّ على الثبوت والتميز، أمَّا في الاصطلاح: (**وعلى معنَى حَقيقةِ الشْيءِ وهيئته، وعلى معنى صِفَتِه، يقال: صُورَةُ الفِعْلِ كذا وكذا، أي هَيْئتُه، وصُورةُ الأمْرِ كذا، أي صِفَتُه فيكون المرادُ بما جاءَ في الحديث أنَّه أتاه في أحْسَنِ صِفَةٍ، ويجوز أن يعودَ المعنى إلى النَبيّ صلى الله عليه وآله أتاني رَبِّي وأنا في أحْسَنِ صورةٍ، وتُجْرَى مَعانِي الصُّورَةِ كلُّها عليه، إن شِئتَ ظاهرَها أو هيئتها وصِفتها**)[1].

وكذا (**تُعرَّف الهُويَّة بأنَّها مزيج من الخصائص الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي يتقاسمها الأفراد ويُمكن على أساسها التمييز بين مجموعة وأخرى، كما تُعرَّف على أنَّها مجموعة الانتماءات التي ينتمي إليها الفرد وتُحدّد سلوكه، أو كيفيَّة إدراكه لنفسه**)[2]

والآخر وهو الأقرب والمتفق عليه (**فهي تشير إلى مجموعة الصفات والخصائص التي تشكّل شخصيَّة الإنسان، وتحدِّد معالمه الفكريَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة**)، ومن هذا المنطلق يمكن القول إنَّ الهُويَّة الذاتيَّة لا تقتصر على الجانب الفردي فقط؛ بل تمتدُّ إلى الأبعاد الدينيَّة والاجتماعيَّة والحضاريَّة، بحيث تعكس منظومة القيم والمبادئ التي يؤمن بها الإنسان، وتحدد طريقة تفاعله مع مجتمعه والعالم من حوله.

وأما في فكر الإمام علي عليه السلام، فإنَّ الهُويَّة الذاتيَّة تُبنى على معرفة الإنسان لذاته وإدراكه لحقيقته ودوره في الوجود، فقد **قال أمير المؤمنين** عليه السلام: "**ما هلك أمرؤ عرف قدره**"[٣]، فمعرفة الإنسان لنفسه وقدراته وإمكاناته هي الأساس الذي يبني عليه هويَّته الذاتيَّة، وكما أنَّ الإمام عليه السلام أكَّد على ضرورة الارتباط بالمبادئ والقيم الإلهيَّة؛ لأنَّها تمنح الهُويَّة الذاتيَّة بعدًا راسخًا وثابتًا يحميها من التغييرات والتقلبات التي قد تفرضها الظروف الخارجيَّة.

وأهميَّة الهُويَّة الذاتيَّة في بناء الشخصيَّة الفرديَّة والمجتمعيَّة تتجلَّى في قدرتها على توجيه الإنسان نحو تحقيق ذاته، وتحقيق الانسجام بين فكره وسلوكه فهي تمنحه الإحساس بالثبات والاستقلاليَّة، وتساعده على اتِّخاذ القرارات الصائبة بناءً على مبادئه وقيمه بدلاً من التأثر بالمغريات أو الضغوط الخارجيَّة، وهذا ما أكَّده الإمام علي عليه السلام بقوله: "**ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا**"[٤]، فالإنسان الذي يمتلك هُويَّة ذاتيَّة راسخة لا يكون تابعًا للآخرين؛ بل يكون صاحب فكر مستقل يستمد قوَّته من وعيه بذاته وقيمه.

وأمَّا على المستوى المجتمعي فإنَّ الهُويَّة الذاتيَّة القويَّة للأفراد تؤدِّي إلى بناء مجتمع متماسك يقوم على مبادئ واضحة، ويستطيع مواجهة التحديات والصراعات الفكريَّة والثقافيَّة من خلال تمسكه بقيمه الأصيلة، فالأمم التي تمتلك وعيًا بهويَّتها الذاتيَّة تستطيع الحفاظ على تراثها وحضارتها في مواجهة العولمة والتغيرات المتسارعة، ومن

هنا تأتي أهميَّة توجيه الأفراد نحو بناء هُويَّة ذاتية قائمة على القيم والمبادئ السامية التي تحقق لهم التوازن النفسي والاجتماعي.

ودور الهُويَّة الذاتيَّة في تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي يعدُّ أحد أهم الأبعاد التي تبرز أهميَّة هذا المفهوم، فالإنسان الذي يمتلك هُويَّة واضحة ومتينة يكون أكثر قدرة على مواجهة الضغوط النفسيَّة والتحديات الحياتيَّة؛ لأنَّه يستند إلى رؤية متكاملة عن ذاته ومكانته في الحياة، وكما أن الهُويَّة الذاتيَّة تساعد على تحقيق التوافق الداخلي للإنسان بحيث يكون هناك انسجام بين فكره وسلوكه ممَّا ينعكس إيجابًا على صحته النفسيَّة ويجنبه الوقوع في التناقضات والاضطرابات الداخليَّة.

وفي السياق الاجتماعي نجد أنَّ الهُويَّة الذاتيَّة تلعب دورًا محوريًّا في تعزيز العلاقات بين الأفراد وتحقيق الانسجام في المجتمع، فحين يكون لدى كل فرد هُويَّة واضحة ومستقلة فإنَّه يكون أكثر وعيًا بمسؤوليَّاته وحقوقه ممَّا يؤدِّي إلى بناء مجتمع متوازن يسوده الاحترام والتعاون، والإمام علي عليه السلام أرسى قواعد الهُويَّة الاجتماعيَّة السليمة التي تقوم على العدل والمساواة ونبذ التفرقة؛ إذ قال: "**صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**"(٥)، فهذه الرؤية تكرِّس مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة التي تعترف بحقوق الآخر وتدعو إلى التعايش السلمي بعيدًا عن العصبيات والانقسامات.

وعليه فإنَّ الهُويَّة الذاتيَّة التي دعا إليها الإمام علي عليه السلام ليست مجرَّد فكرة نظريَّة؛ بل هي نهج عملي يُبنى على معرفة الإنسان لنفسه والتزامه بمبادئه وسعيه لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، ممَّا يجعله قادرًا على مواجهة التحديات بثبات وثقة، ومن هنا تأتي الحاجة إلى ترسيخ مفاهيم الهُويَّة الذاتيَّة في الأفراد والمجتمعات من خلال التربية والتوجيه الصحيحين بحيث تصبح هذه الهُويَّة حصنًا يحمي الإنسان من الضياع في عالم متغير.

المطلب الثاني: مرتكزات الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام:

إنَّ مرتكزات الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام الهُويَّة الذاتيَّة من أهمِّ العناصر التي تحدِّد شخصيَّة الإنسان وتوجه مسار حياته، فهي الإطار الذي يشمل معتقداته وقيمه وسلوكياته ممَّا يمنحه الثبات والاستقلاليَّة في مواجهة التحديات الفكريَّة والثقافيَّة، وفي عالمنا المتغيِّر على نحوٍ تسود العولمة والتأثيرات الثقافيَّة المتباينة يصبح تعزيز الهُويَّة الذاتيَّة ضرورة لحماية الإنسان من الضياع والتيه الفكري، وقد سبق الإمام علي عليه السلام الفكر الإنساني في طرحه لمفهوم الهُويَّة الذاتيَّة؛ إذ قدَّم رؤيةٍ متكاملة تبني شخصيَّة الإنسان على أسس متينة تجمع بين المعرفة الذاتيَّة والاستقلال الفكري والتمسك بالأخلاق والقيم الروحيَّة والتوازن بين الجوانب الروحيَّة والماديَّة.

ومعرفة الذات كأساس للهُويَّة يعدّ مبدأ معرفة الذات حجر الأساس في بناء الهُويَّة الذاتيَّة؛ إذ أكَّد الإمام علي عليه السلام أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يحقِّق وجوده الحقيقي إلَّا من خلال إدراكه لذاته فقال: (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[٦]، وهذه المقولة العميقة تعني أنَّ معرفة الإنسان لنفسه تتطلب فهم قدراته ونقاط قوَّته وضعفه، ودوره في الحياة ممَّا يقوده إلى إدراك الغاية الكبرى من وجوده، فالمعرفة الحقيقيَّة للذات تتجاوز الوعي البسيط بالشخصيَّة والقدرات لتصل إلى فهم المعاني الأعمق للحياة؛ إذ إنَّ الإنسان الذي يعرف نفسه يدرك أنَّ وجوده ليس مجرَّد وجود مادي؛ بل هو كيان يحمل رسالة وقيمًا يجب أن يحققها في حياته.

ومثلما قال حول عظمة الإنسان الداخليَّة التي لا يشعر بها:

(**وتحسب أنَّك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر**)[٧]

وهذا الفهم يحصِّن الفرد من الاضطراب النفسي والاجتماعي؛ إذ يكون لديه رؤية واضحة لهدفه ومساره في الحياة ممَّا يجعله أكثر قدرة على اتِّخاذ قراراته بثقة وثبات.

والاستقلال الفكري ونبذ التبعيَّة من أهمِّ ركائز الهُويَّة الذاتيَّة التي أكَّد عليها الإمام علي عليه السلام هي الاستقلال الفكري وعدم الانقياد الأعمى للآخرين، فقد كان عليه السلام يدعو

الناس إلى استخدام عقولهم والتفكر بحرية وعدم تقليد الآخرين دون وعي أو فهم؛ إذ قال لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا، فهذه الدعوة العظيمة ترسّخ مفهوم الاستقلاليَّة الفكريَّة التي تقي الإنسان من الوقوع في التبعيَّة والانقياد وراء الأفكار المغلوطة أو التأثر بالتيارات الفكريَّة المتناقضة، وقد جسَّد الإمام علي عليه السلام هذا المفهوم في حياته؛ إذ كان فكره مستقلًا يستند إلى الحكمة والعقل والتجربة، ولم يكن يخضع للضغوط أو يتأثر بالتيارات السائدة؛ بل كان يوجّه الناس نحو التفكير الواعي واتخاذ القرارات بناءً على المعرفة واليقين لا على العادات والتقاليد العمياء، فالإنسان الذي يمتلك استقلالًا فكريًا يكون أكثر قدرة على بناء هويَّته الذاتيَّة بشكل متين بعيدًا عن التأثر السلبي بالبيئة المحيطة أو الانجرار وراء الأفكار الدخيلة.

والأخلاق والقيم الروحيَّة كأساس لهُويَّة الفرد لا يمكن للهُويَّة الذاتيَّة أن تكون متكاملة دون أن تستند إلى الأخلاق والقيم الروحيَّة، فالأخلاق هي جوهر شخصيَّة الإنسان، وهي التي تحدِّد مدى صدقه وأمانته وعدالته وتعامله مع الآخرين، وقد جعل الإمام علي عليه السلام الأخلاق ركيزة أساسيَّة في بناء الإنسان؛ إذ قال لو كان الدين مجرد قول بلا عمل لكان الصوم في غير وقت الصيام والصلاة في غير وقت الصلاة مقبولة، لكنه بيّن أنَّ الهُويَّة الحقيقيَّة للإنسان تظهر في سلوكه وأفعاله وليس في ادعاءاته فقط، ومن هنا فإنَّ بناء الهُويَّة الذاتيَّة يجب أن يقوم على التزام الفرد بالقيم الروحيَّة التي تهذب سلوكه وتجعله قادرًا على التعامل مع مجتمعه بروح مسؤولة وأخلاقيَّة، ومن خلال الأخلاق يتمكن الإنسان من تحقيق الانسجام بين أفكاره وسلوكيَّاته ممَّا يجعله أنموذجًا للهُويَّة الراسخة التي لا تتزعزع أمام المغريات والتحديات المختلفة.

والتوازن بين الروح والجسد في بناء الهُويَّة الذاتيَّة المتكاملة لا تقتصر على الجانب العقلي أو الروحي فقط؛ بل يجب أن تحقق توازنًا بين الجوانب المختلفة لشخصيَّة الإنسان، فقد أكَّد الإمام علي عليه السلام أنَّ الإنسان كيان متكامل يجمع بين العقل والروح

والجسد، وأنَّ تحقيق التوازن بين هذه العناصر هو الأساس لهُويَّة قوية ومتزنة، فقد قال: (**ليس الزهد أن لا تملك شيئًا؛ ولكن الزهد أن لا يملكك شيء**)[٨]، وهذه الرؤية العميقة تشير إلى أهميَّة التحكم في الرغبات الجسديَّة وعدم السماح لها بالسيطرة على العقل والروح، فالإنسان الذي يوازن بين احتياجاته الماديَّة والروحيَّة يكون أكثر قدرة على تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي، وكما أنَّ هذا التوازن يجعل هويَّته الذاتيَّة غير متأثرة بالمغريات الدنيوية؛ بل قائمة على رؤية واعية تحقق له السعادة الحقيقيَّة والاستقرار الداخلي.

ومن خلال هذه المرتكزات نجد أنَّ الهُويَّة الذاتيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام ليست مجرَّد مفهوم نظري؛ بل هي نهج عملي يبني شخصيَّة الإنسان على أسس راسخة من المعرفة الذاتيَّة والاستقلال الفكري والالتزام بالأخلاق والتوازن بين الروح والجسد ممَّا يجعل الإنسان قادرًا على مواجهة التحديات والتغيرات بثقة وثبات.

المبحث الثاني

الهُويَّة الذاتيَّة في العصر الحديث والتحديات التي تواجهها.

المطلب الأوَّل: التحديات المعاصرة للهُويَّة الذاتيَّة:

إنَّ الإمام علي عليه السلام والمفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير الهُويَّة الذاتيَّة تمثِّل جوهر شخصيَّة الإنسان، وهي المحدد الأساسي لوعيه وإدراكه لذاته وعلاقته بالمجتمع من حوله، فهي ليست مجرَّد مفهوم ثابت؛ بل هي بناء متطور يتأثر بعوامل متعددة داخليَّة وخارجيَّة، ومع التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم أصبحت الهُويَّة الذاتيَّة تواجه العديد من التحديات التي تؤثِّر على استقرار الفرد النفسي والاجتماعي، وتجعل من الصعب عليه الحفاظ على توازنه الفكري والأخلاقي. وفي ظلِّ هذه التغيرات يصبح البحث عن أسس متينة لترسيخ الهُويَّة الذاتيَّة ضرورة ملحة، وقد كان الإمام علي عليه السلام من أبرز القادة الذين قدموا رؤية عميقة ومتكاملة لمفهوم الهُويَّة الذاتيَّة؛ إذ

ركَّز على معرفة الإنسان لذاته واستقلاله الفكري وتمسكه بالقيم والمبادئ الثابتة؛ بوصفه وسيلة لمواجهة التحولات المستمرة.

والتحديات المعاصرة للهُويَّة الذاتيَّة في ظلِّ التغيرات السريعة التي يشهدها العالم أصبح الفرد يواجه صعوبة في تحديد هويَّته وسط التأثيرات المتعددة التي تحيط به من ثقافات جديدة وأفكار مختلفة وتيارات فكريَّة متناقضة، وهذا يجعل الإنسان عرضة لفقدان بوصلته الداخليَّة إذا لم يكن لديه أساس متين يبني عليه شخصيَّته، وقد حذَّر الإمام علي عليه السلام من التبعيَّة العمياء التي تفقد الإنسان استقلاليَّته؛ إذ قال لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًّا فهذه الدعوة إلى الحريَّة الفكريَّة تؤكِّد على ضرورة أن يكون الفرد قادرًا على اتخاذ قراراته بنفسه بعيدًا عن الضغوط والتأثيرات التي قد تمسخ هويَّته وتحوله إلى تابع بلا رؤية واضحة.

والعولمة اليوم جعلت العالم في قرية صغيرة وأصبح الأفراد يتعرضون لتأثيرات ثقافيَّة واجتماعيَّة مختلفة أدَّت إلى إضعاف الهويَّات المحليَّة وإحلال ثقافات جديدة قد لا تتوافق مع القيم الأساسيَّة للفرد، وأصبح الإنسان يعيش بين هويَّتين هُويَّة تراثية متجذرة، وهُويَّة حديثة متأثرة بالعولمة، ممَّا قد يخلق صراعًا داخليًّا يجعله في حالة اضطراب مستمر، والإمام علي عليه السلام ركَّز على أهميَّة الحفاظ على الهُويَّة الحقيقيَّة للإنسان، مع الانفتاح الواعي على التطورات من حوله؛ إذ كان يميِّز بين الإفادة من المعرفة الجديدة من دون فقدان الهُويَّة الأصليَّة، وكان يؤكِّد على أن التمسُّك بالمبادئ الثابتة هو السبيل الوحيد للحفاظ على الذات وسط أي تغيير؛ إذ قال: (**المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم عرف**)[٩]، فهذه المقولة تؤكِّد على أنَّ الهُويَّة ليست مجرد انتماء ظاهري؛ بل هي انعكاس حقيقي لما يحمله الإنسان من فكر وقيم.

ودور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الهُويَّة الحديثة وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت من أقوى العوامل التي تؤثِّر على الهُويَّة الذاتيَّة للفرد، فقد أصبحت تشكِّل جزءًا أساسيًّا من حياته اليوميَّة، وتؤثِّر في طريقة تفكيره وتعامله مع نفسه ومع الآخرين، وأدَّى انتشار هذه الوسائل إلى خلق هويَّات افتراضيَّة تختلف عن الهُويَّة الحقيقيَّة للفرد ممَّا جعله يعيش حالة من الازدواجيَّة بين ما يظهره على هذه المنصات وحقيقته الفعليَّة، وقد حذَّر الإمام علي عليه السلام من الانغماس في الوهم والابتعاد عن الحقيقة؛ إذ قال: (**أعقل الناس من كان بعيبه بصيرًا، وعن ذنب غيره ضريرًا**)[١٠]، وهذه الحكمة تدعو إلى ضرورة أن يكون الإنسان واعيًا بحقيقته بدلًا من الانجرار وراء الصور الزائفة التي قد يصنعها لنفسه عبر وسائل التواصل ممَّا يؤدِّي في النهاية إلى فقدان هويَّته الحقيقيَّة والانفصال عن ذاته الأصلية.

والانفصال بين القيم التقليديَّة والمتغيرات الحديثة من أكبر التحديات التي تواجه الهُويَّة الذاتيَّة هو الصراع بين القيم التقليديَّة التي تربَّى عليها الإنسان والمتغيرات

الحديثة التي أصبحت تفرض نفسها بشكل متزايد، ممَّا يجعل بعض البشر يشعر بالضياع بين الماضي والحاضر، وقد يؤدِّي هذا إلى الانحراف عن المبادئ أو العيش في عزلة عن الواقع، ممَّا يخلق حالة من الاضطراب النفسي والاجتماعي، والإمام علي عليه السلام أكَّد على أنَّ التغيير لا يعني التخلي عن القيم؛ بل يعني تطويرها بما يتناسب مع العصر من دون أن تفقد جوهرها، فقد قال: (**أيُّها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه**)[11]، وهذه الحكمة تبيِّن أنَّ الثبات على القيم لا يجب أن يتأثر بعدد من يتمسَّك بها؛ بل يجب أن يكون نابعًا من وعي الإنسان بأهميَّتها في بناء هويَّته الذاتيَّة.

وخطورة الاغتراب النفسي والتشويش الثقافي أحد أخطر الآثار السلبيَّة التي قد تصيب الهُويَّة الذاتيَّة هو الاغتراب النفسي الذي يجعل الإنسان يشعر أنَّه غريب عن ذاته، وعن محيطه الاجتماعي نتيجة للتغيرات الثقافيَّة والفكريَّة المتسارعة، فقد يجد الفرد نفسه غير قادر على التوفيق بين ما نشأ عليه من قيم وما يفرضه عليه الواقع الجديد ممَّا يسبِّب له اضطرابًا داخليًا قد يؤدِّي إلى فقدان الإحساس بالانتماء والشعور بالضياع، وقد حذَّر الإمام علي عليه السلام من هذا الاضطراب الداخلي الذي يفقد الإنسان توازنه؛ إذ قال: (**ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه**)[12]، فهذه الحكمة تؤكِّد على أنَّ معرفة الذات الحقيقيَّة والاعتزاز بها هو السبيل الوحيد للخروج من حالة الاغتراب النفسي والتشويش الثقافي.

إنَّ التعرُّض المستمر للأفكار المتناقضة عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي من دون امتلاك مرجعيَّة فكريَّة صلبة يجعل الإنسان عرضة لفقدان الثقة بذاته وبمبادئه ممَّا يؤدِّي إلى التشويش الثقافي الذي يجعله غير قادر على اتخاذ مواقف واضحة تجاه القضايا المختلفة، وقد كان الإمام علي عليه السلام يؤكِّد على أهميَّة امتلاك رؤية واضحة وثابتة تجاه العالم من حولنا؛ إذ قال: (**احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك**)[13]، وهذه الحكمة تعكس أهميَّة تنقية الفكر من التأثيرات السلبيَّة التي قد تشتِّت الإنسان وتفقده قدرته على اتخاذ القرارات الصائبة.

والإمام علي عليه السلام قدَّم رؤية متكاملة لمفهوم الهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير؛ إذ أكَّد على ضرورة معرفة الإنسان لذاته واستقلاليَّته في التفكير وتمسكه بالقيم والمبادئ التي تحميه من الضياع وسط التأثيرات المختلفة التي تحيط به، وكما حذَّر من خطورة الاغتراب النفسي والتشويش الثقافي اللذين قد يؤدِّيان إلى فقدان الإنسان لاتزانه الداخلي ومكانته في المجتمع، وهذه الرؤية لا تزال صالحة حتَّى يومنا هذا بوصه منهجًا يمكن للفرد أن يستند إليه في بناء هويَّته الذاتيَّة بشكل متوازن ومستقر.

المطلب الثاني: إمكانيَّة الإفادة من فكر الإمام علي عليه السلام في مواجهة تحدِّيات الهُويَّة الحديثة:

شكَّلت المواجهة اليوم تحديات كبيرة في ظلِّ العولمة والتغيرات الاجتماعيَّة والثقافيَّة المتسارعة ممَّا يجعل الأفراد في حالة من البحث المستمر عن أسسٍ متينة تضمن لهم الثبات والاستقرار النفسي والاجتماعي، وهنا يبرز فكر الإمام علي عليه السلام بوصفه أنموذجًا رائدًا يمكن الإفادة منه في مواجهة هذه التحديات، فقد قدَّم رؤية متكاملة حول بناء الهُويَّة الذاتيَّة وتحقيق التوازن بين القيم الأصيلة والانفتاح الواعي على العالم وتعزيز الوعي الذاتي والاستقلال الفكري ممَّا يساعد الأفراد على مواجهة الضغوط المختلفة التي تهدد هويَّتهم الحقيقيَّة وبناء الهُويَّة الذاتيَّة على أسس معرفيَّة وأخلاقيَّة.

والإمام علي عليه السلام ركَّز في خطبه وكلماته على أنَّ بناء الهُويَّة الذاتيَّة يجب أن يقوم على معرفة الإنسان لنفسه إدراكه لذاته وقيمته وقدرته على التمييز بين الحق والباطل؛ إذ قال: (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)، وهذه المعرفة ليست مجرد إدراك سطحي فحسب؛ بل هي وعي عميق بجوهر الإنسان وهدفه في الحياة، فالإنسان الذي يمتلك رؤية واضحة عن نفسه يكون أكثر قدرة على الثبات أمام المتغيرات.

إنَّ الإمام علي عليه السلام شدَّد على أهميَّة الأخلاق والقيم في بناء الهُويَّة؛ إذ نصَّ على أنَّ الأخلاق ليست مجرد سلوكيَّات فرديَّة فحسب؛ بل هي أساس الشخصيَّة السويَّة والمستقرة وقال: (**لو كنَّا لا نرجو جنَّة ولا نخشى نارًا ولا ثوابًا ولا عقابًا، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق**)[١٤]، فإنهَّا تُمَّا تدلُّ على سبيل النجاح، فهذه النظرة تجعل الأخلاق ضرورة جوهريَّة لا يمكن فصلها عن تكوين الهُويَّة الذاتيَّة للفرد.

وتحقيق التوازن بين الأصالة والانفتاح على العالم من أبرز التحديات التي تواجه الهُويَّة الحديثة هو التوفيق بين التمسك بالأصالة والانفتاح على التطورات العالميَّة، فالكثيرون إمَّا ينغلقون على هويَّتهم التقليديَّة بشكل متشدد أو يذوبون في الثقافة العالميَّة حتَّى يفقدوا أصالتهم؛ لكن الإمام علي عليه السلام قدَّم أنموذجًا متوازنًا يجمع بين الثبات على المبادئ والانفتاح الواعي على العالم، فقد كان عليه السلام يؤكِّد على أهميَّة التعلم والأخذ بالحكمة من أي مصدر من دون أن يكون ذلك على حساب القيم الجوهريَّة؛ إذ قال: (**الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة، ولو من أهل النفاق**)[١٥]، فهذه الرؤية تؤكِّد أنَّ الانفتاح على الثقافات الأخرى يجب أن يكون بوعي وانتقاء على نحوٍ يُفيد الإنسان من الجوانب الإيجابيَّة من دون أن يفقد هويَّته أو يتخلَّى عن قيمه الأساسيَّة.

وتعزيز الوعي الذاتي لمواجهة الضغوط الاجتماعيَّة والثقافيَّة؛ إذ يعيش الإنسان المعاصر في بيئة مليئة بالضغوط الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي قد تؤثر على هويَّته وتجعل قراراته متأثرة بآراء الآخرين، أو بالتيارات الفكريَّة السائدة، لكن الإمام علي عليه السلام شدَّد على أهميَّة أن يكون الإنسان سيِّد نفسه لا تابعًا لما يفرضه المجتمع أو المؤثرون من حوله؛ إذ قال: (**لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه**)، وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان الواعي بذاته لا يخشى أن يكون مختلفًا ما دام على الحق، وأكَّد أيضًا على ضرورة التفكير النقدي والاستقلاليَّة في اتخاذ القرارات، فقال: (**لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**)[١٦]، فهذه الحكمة تعكس رؤية متقدمة حول احترام الاختلاف الزمني والاجتماعي وتعزيز قدرة الأفراد على تطوير هويَّتهم من دون أن يكونوا أسرى لما يفرضه المجتمع عليهم.

والإفادة من الأنموذج العلوي في بناء شخصيَّة قويَّة ومستقلة، لذا فإنَّ الإمام علي عليه السلام قدَّم أنموذجًا فريدًا في بناء الشخصيَّة القويَّة والمستقلة، فهو لم يكن تابعًا لأي سلطة أو تأثير خارجي؛ بل كان صانع قراره وواضع مبادئه من دون أن يتأثَّر بالضغوط السياسيَّة والاجتماعيَّة، وكان يؤكِّد أنَّ الإنسان يجب أن يكون ثابتًا على مبادئه حتَّى لو كان وحيدًا؛ إذ قال: (**لا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت ألا لا يوطنن أحدكم نفسه على ذلك**)[١٧]، فهذه الرؤية تجعل الإنسان مسؤولًا عن هويَّته وأفكاره بدلًا من أن يكون تابعًا لما يفرضه المجتمع أو الإعلام، وأنَّ الإمام علي عليه السلام جسَّد في حياته مبدأ القوَّة المستقلة؛ إذ كان يتَّخذ قراراته بناءً على الحكمة والعقل لا بناءً على العواطف أو الضغوط الخارجيَّة، وهذا ما يحتاجه الإنسان اليوم ليحافظ على هويَّته الذاتيَّة في عالم مليء بالتحديات الفكريَّة والثقافيَّة.

وفكر الإمام علي عليه السلام يمثِّل منهجًا عمليًّا يمكن الإفادة منه في بناء الهُويَّة الذاتيَّة القويَّة والمستقرة في مواجهة التحديات الحديثة من خلال التركيز على المعرفة والأخلاق، وتحقيق التوازن بين الأصالة والانفتاح وتعزيز الوعي الذاتي والاستقلاليَّة في اتخاذ القرارات، إنَّ استلهام هذه القيم من فكر الإمام علي عليه السلام يمكن أن يكون سبيلًا لبناء جيل واعٍ يمتلك هُويَّة راسخة لا تهتز أمام المتغيرات.

الخاتمة

إنَّ الحديث عن "الإمام علي عليه السلام والمفاهيم الحديثة للهُويَّة الذاتيَّة في عالم متغير"، نجد أنَّ فكر الإمام علي عليه السلام يمثِّل مرجعيَّة فكريَّة عميقة لا تزال تلهم الأفراد في العصر الحديث في مواجهة التحديات المرتبطة بالهُويَّة الذاتيَّة، لقد قدَّم الإمام علي عليه السلام مفاهيم شاملة لبناء هُويَّة ذاتيَّة قويَّة قائمة على المعرفة الحقة، والأخلاق العالية، والاستقلال الفكري، ممَّا يمكن الأفراد من مواجهة الضغوط الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي تواجههم في هذا العصر المتغير، وأنَّ رؤيته حول التوازن بين الأصالة والانفتاح على العالم توفِّر إطارًا فكريًّا يتيح للفرد الحفاظ على هويَّته الأصلية، بينما يفيد من تجارب العالم المتقدِّم، ولقد جسَّد الإمام علي عليه السلام في حياته الشخصيَّة القوَّة المستقلة في اتخاذ القرارات بعيدًا عن الضغوط المجتمعيَّة، وهو ما يجعل من الأنموذج العلوي مصدر إلهام لبناء شخصيَّة متوازنة ومستقرة في زمن يتَّسم بالتغيير المستمر، إنَّ العودة إلى فكر الإمام علي عليه السلام، وفهمه العميق للهُويَّة الذاتيَّة، يعدُّ خطوة مهمَّة نحو بناء جيل قادر على مواجهة التحديات المعاصرة بثقة وقوَّة.

النتائج

١. **تعميق مفهوم الهُويَّة الذاتيَّة:** من خلال فكر الإمام علي عليه السلام، يتَّضح أنَّ الهُويَّة الذاتيَّة لا تقتصر على الانتماء الثقافي أو الاجتماعي فقط؛ بل هي ناتجة عن معرفة الفرد العميقة بذاته وأهدافه ومبادئه. فالمعرفة الذاتيَّة تصبح الأساس الذي يُبنى عليه باقي جوانب الهُويَّة.

٢. **أهميَّة الأخلاق في بناء الهُويَّة:** تشكِّل الأخلاق جزءًا لا يتجزَّأ من الهُويَّة الذاتيَّة؛ إذ إنَّ الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق هُويَّة قويَّة ومستقرة يجب أن يلتزم بقيم عالية تكون بمثابة معيار لتوجيه سلوكه وتصرُّفاته.

٣. **التوازن بين الأصالة والانفتاح على التغيرات:** أثبتت الدراسات المعاصرة أنَّ بناء الهُويَّة الذاتيَّة يتطلَّب التوفيق بين التمسُّك بالقيم الأساسيَّة والانفتاح على العالم، ففكر الإمام علي عليه السلام في الجمع بين الأصالة والمعاصرة يسهم في تطوير هُويَّة ذاتيَّة قادرة على التكيف مع التحديات العالميَّة من دون فقدان جوهرها.

٤. **تعزيز الوعي الذاتي لمواجهة الضغوط:** الوعي الذاتي يشكِّل أداة مهمَّة لمواجهة الضغوط النفسيَّة والاجتماعيَّة في عصر العولمة، وبتوجيهات الإمام علي عليه السلام حول الاستقلاليَّة الفكريَّة، يمكن تعزيز قدرة الأفراد على اتخاذ قراراتهم بثقة بعيدًا عن التأثيرات الخارجيَّة.

٥. **الاستقلال الفكري كأساس للهُويَّة الذاتيَّة:** يبرز فكر الإمام علي عليه السلام بوصفه مرشدًا هامًّا في تعزيز الاستقلال الفكري، وهو ما يساعد الفرد على تطوير هُويَّة متماسكة تقوم على الاختيارات الشخصيَّة المدروسة والمبنية على أسس عقليَّة سليمة.

٦. **الأنموذج العلوي في بناء شخصيَّة قويَّة ومستقلة:** يُظهر الإمام علي عليه السلام كيف يمكن للفرد بناء شخصيَّة مستقلة وقويَّة من خلال التمسُّك بالقيم والمبادئ الثابتة، وهذا

يشجع الأفراد في العصر الحالي على أخذ المبادرة في تشكيل هويَّتهم والتصدِّي للمتغيرات المستمرَّة في العالم من حولهم.

التوصيات

١. **تعزيز التعليم الذاتي**: من المهمِّ أن يُركّز التعليم في المجتمعات المعاصرة على تعزيز الوعي الذاتي للفرد من خلال تعليم القيم والمعرفة الذاتيَّة كما قدَّمها الإمام علي عليه السلام . يجب تشجيع الأفراد على البحث عن معرفة أنفسهم وفهم أهدافهم ومبادئهم الأساسيَّة التي تشكِّل هُويَّة ثابتة في وجه التحديات المتغيرة.

٢. **تطوير المناهج التعليميَّة لتشمل الأخلاق**: ينبغي أن تكون الأخلاق جزءًا أساسًا في المناهج التعليمية في المراحل الدراسيَّة كافَّة، وقد أشار الإمام علي عليه السلام، لا يمكن بناء هُويَّة ذاتيَّة متوازنة ومستقرَّة من دون التأكيد على المبادئ الأخلاقيَّة العالية في حياة الفرد.

٣. **تعزيز الاستقلال الفكري**: تحفيز الأفراد على التفكير النقدي واتِّخاذ قرارات مستقلة بعيدًا عن الضغوط الاجتماعيَّة والثقافيَّة، تعليم القيم الفكريَّة التي تؤكِّد على أهميَّة الوعي الذاتي والاستقلاليَّة من شأنه أن يساعد الأفراد على تكوين هُويَّة مستقلة وقوية.

٤. **التوازن بين الأصالة والتحديث**: ينبغي أن يتمَّ تعزيز القدرة على التوازن بين الحفاظ على الهُويَّة الثقافيَّة الأصيلة والانفتاح على التطورات الحديثة، لا بدَّ أن تكون هناك مساحات تعليميَّة وثقافيَّة تسمح بالإفادة من المعرفة والتكنولوجيا الحديثة من دون التفريط في القيم والمبادئ التي تشكِّل الهُويَّة الذاتيَّة.

٥. **التركيز على بناء شخصيَّة مستقلة وقويَّة**: دعم الأفراد في بناء شخصياتهم بناءً على أسس معرفيَّة وأخلاقيَّة متينة، وجسَّد ذلك الإمام علي عليه السلام، على المؤسَّسات الاجتماعيَّة والثقافيَّة دعم الأفراد في تطوير قدراتهم الفكريَّة والنفسيَّة؛ لتكوين شخصيَّات قويَّة ومستقلة تواجه ضغوط العصر بكلِّ ثقة.

٦. **التوجيه في مواجهة الضغوط الاجتماعيَّة**: من الضروري تقديم التوجيه والإرشاد النفسي للأفراد لمساعدتهم في التعامل مع الضغوط الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي تؤثِّر على هويَّتهم. يجب بناء برامج دعم تساعد الأفراد على التكيف مع المتغيرات من دون التأثر بها بشكل سلبي.

٧. **إعادة تأكيد المبادئ القيمية في مواجهة العولمة**: من خلال فكر الإمام علي عليه السلام، يجب أن يتمَّ التركيز على أهميَّة الحفاظ على القيم والمبادئ المحليَّة في عصر العولمة. يمكن تحقيق ذلك من خلال نشر الوعي حول أهميَّة الهُويَّة الثقافيَّة وأثرها على بناء المجتمعات المستقرة.

٨. **تشجيع التنوع الثقافي مع الحفاظ على الهُويَّة**: ينبغي تشجيع الحوار بين الثقافات المختلفة مع الحرص على أن يكون هناك احترام متبادل وفهم للمبادئ الثقافيَّة المحليَّة. يجب أن يسعى المجتمع إلى تقبل التنوع الثقافي وفي الوقت نفسه الحفاظ على الهُويَّة الأصلية من خلال التشجيع على الفهم العميق للذات.

الهوامش

١. مرتضى الزبيدي، تاج العروس: ٧/ ١١٠، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، تحقيق: علي شيري.

٢. موقع موضوع، وموضوع المقال: (تعريف الهوية)، تمت الكتابة بواسطة: محمد ابو خليف، آخر تحديث:، ٢٧ مارس ٢٠٢١.

٣. الشيخ الصدوق، الأمالي: ٥٣٢، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسَّسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.

٤. خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ٣/ ٥١، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران، تحقيق شرح: الشيخ محمَّد عبده، الطبعة: الأولى.

٥. ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ١٢٧، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.

٦. ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ٥٧، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

٧. العلَّامة المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١١/ ٣٦٢، سنة الطبع: ١٤٠٤ ق، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة - تهران، تحقيق محقق / مصحح: رسولى محلاتى، هاشم، الطبعة: الثانية.

٨. الشيخ عبد الله المامقاني (العلَّامة الثاني)، مرآة الرشاد: ٢١٠، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ . ق، الناشر: دار الزهراء - بيروت (لبنان)، الطبعة: ٦.

٩. الشيخ الطوسي، الأمالي: ٤٩٤، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسَّسة البعث، الطبعة: الأولى.

١٠. عبد الواحد الآمدى التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٥٢، سنة الطبع: ١٣٦٦ ش، الناشر: دفتر تبليغات - إيران ؛ قم، تحقيق محقق / مصحح: درايتى، مصطفى، الطبعة: الأولى.

١١. ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٢٢، سنة الطبع: ١٤٢٤ ق، الناشر: دليل ما - إيران ؛ قم، تحقيق محقق / مصحح: حرز الدين، عبد الرزاق محمد حسين، الطبعة: الأولى.

١٢. علي بن الحسن الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ٤٣٠، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى.

١٣. الشريف الرضي، خصائص الأئمة: ١١٠، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٠٦، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميَّة – الآستانة الرضوية المقدسة – مشهد - إيران، تحقيق: محمد هادي الأميني.
١٤. ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل: ١١/ ١٩٣، سنة الطبع: ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت - لبنان، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية.
١٥. الشيخ الكليني، الكافي: ٨/ ١٦٧، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة.
١٦. الإمام زين العابدين عليه السلام، شرح رسالة الحقوق: ٥٩١، سنة الطبع: ١٤٠٦، الناشر: مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، تحقيق: شرح: حسن السيد علي القبانچي، الطبعة: الثانية.
١٧. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٦٢٠، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى.

المصادر والمراجع

ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.

ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، سنة الطبع: ١٤٢٤ ق، الناشر: دليل ما - إيران؛ قم، تحقيق: حرز الدين، عبد الرزاق محمد حسين، الطبعة: الأولى.

ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

الإمام زين العابدين عليه السلام، شرح رسالة الحقوق، سنة الطبع: ١٤٠٦، الناشر: مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، تحقيق: شرح: حسن السيِّد علي القبانچي، الطبعة: الثانية.

خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران، تحقيق شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى.

الشريف الرضي، خصائص الأئمة، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٠٦، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميَّة - الآستانة الرضوية المقدسة - مشهد - إيران، تحقيق: محمد هادي الأميني.

الشيخ الصدوق، الأمالي، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسَّسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.

الشيخ الطوسي، الأمالي، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسَّسة البعث، الطبعة: الأولى.

الشيخ الكليني، الكافي، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة.

الشيخ عبد الله المامقاني (العلامة الثاني)، مرآة الرشاد، سنة الطبع: ١٤١٢ ه . ق، الناشر: دار الزهراء - بيروت (لبنان)، الطبعة: ٦.

عبد الواحد الآمدى التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، سنة الطبع: ١٣٦٦ ش، الناشر: دفتر تبليغات - إيران؛ قم، تحقيق: درايتى، مصطفى، الطبعة: الأولى.

العلَّامة المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، سنة الطبع: ١٤٠٤ ق، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة - تهران، تحقيق: رسولى محلاتى، هاشم، الطبعة: الثانية.

علي بن الحسن الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى.

محمد الريشهري، ميزان الحكمة، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى.

مرتضى الزبيدي، تاج العروس، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، تحقيق: علي شيري.

موقع، وموضوع المقال: (تعريف الهُويَّة)، تمت الكتابة بواسطة: محمد أبو خليف، آخر تحديث: ٢٧ مارس ٢٠٢١.

ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، سنة الطبع: ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت – لبنان، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية.

التوازن التربوي بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام

الشيخ عبد الغني إبراهيم جابر

مركز أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصيَّة

ملخص البحث

جاء بحثي هذا بعنوان (التوازن التربوي بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام، تناولت فيه رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتركيزها على أهميَّة التوازن بين العقل والقلب، وهو مفهوم يتجلَّى بوضوح في تراثه الفكري والأخلاقي. يُعدّ هذا التوازن محورًا أساسًا في بناء الشخصيَّة الإنسانيَّة؛ إذ يُظهر كيف يمكن للعقل أن يقود الإنسان إلى الفهم العميق للمبادئ، بينما يسهم القلب في توجيه العواطف وتنمية القيم السامية. في هذا السياق، يعدُّ الإمام علي رمزًا للحكمة والعدل؛ إذ عمل على تشجيع أتباعه على إدراك العلاقة التبادليَّة بين المعرفة العقلانيَّة والعاطفة القلبيَّة في مواجهة تحديات الحياة. فلذا جعلته موضوعًا لبحثي هذا الذي تكون من مقدِّمةٍ وثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة ذكرت في المقدِّمة: التعريف بالبحث، وبيان أهميَّته، والإشكاليَّة، ومنهج البحث.

- في المبحث الأوَّل: تناولت مفهوم العقل والقلب في تراث أمير المؤمنين عليه السلام والتوازن بينهما؛ إضافة لتعريف العقل والقلب وأهميَّة العاطفة في التربية وأهميَّة التوازن بين العقل والقلب والتطبيقات التربويَّة.
- أمَّا المبحث الثاني: فجاء بعنوان التحديات المعاصرة في التربية ودور الأسرة والمجتمع في تحقيق التوازن بين العقل والقلب، ودور المؤسَّسات التعليميَّة ودور التربية العقليَّة والعاطفيَّة في ذلك إضافة للأنشطة الاجتماعيَّة.
- وأمَّا المبحث الثالث: فخصَّصته لبحث التطبيقات العمليَّة في المجتمع والتأثيرات الثقافيَّة والدينيَّة والمقارنة مع مدارس فكريَّة أخرى.
- أمَّا الخاتمة: فقد أجملت فيها أهم ما ورد في البحث، وما توصَّلت إليه من نتائج تعكس رؤية أمير المؤمنين عليه السلام العميقة والشاملة للتربية الإنسانيَّة، والتوصيات في ضوء رؤية الإمام علي عليه السلام حول التوازن التربوي بين العقل والقلب.

Abstract

This research, titled "The Educational Balance Between Mind and Heart in the Heritage of Imam Ali (AS)", explores Imam Ali ibn Abi Talib's (AS) vision of balancing intellect and emotion as a cornerstone of human character development. This balance is central to his ethical and intellectual legacy, emphasizing how the mind guides profound understanding of principles while the heart nurtures noble values and emotional direction. Imam Ali (AS), a symbol of wisdom and justice, encouraged his followers to recognize the interdependence of rational knowledge and heartfelt emotion in addressing life's challenges.

Structure of the Research

1.Introduction

* Research definition, significance, problem statement, and methodology.

Chapter 1

* Concepts of Mind and Heart: Definitions, their roles in Imam Alis (AS) teachings,
* and the importance of emotional intelligence in education.
* Balance: The necessity of equilibrium between reason and emotion, with practical educational applications.

Chapter 2

* Contemporary Challenges:
* Role of family, society, and educational institutions in fostering this
* balance.
* Integration of intellectual and emotional education through social
* activities.

Chapter 3:

* Practical Applications:
* Cultural and religious influences on education.
* Comparative analysis with other philosophical schools.

5. Conclusion:

* Summary of findings reflecting Imam Alis (AS) holistic vision of human
* education.
* Recommendations for applying his principles to modern educational
* frameworks.
* This research underscores Imam Ali's (AS) timeless wisdom in harmonizing rational thought and

emotional depth, offering a roadmap for nurturing balanced, ethically grounded individuals

مقدِّمة

تتجلَّى فكرة التوازن التربوي بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام كأحد الجوانب الأكثر عمقًا ووضوحًا في تعاليمه وأفكاره؛ إذ يُعدُّ هذا التوازن محورًا رئيسًا؛ لفهم التربية في سياق إسلامي عميق.

الإمام علي عليه السلام لم يكن مجرَّد شخصيَّة تاريخيَّة بارزة فحسب؛ بل كان فيلسوفًا ومربيًا؛ إذ أسَّس قيمًا تربويَّة تهدف إلى تحقيق انسجام بين العقل، الذي يمثِّل المعقول والمنطقي، والقلب، الذي يجسِّد العاطفة والمشاعر الإنسانيَّة. وهذا الانسجام يُعدُّ ضروريًّا لتكوين إنسان متكامل قادر على التعامل مع التحديات المعاصرة.

من دون شك، تنعكس فلسفة الإمام علي عليه السلام في التربية على مجموعة من المفاهيم التي تتضمَّن الاحترام المتبادل، الحكمة، والإخلاص. يُمَكن مقاربته من بناء شخصيَّة متوازنة، تعيد تعريف النجاح ليس فقط من خلال الإنجازات العقليَّة؛ بل أيضًا عبر النضوج العاطفي والروحاني.

تبرز أهميَّة هذا التوازن في كونه يُفضي إلى تكوين أفراد يتحلون بالقدرة على اتخاذ قرارات حكيمة واهتمام حقيقي بمسؤولياتهم تجاه أنفسهم والمجتمع. وبالتالي، تشكل تعاليم الإمام علي عليه السلام مصدر إلهام للعديد من الحركات التربويَّة الحديثة الساعية إلى إعادة صياغة مناهج التربية بما يتماشى مع المتطلبات الإنسانيَّة المعاصرة.

يتعيَّن علينا أيضًا النظر إلى تجارب الإمام علي عليه السلام في القيادة، التي أبرزت كيف يمكن أن يتكامل العقل مع القلب في صياغة مواقف واقعيَّة.

يتطلَّب التطور الحضاري في المجتمع الإسلامي تقديم نماذج التعليم التي تؤكِّد على أهميَّة هذا التوازن، الذي فيه تعزِّز القيم الإنسانيَّة والأخلاقيَّة.

إنَّ فهمنا لهذا التوازن التربوي يفتح آفاقًا جديدة لاستشراف مستقبلٍ يستطيع فيه الأفراد تحقيق ذواتهم في سياق يجعلهم أعضاء فاعلين وبنَّائين في مجتمعاتهم. الامتثال

لهذا الإطار التربوي يشكِّل حجر الزاوية لبناء مجتمع يسعى إلى التقدم والازدهار، متسلحًا بالتعاون والتوازن بين العقل والقلب على وفق مبادئ الإمام علي عليه السلام.

أهميَّة البحث

يمكن تلخيص أهميَّة البحث في النقاط التالية:

- معرفيًا: كشف الرؤية التربويَّة الشاملة في تراث الإمام.
- عمليًا: تقديم حلولٍ لأزمات التربية المعاصرة.
- حضاريًا: إحياء الأنموذج الإسلامي في مواجهة النظريات الماديَّة

إشكاليَّة البحث:

هل يمكن توظيف تراث الإمام علي عليه السلام في تحقيق توازن تربوي بين العقل والقلب لمواجهة التحدِّيات المعاصرة؟

منهجيَّة البحث:

اعتمد البحث على مناهج عدَّة أهمُّها:

١. المنهج التحليلي لأقوال الإمام في نهج البلاغة.

٢. المنهج المقارن مع المدارس الفكريَّة الغربيَّة.

٣. دراسة حالات تطبيقيَّة في مجتمعات إسلاميَّة.

المبحث الأوَّل:

مفهوم العقل والقلب والتوازن بينهما والأساليب التربويَّة في تراث الإمام علي عليه السلام.

المطلب الأوَّل: مفهوم العقل في تراث الإمام علي عليه السلام

مفهوم العقل في تراث الإمام علي عليه السلام يُعَدُّ من أبرز النقاط التي تبرز عمق فهمه للدين والوجود. فالعقل، في رؤيته، يُعَدُّ أداة ساحرة للتمييز بين الحق والباطل، الأمر الذي يجعل إدراكه لحقيقة الأشياء للسير في دروب الحكمة والمعرفة.

يعرِّف الإمام علي عليه السلام العقل أنَّه الأداة التي تمكن الإنسان من فهم الأمور بعمق وبصيرة، ممَّا يسهم في توجيه السلوك والأفعال بوجهة متسقة مع القيم والمبادئ الأخلاقيَّة[1]. في هذا السياق، يتجاوز مفهوم العقل حدود الفهم النظري؛ ليُصبح تجسيدًا فعليًّا للوعي والمعرفة التي تشكِّل أساسًا لتحصيل الفضائل والتهذيب الذاتي.

وتناول الإمام علي عليه السلام في أقواله العديد من الأدلة العقليَّة التي توضح أهميَّة استخدام العقل في مختلف جوانب الحياة. في خطبه وكلماته، يُظهر فطنة بالغة حين يشير إلى ضرورة اعتماد العقل بوصفه مرجعًا للحكم بين الحق والباطل، مُبرزًا أنَّ استعمال العقل ليس مجرَّد اختيار؛ بل واجب يتعيَّن على كلِّ إنسان أن يقوم به[2].

يعدُّ الإمام أنَّ العقول هي ميراث الأنبياء، ممَّا يضع العقل في منزلة سامية ويعكس قيمة الحكمة في الفكر الإسلامي.

يوصي بالتأمل والتفكر بوصفها وسيلة لفهم الدين، مشددًا على أنَّ اليقين لا يأتي إلَّا من خلال تحكيم العقل في النصوص والتجارب.

إضافة إلى ذلك، يترابط مفهوم العقل مع الأخلاق في تراث الإمام علي عليه السلام؛ إذ يراها كحارس للقيم العليا.

الأخلاق والعقليَّة المثلى يولد في النهاية إنسانًا متوازنًا قادرًا على الاسهام الفاعل في المجتمع، ممَّا يعكس الفكرة الرئيسية لهذا التراث: العقل هو الطريق إلى الفضيلة، بينما تهذيب النفس يعتمد على استثمار هذه القدرة العقليَّة بشكل فعَّال. هكذا، يتحوَّل مفهوم العقل في تراث الإمام علي عليه السلام إلى نواة حيوية لا تكمن فقط في المعرفة النظرية؛ بل تشمل دعوة عمليَّة نحو الاعتماد على العقل والإرادة في تشكيل الهُويَّة والتفاعل مع محيط الإنسان(٣).

تعريف العقل وأهميَّته

يشير "العقل" في تراث الإمام علي عليه السلام إلى القدرة الذهنيَّة الأساس، التي تُعدُّ آليَّة التفكير والمقدرة على الفهم، واستنتاج المعلومات(٤).

يمتاز العقل بإمكانيَّته على التجريد، ممَّا يمكِّنه من تحليل الظواهر والأحداث فكريًّا، واستنتاج المبادئ والأسس الفكريَّة التي تُبنى عليها المجتمعات.

يُعرّف العقل في العديد من الثقافات، بما في ذلك الفكر الإسلامي، أنَّه أداة التقييم والحكم، التي تمكِّن الأفراد من التمييز بين الخير والشر، الأصح والأدق، في مختلف جوانب الحياة.

تكمن أهميَّة العقل في كونه يجسِّد القوَّة الفكريَّة التي تُسهم في توجيه السلوك وتحريك الإرادة الإنسانيَّة نحو خيارات تتَّسم بالرشد والتعقل.

العقل لا يُعدُّ فقط مصدرًا للمعرفة فحسب، بل أيضًا وسيلة لتحقيق السيادة الفكريَّة وتحفيز الإبداع والمبادرة.

في التراث الإسلامي، وخصوصًا في أقوال الإمام علي عليه السلام، نجد تأكيدات متكرِّرة على الحاجة إلى استخدام العقل كمغذٍ أساسي لأخلاق الفرد ومعاملاته، فقال: **"العقول أئمَّة الأفكار"**(٥).

علاوة على ذلك، يُعدُّ العقل ركيزة أساسيَّة في بناء المجتمعات المتحضِّرة؛ إذ يُسهم في نشر القيم والفضائل التي تمنع الفوضى والجهل، ممَّا يعزِّز من النسيج الاجتماعي.

فالإمام علي عليه السلام يربط بين العقل والقلب في دعوته لرؤيةٍ شاملةٍ لكلّ منهما لتكامل الإنسان، ممَّا يشير إلى أنَّ العقل يجب أن يكون رائدًا في التوجيه، بينما يقوم القلب بدور الساعي إلى الخير والنية الصافية. هكذا، يُشكِّل العقل رمزًا للفهم العميق والعدل والحكمة، ممَّا يُعزِّز أهميَّة الارتقاء بالفكر بوصفه وسيلةً لتجسيد القيم الحقيقيَّة في المسار الإنساني **"لا عقل كالتدبير"**[٦].

تتجلَّى هذه المفاهيم في أقوال الإمام عليه السلام، ممَّا يُسهم في تجسيد إمكانيَّة الحصول على المعارف بالتفكير العقلاني؛ إذ يُعدُّ العقل من أدوات التفاعل الأساس لتحقيق السلام الداخلي والتنمية المجتمعيَّة.

إنَّ تأمُّلات الإمام علي عليه السلام تعزِّز من قيمة العقل؛ بوصفه الركيزة الأساسيَّة للمعرفة الحقيقيَّة والتفاعل الجيد مع الذات والآخر، ممَّا يعكس فهمًا عميقًا لدوره في الحياة البشريَّة وطرق التوازن بين العقل والعاطفة.

أدلَّة عقليَّة من أقوال الإمام عليه السلام

الإمام علي عليه السلام يُعَدّ واحدًا من أكثر الشخصيَّات تأثيرًا في الفلسفة الإسلاميَّة، وله أقوال تتناول موضوع العقل بأسلوب عميق وموحٍ.

في العديد من كلماته، يُبرز الإمام علي عليه السلام أهميَّة العقل بوصفه أداةً لتعزيز الفهم والتفكير النقدي، محذِّرًا من أنَّ الاعتماد على العاطفة فقط قد يؤدِّي إلى قرارات غير مدروسة.

في قوله **" ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين "**[٧] من هذه الكلمات، يتَّضح أنَّ العقل هو ما يرسِّخ التمييز بين الخير والشر، ويؤكِّد استحقاقه لدورٍ قيادي في توجيه الأفعال على وفق مبادئ الحق.

وجوب الاعتماد على العقل يُظهر كيف أنَّ العواطف الإنسانيَّة على الرغم من أهميَّتها، يجب أن تُقيد بفهم منطقي وعقلاني لضمان اتخاذ القرارات السليمة. إنَّ مثل هذه الإدراكات تسهم في بناء مجتمع يرتكز على الفهم والوعي، بعيدًا عن التشتت والضياع.

من جهةٍ أخرى، يُحسب للإمام علي عليه السلام مزج العقلانيَّة بالروحانيَّة، مؤكِّدًا على أنَّ استخدام العقل ليس مجرَّد ممارسةَ معرفيَّة فحسب؛ بل هو وسيلةٌ للوصول إلى البصيرة والروحانيَّة. عندما يربط بين الفكر والقلب، فإنَّه يرسم ملامح التوازن المثالي الذي يحتاجه الإنسان للإفادة من عطايا الحياة. ولذا، نجد في أقواله دعوةً للحكمة والتأمل، "من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم"[٨] هذه الاختزالات التركيبيَّة والمتداخلة تعكس الرؤية الشاملة للإمام علي عليه السلام التي تغذي جوع الروح وتأمل العقل، ممَّا يُظهر أن العقيدة الحقيقيَّة تتطلب من الإنسان أن يُوازن بين مشاعره وأفكاره لتحقيق كمال الذات" **بالعقل كمال النفس بالمجاهدة صلاح النفس**"[٩].

المطلب الثاني: مفهوم القلب في تراث الإمام علي عليه السلام

في تراث الإمام علي عليه السلام، يمثل القلب مركزًا حيويًا في فهم الإنسان، حيث يتجاوز مفهومه الفسيولوجي ليغدو رمزًا للوجود البشري في أبعاده الروحيَّة والعاطفيَّة.

يُعرَّف القلب بوصفه ليس مجرد عضوٍ حيوي؛ بل ككائنٍ يحتوي على الحكمة والإدراك. في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، يتم التأكيد على أن القلب هو المعوِّل الذي يتجلَّى من خلاله الإيمان والتقوى، ممَّا يستدعي ضرورة تعزيز الصورة الروحيَّة التي يمتلكها الإنسان. وبالتالي، يُعبر القلب في هذا السياق عن القدرة على الشعور والتفاعل مع القيم الروحيَّة بصورة عميقة، ممَّا يجعله محورًا مركزيًا في التربية الإسلاميَّة، التي سعى الإمام علي عليه السلام إلى تأسيسها "**أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وقَرِّرْهُ بِالْقَنَاعَةِ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا**"[١٠].

تتجلَّى أهميَّة العاطفة في التربية من خلال رؤية الإمام علي عليه السلام التي تبرز ضرورة اندماج العقل والعاطفة في توجيه الأفعال والتصرفات. فالعاطفة، بحسب تراث الإمام، ليست ضعفًا أو عائقًا؛ بل أداة تعزِّز الفهم والتفاعل الإنساني. يُعدُّ القلب وسيلة لتعليم الأخلاق وتعزيز السلوكيات الإيجابيَّة. من خلال الاهتمام بالعواطف التجارية مثل الرحمة، والمحبة، والعدل، يمكن للمربي أن يُحدث تأثيرًا عميقًا على النشء، ممَّا يدعم القدرة على تبنِّي قيم سامية تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع.

إنَّ الدور المحوري للقلب والعاطفة في التربية الإسلاميَّة كما يراها الإمام علي عليه السلام، يعكس فهمًا شاملًا للإنسان بوصفه كائنًا معقَّدًا يحتاج إلى رعاية وتوجيه شامل، يجمع بين العقلانيَّة والعاطفيَّة، ويوصلنا إلى تكاملٍ يُسمح له أن يرتقي للأخلاق والقيم العليا.

في نهاية المطاف، يظهر مفهوم القلب في تراث الإمام علي عليه السلام بوصفه أداةً متكاملةً للتربية؛ إذ لا يمكن فصل القلب عن العقل. إنَّ الأبعاد العاطفيَّة والروحيَّة للقلب توضح كيف يمكن للأحاسيس أن تلعب دورًا رئيسًا في تشكيل الفكر والسلوك، ممَّا يعكس توازنًا تربويًا يُسلط الضوء على دور الحب والرحمة كوسائل فعالة في بناء الشخصيَّة السوية والمجتمع المتناغم، ففي عهده لمحمَّد بن أبي بكر حين ولَّاه مصر يوصيه: **"فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ"**[١١].

تعريف القلب ودوره

القلب، في تراث الإمام علي عليه السلام، هو مفهوم يتجاوز نطاق بيولوجيته كعضو حيوي ليصبح رمزًا لمستوى أعمق من الوعي الإنساني.

يُعدُّ القلب مركزًا للإدراك العاطفي والفكري؛ إذ يتركَّز حول تفاعلات النفس مع البيئة المحيطة. في هذا الإطار، يُعطى القلب مكانة بارزة ليس فقط كوسيلة لنقل المشاعر فحسب؛ بل كأداة معرفيَّة تستند إليها الفهم والتفكير.

الإمام علي عليه السلام يشير إلى القلب كأداة لتشخيص الحقائق وتقدير القيم؛ إذ يمكنه تمكين الشخص من إدراك المعاني الكامنة وراء الأحداث والظواهر "**إنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها**"(١٢).

دور القلب يتجلَّى في قدرته على التعلم والتكيف من خلال العواطف. فهو لا يتلقَّى المعلومات فحسب؛ بل يشارك في تعديل السلوك وتشكيل الاتجاهات.

في التربية، يلعب القلب دورًا محوريًّا في بناء القدرات الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة؛ إذ يساعد في تنمية التعاطف والرحمة. إنَّ القلب يُعتبر المؤشر الأساسي للنية، ممَّا يدفع الأفراد إلى اتخاذ القرارات التي تعكس قيمهم الأخلاقيَّة. في هذا السياق، نجد أنَّ تعليم القيم والمعاني مرتبط بشكل وثيق بفهم القلب ودوره، ممَّا يسهم في تشكيل شخصيَّة الأفراد ليكونوا متوازنين بين العقل والروح.

إضافةً إلى ذلك، يُبرز الإمام علي عليه السلام أهميَّة الوعي القلبي في التعامل مع التحديات. قلب الإنسان المدرك يمكن أن يستجيب بشكل أعمق للاختبارات الحياتيَّة، ممَّا يعزِّز من روح الفهم والتواصل مع الآخرين.

من خلال هذا المنظور، يبدو أنَّ القلب هو المفتاح ليس فقط لتربية الأفراد؛ بل لتطوير مجتمع متماسك قادر على استيعاب مختلف الأفكار والمشاعر. هذه الرؤية تعكس السعي نحو تحقيق التوازن بين العقل والقلب، ممَّا يؤدِّي إلى تربية أكثر إنسانيَّة وشمولية "**إنَّ العقل في القلب**"(١٣).

أهميَّة العاطفة في التربية

تعدُّ العاطفة عنصرًا حيويًّا في عمليَّة التربية؛ إذ تلعب دورًا أساسًا في تشكيل الشخصيَّة والتواصل الإنساني.

في تراث الإمام علي عليه السلام، نجد تأكيدًا على أهميَّة العاطفة بوصفها وسيلةً لتعزيز الروابط الاجتماعيَّة وتعليم القيم الأخلاقيَّة. إنَّ استثارة العواطف في العمليَّة التربويَّة لا تقتصر فقط على تطوير المشاعر الإنسانيَّة الأساسيَّة من حب وتعاطف فحسب؛ بل تتخطَّاها إلى مجال تأثير هذه المشاعر على التعلم واستيعاب المعرفة. فالتعلم الفعَّال يتطلب تفاعلًا عاطفيًّا يتيح للمتعلم الانخراط بعمق في المحتوى، ممَّا يُسهِّل الفهم ويعزِّز الذاكرة "**إنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية. ما ألقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك**"(١٤).

العاطفة تعمل كجسر بين العقل والقلب، وهذا التوازن ضروري للتربية المثلى. إنَّ غرس العواطف الإيجابيَّة كحبِّ الوطن، والرغبة في العطاء، والانتماء، يقود إلى التفاعل الاجتماعي الإيجابي، ويسهم في بناء أفراد يتمتعون بوعي اجتماعي وأخلاقي. فعندما يستشعر المتعلم أهميَّة مشاعره وارتباطها بتجاربه، يكتسب قدرة أعلى على المواجهة والتكيّف مع التحديات الحياتية. هنا يكمن سر تأثير العاطفة في التربية، حيث تخلق البيئة المشجعة التي تحث على التفوق وتحفز على التعلم المستمر.

وعلى جانب آخر، إنَّ إهمال العواطف في التربية قد يؤدِّي إلى تشويش في فهم المعاني والقيم التي يراد غرسها. فقد يُنظر إلى المعرفة كحقل جاف بعيد عن التطبيق العملي، ممَّا يقلل من دافع التعلم ويسبب انعدام الاهتمام.

تراث الإمام علي عليه السلام يبرز ضرورة دمج العواطف في التعليم كوسيلة لبناء مجتمع متكامل قادر على إحداث تغييرات إيجابيَّة. تنمية العواطف من خلال التربية تعني توجيه الأجيال نحو القيم السامية، وبالتالي التأثير ليس فقط على تجربتهم

التعليميَّة؛ بل وعلى مستقبل المجتمع ككل "**إنَّ العاقل يتَّعظ بالأدب والبهائم لا ترتدع إلّا بالضرب**"(١٥).

المطلب الثالث: التوازن بين العقل والقلب

التوازن بين العقل والقلب يمثِّل مفهومًا محوريًّا في الفكر التربوي للإمام علي عليه السلام؛ تعكس تعاليمه أهميَّة التكامل بين العناصر العقليَّة والعاطفيَّة في تعليم النفس وتوجيهها نحو السلوكيات الحميدة. العقل، بمكانته بوصفه مرجعًا للمنطق والأسباب، يوفر إطارًا يساعد الأفراد على اتخاذ قرارات مستنيرة وفهم الواقع بشكل أكثر عمقًا. من جهة أخرى، يمثِّل القلب موقعًا للمشاعر والضمير، وهما عنصران أساسيان يظهران قدرة الإنسان على التعاطف والتواصل مع الذات ومع الآخرين. من هذه الثنائيَّة، يظهر التعلم بالعقل القائم على المعرفة وتعزيز العواطف الأخلاقيَّة والسلام الداخلي كمسارات متكاملة للتطور الشخصي والفكري "**فمن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم**"(١٦).

وعليه، فإن التوازن بين العقل والقلب لا يجسد ضرورة فقط؛ بل يمثِّل رؤية شاملة للفكر التربوي تلزم الأفراد بمراعاة كلٍّ من المعطيات العقليَّة والعاطفيَّة؛ لتحقيق النمو الشخصي والتعلم الفعال. من المهم أن يُفهم التعليم على أنَّه عمليَّة متداخلة لا تقتصر على إكساب المعرفة؛ بل تشمل أيضًا تعليم القيم الإنسانيَّة ووضع نماذج تحفز النضج العاطفي والعقلي(١٧).

أهميَّة التوازن

التوازن بين العقل والقلب يعدُّ من المبادئ الأساسيَّة في الفلسفة التربويَّة؛ إذ يمثِّل البعدين المختلفين؛ لكن المتكاملين للوجود الإنساني.

في تراث الإمام علي عليه السلام، يظهر هذا التوازن بوصفه عنصرًا حيويًّا في تعزيز الشخصيَّة المتكاملة للفرد. الدمج بين العقلانيَّة، التي تتعلَّق بالتفكير النقدي والتحليل، والعاطفة،

التي تشمل المشاعر والأخلاق، يسهم في تكوين إنسان متوازن يستطيع اتخاذ قرارات مستنيرة وواعية. إنَّ اختلال هذا التوازن يمكن أن يؤدِّي إلى تفكك في الهُويَّة الفردية وفشل في التفاعل الاجتماعي، ممَّا يخلق تحديات ذات أبعاد متعددة في المجتمعات.

عند استقرار التوازن بين العقل والقلب، يصبح الفرد أكثر قدرة على مواجهة صعوبات الحياة وتعزيز الصحة النفسيَّة. يعدُّ العقل بمثابة دليله في بناء الآراء والتقييمات، بينما يعمل القلب على توجيه سلوكياته وقيمه. لهذا، فإنَّ التعليم الذي يعزِّز هذه العلاقة التكامليَّة يمكِّن الأفراد من تطوير مهارات مثل التعاطف، القدرات القياديَّة، وحل النزاعات. إنَّ الفهم العميق للأبعاد العاطفيَّة إلى جانب التحليل العقلاني يمهِّد الطريق لتفاعل اجتماعي إيجابي، ممَّا يسهم في بناء مجتمع متسامح ومتفهم[١٨].

إنَّ أهميَّة التوازن تكمن أيضًا في التأثير المستدام على القرارات المبدئية. أفراد النخبة الذين يتمتَّعون بتوازن جيد بين العقل والقلب هم عادة أكثر قدرة على توظيف المعرفة بشكل مسؤول، ممَّا يسهل تحقيق الأهداف العامَّة. لذا، فإنَّ تعزيز هذه الفلسفة التربويَّة بالمناهج التعليميَّة والأنشطة الاجتماعيَّة يتطلَّب تفكيرًا عميقًا ورؤية شاملة، ممَّا يعكس الحاجة الملحة لتعزيز هذا التوازن في الأجيال القادمة. بوجود هذه الأدوات المعرفيَّة والعاطفيَّة، يمكن للأفراد أن يصبحوا عوامل تغير إيجابيَّة في مجتمعاتهم، مؤكِّدين أهميَّة هذه المنهجية التربويَّة وضرورتها في نهج الإمام علي عليه السلام.

التطبيقات التربويَّة

تتجلَّى التطبيقات التربويَّة لإرساء التوازن بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام من خلال مجموعة من المبادئ والمناهج التي تبرز دور التعليم وتربية القيم الأخلاقيَّة في تشكيل شخصيَّة الأفراد.

عمليَّة التربية واحدة من أهمِّ الأدوات لتحقيق هذا التوازن؛ إذ تستند إلى تعزيز العقل عن طريق المعرفة والدراسة، بينما تعزِّز القلب بنشر معاني الرحمة والعاطفة. ومن

طريق ممارسات تربويَّة متكاملة، يمكن للمدرِّسين والمربين زرع قيم تعزِّز الاندماج بين التفكير العقلاني والعاطفة الإنسانيَّة، ممَّا يسهم في تكوين أجيال قادرة على مواجهة التحديات بسلوكيات ممَّا يعكس قوة كلا العنصرين.

إحدى التطبيقات الفعالة تتمثَّل في دمج المناهج الدراسية التي تركِّز على التفكير النقدي، والمناهج التي تنمي الحس الإنساني لدى الطلاب. يمكن تبنِّي برنامج تربوي يركِّز على تحليل النصوص الأدبيَّة والدينيَّة؛ إذ تعطى الأولويَّة لفهم المشاعر والأحاسيس البشريَّة في إطار العقلانيَّة والتفكير المنطقي. من الأمثلة على ذلك نصوص الإمام علي عليه السلام التي تجمع بين الحكمة الإنسانيَّة والعقلانيَّة، ممَّا يمكن الطلاب من تطوير مهارات التحليل والاتصال العاطفي. التعاون بين المعلمين والطلاب في البحث عن حلول لمشكلات اجتماعيَّة واقعيَّة باستخدام النظريات العقلانيَّة ومراعاة المشاعر يسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي، وبناء العلاقات الإنسانيَّة المتينة "**العاقل من لا يضيع له نفسًا فيما لا ينفعه**"(١٩).

علاوة على ذلك، يلعب الحوار دورًا محوريًّا في هذه التطبيقات؛ إذ يمكن أن يكون عبارة عن نشاطات تعليميَّة تحفز الطلاب على التعبير عن آرائهم ومشاعرهم بطرق نقدية وبناءة. يتطلَّب ذلك تهيئة بيئة تعليميَّة تحفز على الابتكار والاستكشاف، ممَّا يساعد الطلاب على استكشاف القيم الروحيَّة والعاطفيَّة في سياق عقلاني. بهذه الأساليب، يمكن للتربية أن تصبح جسرًا يربط بين عقل الإنسان وقلبه، ممَّا ينتج عنه مجتمع أكثر توازنًا ورحابة فكريَّة، وقادر على تحقيق الترابط المطلوب بين المعرفة والمشاعر.

المبحث الثاني

التحديات المعاصرة في التربية ودور الأسرة والمجتمع في تحقيق التوازن

المطلب الأوَّل: التحديات المعاصرة في التربية

تواجه التربية المعاصرة مجموعة من التحديات الجوهريَّة التي تعكس الفجوة بين العقل والقلب، وهو مفهوم أساسي في تراث الإمام علي عليه السلام، الذي يشدد على أهميَّة التوازن بين التفكير العقلاني والجانب العاطفي والروحي في تشكيل الشخصيَّة. يعد فقدان هذا التوازن من أبرز التحديات؛ إذ يتمُّ تسليط الضوء في المدارس والجامعات على تعزيز المعرفة الأكاديميَّة على حساب القيم الأخلاقيَّة والروحيَّة. في عالم يتَّسم بتسارع المعلومات وتفشي التكنولوجيا، يتمُّ تشجيع الطلاب على التفكير النقدي والتحليلي، ممَّا قد يؤدِّي إلى تعزيز النزعة العقلانيَّة على حساب تطوير العواطف والضمير. هذا الأمر يؤدِّي إلى تربية أفراد يفتقرون إلى التعاطف والانتماء الاجتماعي، ما ينعكس سلبًا على النسيج الاجتماعي[٢٠].

علاوة على ذلك، تُسهم التأثيرات السلبيَّة للعوامل الخارجية في تفاقم هذه التحديات. تتجلَّى هذه التأثيرات في وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الحديثة التي تروج لقيم سطحيَّة وأيديولوجيَّات سلبيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى تشكيل آراء مغايرة للقيم الأخلاقيَّة التي ينصُّ عليها التراث الثقافي والديني. إضافة إلى ذلك، يشكِّل الضغط الناتج عن التنافسيَّة العالية في المجال الأكاديمي والمهني عبئًا نفسيًّا على الطلاب، ممَّا يعزِّز شعورهم باللاجدوى ويقلِّل من ارتباطهم بالعالم الروحي. إذًا، ما بين التحديات البنيويَّة والضغوط النفسيَّة والروحانيَّة، تُعيق التربية المعاصرة تطور الأجيال القادمة وتفاقم من مشاكل الكفاءة الاجتماعيَّة والعاطفيَّة.

بالنظر إلى هذا السياق، يصبح من الضروري تطوير استراتيجيَّات تربويَّة شاملة تستند إلى الأسس التي جاء بها الإمام علي عليه السلام، من خلال تعزيز التوازن بين العقل

والقلب. ينبغي على المربِّين صياغة مناهج تعليميَّة تدعم التفكير النقدي جنبًا إلى جنب مع تنمية القيم الإنسانيَّة والروحانيَّة. هذه الرؤية الشموليَّة ستسهم في تيسير عمليَّة التربية المناسبة التي توفِّر أجيالًا قادرة على مواجهة تحديات العصر برؤية متكاملة وموزونة، تمزج بين العقلانيَّة والعاطفيَّة[٢١].

فقدان التوازن

فقدان التوازن بين العقل والقلب يعدُّ من الظواهر البارزة في التربية المعاصرة؛ يتَّضح أنَّ التوجهات التعليميَّة غالبًا ما تتَّجه نحو تعزيز المعارف العقلانيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى تهميش الجانب العاطفي والروحي. في الوقت الذي تُقيَّم فيه العمليَّة التعليميَّة بناءً على النتائج الأكاديميَّة والمعايير الكميَّة، فإنَّ غياب التوازن يفضي إلى آثار سلبيَّة على تطوير الشخصيَّة الشاملة للمتعلمين. إذ لا تُعدُّ المعرفة الفكريَّة وحدها كافية لإنتاج الفرد المتوازن؛ بل ينبغي أن تتلازم مع تنمية التجارب العاطفيَّة والروحيَّة التي تدعم الفهم والشعور.

من جانب آخر، يشير تراث الإمام علي عليه السلام إلى ضرورة تناغم العقل والقلب في التربية؛ إذ توضِّح أقواله وأفعاله أنَّه لا بدَّ من إعادة النظر في النهج التعليمي الذي يتمُّ اعتماده. فالإمام علي، بمبادئه، يبرز أهميَّة الوعي بالمشاعر والأحاسيس بوصفه جزءًا متكاملًا من التجربة الإنسانيَّة؛ إذ يمكن للعقل أن يثمر بالكامل عندما يُغذَّى برؤية قلبيَّة. فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ التربية التي تفتقر إلى البعد العاطفي تؤدِّي إلى شيوع مظاهر القلق والاكتئاب بين الطلاب، ممَّا ينعكس سلبًا على تحصيلهم الأكاديمي وتفاعلهم الاجتماعي "أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى، أين القلوب التي وُهبت لله، وعُوقدت على طاعة الله"[٢٢].

يصعب على المتعلمين تكوين هويَّة متكاملة تُحقق التنشئة الاجتماعيَّة المطلوبة إذا ما استمر هذا الفقدان في التوازن. فالأفراد الذين لا يُراعى تطورهم العاطفي يعانون من

صعوبات في بناء علاقات صحيَّة وإيجابيَّة مع الآخرين، ويكونون أكثر عرضة للتطرف الفكري أو السلوكي. لذا، فإنَّ تعزيز التوازن بين العقل والقلب لا يعدُّ ترفًا تربويًا فحسب؛ بل ضرورة ملحة لضمان أن ينمو الأفراد ليكونوا أعضاءً فاعلين ومتوازنين في مجتمعاتهم. تعدّ هذه القضيَّة محور اهتمام أساسي للتربويين والمربين، الذين عليهم العمل الجاد على رسم معالم استراتيجيَّات تعليميَّة تُعيد هذا التوازن إلى مركز العمليَّة التعليميَّة[٢٣].

التأثيرات السلبيَّة على التربية

تعدُّ التأثيرات السلبيَّة على التربية من القضايا الحيوية التي تشكِّل تحدِّيًا أمام النمو المتكامل للفرد. من بين هذه التأثيرات، يأتي ضعف التوازن بين العقل والقلب؛ إذ يؤدِّي الانحياز نحو أحد الجانبين إلى تشكيل ثغرات في العمليَّة التربويَّة. عندما تهيمن العقلانيَّة الصرفة، تُهمل الجوانب العاطفيَّة والوجدانية، ممَّا ينتج عنه أفراد يتصفون بالبرود العاطفي أو عدم القدرة على التعاطف مع الآخرين. وفي المقابل، عندما يطغى الجانب العاطفي، قد تنغمس التربية في العواطف الزائدة، ممَّا قد يؤدِّي إلى فقدان القدرة على التفكير النقدي وصنع القرارات المبنية على أسس منطقيَّة.

إضافة إلى ذلك، يسهم تأثير الأسرة والمجتمع في تعزيز أو تقويض التوازن التربوي. فالتربية التي تفتقر إلى الدعم الاجتماعي أو التعزيز الإيجابي تصبح عرضة للتحديات التي تشمل القيم السيئة والسلوكيَّات السلبيَّة. تمثل نماذج التربية غير المتوازنة، كما هو الحال في البيئات الأسريَّة المفرطة في التسلط أو التراخي، عوامل تؤدِّي إلى إحباط قدرات الأفراد على التكيف، ممَّا ينعكس سلبًا على أدائهم الأكاديمي والاجتماعي. هوامش عدم الاستقرار العاطفي، الناتجة عن التربية غير المتوازنة، قد تؤثِّر على الصحَّة النفسيَّة للفرد، ممَّا يؤدِّي إلى اضطرابات مثل القلق والاكتئاب[٢٤].

في السياق الثقافي، تلعب النماذج الاجتماعيَّة المعتمدة على العنف أو الهيمنة دورًا كبيرًا في إنتاج أجيال تحمل في طياتها آثارًا سلبيَّة جدًّا على التفكير النقدي والأخلاقي.

هـذه البيئة تنتج أفرادًا قد يفتقرون إلى القدرة على ممارسة الحوار البناء، ممَّا يعزز ثقافة الصراع بدلًا من السلم والتفاهم. ومن هنا، يتَّضح أن التأثيرات السلبيَّة على التربية تحتاج إلى معالجة شاملة، تدمج بين العقل والقلب في عمليَّة التعلم والنمو، مستمدة من التراث الغني للإمام علي عليه السلام الذي ينادي بتوازُن القيم الإنسانيَّة والنفسيَّة بوصفها سبيلًا للتربية الفعَّالة[٢٥].

المطلب الثاني: دور الأسرة في تحقيق التوازن

تلعب الأسرة دورًا حيويًّا في تحقيق التوازن بين العقل والقلب، ممَّا يعكس رؤية إمام علي عليه السلام حول التربية الشاملة التي تلبِّي احتياجات الفرد المتعددة. تُعدُّ الأسرة هي الوحدة الأساسيَّة التي يُبنى داخلها الفكر والشعور؛ إذ تتفاعل العوامل العقليَّة والعاطفيَّة في بيئة دافئة، ممَّا يسهم في تنشئة أطفال قادرين على فهم أنفسهم والعالم من حولهم. فالتربية العقليَّة تتضمن تعزيز التفكير النقدي وحل المشكلات، وهو ما يتيح للأبناء دراسة مختلف جوانب الحياة بشكل موضوعي وعلمي. بالمقابل، يتطلَّب الجانب العاطفي تطوير مشاعر الارتباط والرحمة، ممَّا يعزِّز قوَّة العلاقات الإنسانيَّة ويُمكّن الأفراد من التعامل مع الآخرين بلطف وصدق.

لتحقيق هذا التوازن، يجب أن تكون الأسرة ملاذًا لفتح قنوات التواصل الفعالة بين الرجال والنساء، بحيث تُطرح وجهات النظر المختلفة بوضوح. من الضروري أن يُشجَّع الآباء والأمهات على تعزيز قيم التفكير الاستباقي لدى أولادهم، من خلال النقاشات المفتوحة، محثِّين إيَّاهم على استكشاف أفكارهم ومشاعرهم. ويمكن أن تُستثمر اللحظات اليوميَّة؛ لتعليم الأطفال كيفيَّة التمييز بين العواطف الموجبة والسالبة، ممَّا يساعد على تطوير القدرة على اتخاذ القرارات التي تعكس مبدأ التوازن، وهو مفهوم محوري في تراث الإمام علي.

إضافة إلى ذلك، ينبغي للأسرة أن تُبرز أهميَّة الاحترام المتبادل؛ إذ يؤدِّي هذا إلى تعزيز القيم الإنسانيَّة النبيلة. من خلال العمل على دمج العقل والعاطفة، يتمكَّن الأطفال من تحقيق توازن صحي ينمي قدرتهم على التفكير بعمق وفي الوقت نفسه مُشاركتهم عواطفهم بطريقة تعزِّز من صحتهم النفسيَّة والاجتماعيَّة. هذا التآزر بين العقل والعاطفة، الذي يغرسه الإطار الأسري، يتجاوز دوره إلى بناء مجتمع متوازن يتمتَّع بروح التعاون والإنسانيَّة، مستمدًا من التعاليم الراقية للإمام علي[٢٦] عليه السلام.

التربية العقليَّة

تعدُّ التربية العقليَّة من الجوانب الأساسيَّة في تحقيق التوازن التربوي بين العقل والقلب كما اقترحه الإمام علي عليه السلام.

تشدد هذه التربية على أهميَّة تنمية القدرات العقليَّة والتفكير النقدي، ممَّا يساعد الفرد على تحليل المعلومات واتخاذ قرارات مدروسة. في التراث الإسلامي، يُعَدّ العقل أداة معرفيَّة ضروريَّة، ولا يقتصر دوره فقط على الاستدلال النظري فحسب؛ بل يمتدُّ ليشمل التفاعل العملي مع واقع الحياة. التأكيد على أهميَّة العقل في التعلم، كما جاء في نصوص الإمام علي عليه السلام، يعكس الوعي بأهميَّة تطوير مهارات التفكير والتأمل، ممَّا يسهم في تشكيل شخصيات متوازنة وقادرة على مواجهة تحديات العصر.

كذلك، تبرز التربية العقليَّة في دعوة الإمام علي عليه السلام إلى التعلم المستمر واكتساب المعرفة. يشدد خطابه على أهميَّة التعلم بوصفه مصدرًا للسمو الروحي والاجتماعي؛ إذ يُعزِّز الوعي الذاتي ويُثري الفهم العام. فالعقل، كما يقول الإمام: "**الانسان عقل وصورة، فمن أخطأه العقل ولزمته الصورة لم يكن كاملا وكان بمنزلة من لا روح فيه، فمن طلب العقل المتعارف فليعرف صورة الأصول والفضول، فإنَّ كثيرًا من الناس يطلبون [الفضول] ويضيعون الأصول، من أحرز الأصل اكتفى به عن الفضل**"[٢٧]، ممَّا يجعله أكثر قدرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع. تشير بعض النصوص إلى أنَّ التعليم

ليس مقتصرًا على المحاضرات والكتب؛ بل يمتدُّ ليشمل التجارب الحياتيَّة والنقاشات البنَّاءة مع الآخرين. إنَّ تنمية الفكر النقدي والقدرة على التحليل لها دور محوري في تعزيز القيم الإنسانيَّة وتطوير الذات.

علاوة على ذلك، ينبغي أن تتماشى التربية العقليَّة مع القيم الأخلاقيَّة والدينيَّة، بما يضمن تكامل الشخصيَّة. إنَّ مفاهيم العدل، والتسامح، والشجاعة التي استند إليها الإمام علي عليه السلام يمكن أن تعزِّز من السلوكيَّات المنطقيَّة، ممَّا يُصقل العقل بطريقة تعكس القيم الروحيَّة. إنَّ استهداف العقل بشكِّل مباشر يحث الأفراد على إطلاق طاقاتهم الفكريَّة في مجموعة واسعة من المجالات، من العلوم والدراسات الأدبيَّة إلى القضايا الاجتماعيَّة والسياسية، ممَّا يؤدِّي إلى إنسان متكامل قادر على الإسهام في التنمية المستدامة بهدوء وبحكمة، تُحَفِّز التربية العقليَّة الفرد على أن يكون منارة للمعرفة والوعي في محيطه.

التربية العاطفيَّة

تعدُّ التربية العاطفيَّة أحد العناصر الأساسيَّة في بناء شخصيَّة متكاملة؛ إذ تسهم في تنمية الفرد في جوانب متعدِّدة، تشمل النواحي الروحيَّة والاجتماعيَّة في تراث الإمام علي عليه السلام، نرى تأكيدًا على أهميَّة العواطف في توجيه الأفراد نحو السلوك القويم وتحقيق التوازن بين العقل والقلب.

إنَّ العواطف ليست مجرَّد انفعالات آنيَّة؛ بل هي أسس تنشئة الإنسان في بيئة مليئة بالقيم والأخلاق، ممَّا يدفع الأفراد إلى تعميق علاقاتهم بالمجتمع وتعزيز الروابط الأسريَّة.

واحد من المفاهيم الأساسيَّة التي قدَّمها الإمام علي عليه السلام في سياق التربية العاطفيَّة هو القدرة على التحكم في العواطف وفهمها. لم يقتصر التعليم على الجانب العقلي فحسب؛ بل أكَّد الإمام عليه السلام على ضرورة مزج المعرفة العقليَّة بالوعي العاطفي لتحقيق مستوى عالٍ من النضج الشخصي. فعلى سبيل المثال، كان يشدِّد على أهميَّة التعاطف والمودة

كأساس للتواصل الإنساني، الأمر الذي يعكس البعد الإنساني في علاقات الأفراد مع بعضهم بعضًا ففي عهده إلى مالك الأشتر:" **وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم**"(٢٨).

إنَّ التربية العاطفيَّة تتضمَّن تعزيز القيم الإيجابيَّة مثل الصبر، والرحمة، والتسامح، التي تؤدِّي إلى تكوين بيئة داعمة لتعزيز الثقة بالنفس والشعور بالانتماء. في سياق الأسرة، من الضروري تنمية هذه القيم داخل الإطار الأسرّي قبل التأثير على المجتمع الأوسع. هذا يتعلَّق بالتأكيد على دور الأسرة في تشكيل العواطف وقيم الأفراد، من طريق تربية وتعليم مستندين إلى مبادئ الاحترام والمحبة، كما رسمها الإمام علي عليه السلام(٢٩).

إنَّ التربية العاطفيَّة، إذًا، ليست مجرد عنصر إضافي؛ بل هي ضرورة لتحقيق التوازن المطلوب بين العقل والقلب، وبمدِّ الجسور بين الأجيال نحو مستقبل أكثر ازدهارًا.

من خلال فهم العواطف بشكل أعمق وتدريب الأفراد على التعبير عنها بشكل صحيح، يمكن تعزيز مرونة الفرد وقدرته على مواجهة التحديات والحفاظ على التوازن النفسي. لذا، فإنَّ التربية العاطفيَّة تستند إلى اعتراف عميق بأهميَّة القيم الإنسانيَّة والأخلاقيَّة، كما تجسد في توجيهات الإمام علي عليه السلام، التي تبقى راسخةً في كلِّ نظامٍ تربويٍّ يسعى إلى بناء مجتمعٍ متوازن ومتكامل.

المطلب الثالث: دور المجتمع في التربية المتوازنة

إنَّ دور المجتمع في تحقيق التربية المتوازنة بين العقل والقلب، كما يتَّضح من تراث الإمام علي عليه السلام، ينطوي على تفاعل متعدّد الأبعاد بين مختلف الأفراد والمؤسَّسات، فالمجتمع ليس مجرَّد مجموعة من الأفراد؛ بل هو نظام ديناميكي يتأثَّر ويتفاعل مع قيم وتأثيرات الثقافة والدين. تُعد المؤسَّسات التعليميَّة، كالأسر والمدارس، بمثابة محرِّكات أساسيَّة لنشر القيم الإنسانيَّة وتوجيه النزعات الفكريَّة والعاطفيَّة نحو التوازن.

تتطلَّب التربية المتوازنة على وفق منظور الإمام علي عليه السلام استعدادًا لتدريب كلٍّ من العقل والقلب، ويقترن ذلك بضرورة تأسيس بيئات تعليميَّة تعزِّز من التفكير النقدي وتعليم القيم الأخلاقيَّة.

تعمل الأنشطة الاجتماعيَّة، من جهةٍ أخرى كقناة لتجسيد هذه المفاهيم. من خلال الفعاليَّات والمبادرات المجتمعيَّة، يُمكن تعزيز قيمة الانتماء والتعاون. فالأحداث التي تجمع الأفراد من خلفيَّات ثقافيَّة ودينيَّة متنوِّعة تؤدِّي إلى تعزيز التعاطف والإحساس بالمسؤولية تجاه بعضهم بعضًا. على سبيل المثال، يمكن تضمين الأنشطة التوعوية التي تركِّز على الأخلاق والإنسانيَّة، ممَّا يعكس تعاليم الإمام علي عليه السلام في أهميَّة تربية الروح الإنسانيَّة بجانب التعليم الأكاديمي. وبالتالي، فإنَّ التعاون بين الأفراد والجهات المختلفة، بما في ذلك الأُسر، المدارس، والجمعيات، يؤدِّي إلى خلق بيئةٍ ومناخ تشجع على تنمية الأذكياء ذات التفكير النقدي والعاطفي المتوازن قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾[٣٠].

من هنا، يبرز دور المجتمع في دعم المبادرات التي تعزِّز من التفاعل الإيجابي وتكامل التجارب التعليميَّة. يمكن للمجتمع أن يوفِّر الدعم للبرامج التي تجمع بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي، وهو ما يُعدُّ ضروريًّا لبناء شخصيَّات متكاملة ينبغي على المجتمعات التوجه نحو تعزيز هذا النهج الشمولي في التربية؛ إذ يجتمع العقل والروح في تناغم، ممَّا يُسهم في تشكيل الأفراد الذين يتحمَّلون مسؤوليَّة أفعالهم، ويرتبطون بمحيطهم بشكلٍ إيجابي. فعندما تعزِّز القيم الاجتماعيَّة والثقافيَّة من خلال التعليم والمجتمع، يُصبح هذا التوازن بين العقل والقلب حقيقة ملموسة تُعيد الحياة للفكر المعاصر على وفق المنظور الذي دعا إليه الإمام علي عليه السلام.

المؤسَّسات التعليميَّة

تعدُّ المؤسَّسات التعليميَّة من الركائز الأساسيَّة في بناء نظام تربوي متوازن يجمع بين العقل والقلب، ولا سيَّما في إطار تراث الإمام علي عليه السلام، الذي يشدِّد على أهميَّة المعرفة والتربية الأخلاقيَّة.

يتجلَّى ذلك من خلال دور المؤسَّسات التعليميَّة، سواء كانت مدارس أو جامعات، في تشكيل شخصيَّة الطلاب على أسسٍ علميَّة وأخلاقيَّة. تحتاج العمليَّة التعليميَّة إلى أنموذج يتجاوز مجرَّد نقل المعلومات، نحو تعزيز التفكير النقدي والوعي الذاتي؛ إذ يتفاعل العقل مع العواطف، وتنمو قدرات الطلاب على المناقشة والحوار.

تسعى المؤسَّسات التعليميَّة إلى خلق بيئةٍ شاملةٍ تتفاعل فيها القيم الإنسانيَّة مع المعارف الأكاديميَّة.

تتفرَّد تجارب التعليم تحت مظلَّة تُراث الإمام علي عليه السلام بإدماج القيم الروحيَّة والإنسانيَّة في المنهج الدراسي. يُحتمل أن تشمل هذه التجارب برامج تعليميَّة يركِّزون فيها على تطوير الأخلاق والقيم، مثل العدالة، الإيثار، والاحترام. من التركيز على البعد الأخلاقي للعمليَّة التعليميَّة، يُمكّن الطلاب من توجيه معرفتهم نحو خدمة المجتمع، ممَّا يعكس رؤية شاملة تجعل من التعليم وسيلة لتحقيق التوازن بين العقل والقلب "**خير القول ما نفع، واعلم أنَّه لا خير في علم لا ينفع**"[٣١].

إنَّ دور المؤسَّسات التعليميَّة لا يقتصر على الفصول الدراسيَّة؛ بل تمتدُّ لتشمل الأنشطة اللامنهجيَّة التي تعزِّز من تنمية المهارات الاجتماعيَّة والعاطفيَّة للطلاب. من خلال المشاركة في الأنشطة الثقافيَّة والرياضيَّة، تتاح فرص لتجسيد القيم الإنسانيَّة مثل التعاون والعمل الجماعي، التي تعدُّ جوهر رؤية الإمام علي عليه السلام في التربية. لذا، يجب أن تسعى المؤسَّسات التعليميَّة إلى تطوير أساليب تدريس منتظمة وغير تقليدية، بما يعزِّز من تفاعل الطلاب مع عالمهم الخارجي، ويغذِّي روح العطاء والابتكار في

نفوسهم، محقِّقين بذلك توازنًا تربويًا يمزج بين المعرفة والعاطفة، وفي النهاية إنتاج جيل من القادة المستنيرين.

الأنشطة الاجتماعيَّة

تعدُّ الأنشطة الاجتماعيَّة جزءًا أساسًا في تكوين شخصيَّة الأفراد وتعزيز التوازن بين العقل والقلب، كما يتجلَّى ذلك في تراث الإمام علي عليه السلام.

تبرز هذه الأنشطة بوصفها وسيلةً فعَّالةً لتطبيق القيم التربويَّة التي دعا إليها، التي تعكس أهميَّة المشاركة الاجتماعيَّة والتفاعل الإيجابي مع محيط الفرد. تُسهم هذه الأنشطة في تعزيز الروابط بين الأفراد في المجتمع، ممَّا يجعلها عنصرًا مركزيًّا في عمليَّة التنشئة الاجتماعيَّة التي تتجاوز التعلم الأكاديمي.

تشمل الأنشطة الاجتماعيَّة مجموعة واسعة من الفعاليَّات، بدءًا من الأعمال التطوعيَّة التي تهدف إلى خدمة المجتمع، وصولًا إلى الفعاليَّات الثقافيَّة والرياضيَّة التي تجسِّد الاندماج والتواصل بين الأطياف المختلفة. على سبيل المثال، يعدُّ التطوع وسيلة فعَّالة ليس فقط لتطوير المهارات الفرديَّة وتوسيع المدارك؛ بل لتنمية روح التعاون والمشاركة أيضًا، وهي القيم التي أكَّد عليها الإمام علي عليه السلام من خلال توجيهاته حول العمل الجماعي والتضامن الاجتماعي. من خلال هذه الأنشطة، يتمكَّن الأفراد من التعلُّم من تجارب الآخرين، ممَّا يُسهم في دعم مسارات نموِّهم الشخصي والاجتماعي **"وَلَيْسَ امْرُؤٌ وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُه، وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُه، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَه اللهُ مِنْ حَقِّه، ولَا امْرُؤٌ وإِنْ صَغَّرَتْه النُّفُوسُ، واقْتَحَمَتْه الْعُيُونُ، بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْه"**[٣٢].

علاوة على ذلك، تُسهم الأنشطة الاجتماعيَّة في تنمية الحس الإنساني لدى الأفراد، بحيث تنعكس هذه الأنشطة على قدراتهم في استخدام العقل في صنع القرار والتفكير النقدي، وفي الوقت نفسه تعزِّز الجوانب العاطفيَّة مثل التعاطف والتقدير للآخرين.

ومن هنا، نجد أن هذه الأنشطة لا تعزِّز فقط الأبعاد الاجتماعيَّة؛ بل تسهم أيضًا في ترسيخ القيم الأخلاقيَّة والمبادئ الإنسانيَّة التي أكّد عليها الإمام علي عليه السلام في تراثه، ممَّا يساعد في بناء مجتمع متوازن يشجع الأفراد على التفاعل الإيجابي، ويتَّجه نحو تحقيق الرفاهيَّة العامَّة. وإنَّ قراءة هذا التراث تكشف لنا أهميَّة الأداء الاجتماعي بوصفه عنصرًا تنمويًّا، يمكن من خلاله إرساء دعائم ثقافة تعزِّز من توازن العقل والقلب في حياة الأفراد "**خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك، وإذا احتاج إليك أعفاك**"(٣٣).

المبحث الثالث

التطبيقات العمليَّة في المجتمع والتأثيرات الثقافيَّة والدينيَّة مع المدارس الفكريَّة.

المطلب الأوَّل: دراسة حالة تطبيقات عمليَّة في المجتمع

تعدُّ دراسة حالة "التوازن التربوي بين العقل والقلب" في تراث الإمام علي عليه السلام بمثابة دعوة عمليَّة لتطبيق المفاهيم الواسعة التي ناقشها الإمام في سياقات المجتمع الراهن.

إنَّ هذا التوازن يبرز أهميَّة تطوير ثقافة تربويَّة تسهم في كسب الأفراد مهارات عقليَّة متقدِّمة إضافة إلى تعزيز القيم الإنسانيَّة، التي يتجسَّد فيها القلب الروحي. من خلال استعراض عدد من التطبيقات العمليَّة، يمكن أن نوضِّح كيفيَّة دمج هذه المبادئ في الحياة اليوميَّة للأفراد وتأثير ذلك على المجتمع بشكل أوسع.

أحد النماذج العمليَّة يمكن أن يكون في مجال التعليم؛ إذ من الممكن اعتماد أساليب تعليميَّة تشجع على التفكير النقدي وتطوير التعاطف في آن واحد.

يجب أن تتضمَّن المنهجيَّات التربويَّة أنشطة تحفِّز على الإبداع الفكري إلى جانب تمارين تعزِّز من الذكاء العاطفي، ممَّا يجعل التوازن بين العقل والقلب ممكنًا في إطار الصفوف الدراسية. على سبيل المثال، يمكن إدراج برامج تعليميَّة تتركَّز حول الأخلاق، التي تعكس تعاليم الإمام علي عليه السلام من خلال تعليم الطلاب أهميَّة القيم الإنسانيَّة مثل العدالة، الإيثار، والعطاء. هذا الأنموذج يدعو إلى تمتُّع الطلاب بالقدرة على التفكير

النقدي وإبداء التعاطف، ممَّا يُسهم في تكوين شخصيَّات متكاملة تُسهم في تحسين المجتمع "**أوضع العلم ما وقف على اللسان، وارفعه ما ظهر في الجوارح والأركان**"(٣٤).

إضافة إلى ذلك، يُمكن لدور المؤسَّسات المجتمعيَّة أن يُسخر في تعزيز هذا التوازن من خلال تنظيم ورش عمل وجلسات حوار. هذه الفعاليَّات يمكن أن تعزِّز من الحسِّ الإيجابي والتفاعل الاجتماعي؛ إذ تُسلط الضوء على أهميَّة توافق المعرفة العاطفيَّة مع القدرات العقليَّة. من خلال توعية الأفراد حول كيفيَّة استثمار تلك القيم وتفعيلها في حياتهم اليوميَّة، يُمكن تعبيد الطريق نحو مجتمع أكثر انسجامًا وتعاونًا، وبالتالي نرى أثر تراث الإمام علي عليه السلام يتجسَّد في النسيج الاجتماعي، ممَّا يعمِّق فهم الأفراد للاتزان التربوي في السياقات المعاصرة.

المطلب الثاني: التأثيرات الثقافيَّة والدينيَّة

تتحدَّد التأثيرات الثقافيَّة والدينيَّة في تراث الإمام علي عليه السلام ضمن إطار متداخل يبرز التفاعل بين تعاليمه ومبادئه وأصول الحضارة الإسلاميَّة الراهنة، كما يظهر في كلامه مع ابنه الحسن عليه السلام وذلك قوله: "**أي بني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكَّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتَّى عدت كأحدهم؛ بل كأنِّي بما انتهي إليَّ من أمورهم، قد عمَّرت مع أوَّلهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلِّ أمرٍ نخيله، وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهولة**"(٣٥).

يمثِّل الإمام علي عليه السلام أنموذجًا حيًّا للتوازن بين العقل والقلب؛ إذ أسهمت أبعاد ثقافة الحكمة والتفكير النقدي في تشكيل الفكر الإسلامي في القرون الوسطى وما زالت تؤثِّر في الحركات الثقافيَّة المعاصرة.

تشير الثقافة التي ارتبطت بالخطاب العلوي إلى أهميَّة العقل بوصفه أداةً لفهم الأمور، ما يعكس القيمة العليا للتفكير المستقل والوصول إلى الحقائق، وبالتالي يمكن القول إنَّ تراث الإمام علي عليه السلام وضع مرجعيَّةً للتفكير الفلسفي والاعتباري في العالم الإسلامي.

على الصعيد الديني، ينتج عن هذا التوازن بين العقل والقلب أسسًا واضحة للمعتقدات والعبادات. فقد شدَّد الإمام علي عليه السلام على ضرورة الجمع بين المعرفة والروحانيَّة؛ إذ يتجلَّى ذلك في دعوته إلى استكشاف الذات من خلال الدين. يُعدُّ تكامل القيم الروحيَّة مع العقلانيَّة أمرًا جوهريًّا في الفكر الإسلامي، ممَّا يفسح المجال للعمق الروحي الذي يرافقه التأمُّل العقلي. يستند تأثير الإمام في هذا المجال إلى مقولات تؤكِّد أهميَّة المنطق العقلاني في فهم النصوص الدينيَّة وتوجيه الأفراد نحو تطبيق قيم العدالة والمحبة.

البعد الثقافي والديني الذي أرساه الإمام علي عليه السلام لا ينفكُّ عن تأثيره في المجتمعات الإسلاميَّة؛ إذ نتجت عن تعاليمه حركات فكريَّة متعدِّدة سعت إلى تعزيز القيم الإنسانيَّة والأخلاقيَّة. على سبيل المثال، أسَّس الفكر الشيعي المتنوِّر الذي يسعى لفهم النصوص الدينيَّة بطريقةٍ متجدِّدةٍ تعكس العصر؛ لكن مع الحفاظ على القيم الجوهريَّة للإسلام. يُظهر ذلك كيف أنَّ التأثير المتبادل بين الثقافة والدين يستمرُّ في التطور واستنباط الدروس من فكر الإمام علي عليه السلام، ممَّا يتيح للأجيال الجديدة الفرصة لاستلهام الحكمة والمبادئ اللائقة في عالم يعج بالتغييرات[٣٦].

الأبعاد الثقافيَّة

الأبعاد الثقافيَّة المتعلقة بالتوازن التربوي بين العقل والقلب في تراث الإمام علي عليه السلام تتَّسم بتعقيدها وثرائها؛ إذ تعكس تجربته الثقافيَّة والاجتماعيَّة التي نشأ فيها، فضلًا عن تأثيراته الفكريَّة ونظراته الفلسفيَّة التي أسهمت في تشكيل الهُويَّة الإسلاميَّة. إنَّ الإمام

علي عليه السلام لم يكن مجرَّد شخصيَّة تاريخيَّة؛ بل كان رائدًا في استخدام العقل بوصفه وسيلةً لفهم النصوص الدينيَّة والتفاعل مع الواقع الإنساني **"ما استودع الله امرأً عقلًا إلَّا ليستنقذه به يومًا ما"**(٣٧).

تنمُّ هذه الثقافة عن تكامل بين المعرفة العقليَّة والتجربة العاطفيَّة، ممَّا يعكس رؤيته للفرد الذي يعيش في تناغم مع ذاته وبيئته.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الفلسفة الثقافيَّة لدى الإمام علي عليه السلام تتجاوز المفاهيم السطحيَّة للعلم والمعرفة؛ إذ تشدِّد على ضرورة تربية الفرد ليصبح إنسانًا متوازنًا، يسخّر فيه العقل لنقد المشاعر والمواقف، ما يضمن تفاعلًا إيجابيًّا مع المجتمع. إذ يعكس هذا المبدأ أهميَّة التعلم الذاتي والبحث عن الحقائق، وهي قيم أساسيَّة في التقاليد الثقافيَّة الإسلاميَّة التي تعزِّز الوعي والتفكير النقدي. إنَّ توجيهات الإمام حول أهميَّة الأخلاق والعدالة بوصفها عناصر رئيسة في بناء المجتمع تضيف بُعدًا ثقافيًّا غنيًّا، يؤكِّد على دور القيم في تشكيل العلاقات الإنسانيَّة.

علاوة على ذلك، يمكن ملاحظة كيفيَّة ترابط تراث الإمام علي عليه السلام مع الثقافات المختلفة؛ إذ تكتسب مبادئه الأخلاقيَّة والعدليَّة زخمًا كبيرًا في مختلف المجالات.

إنَّ تبنِّي العقل والقلب بوصفهما وسيلتينِ تكاملتين للمعرفة يعكس تأثير الفكر الإسلامي في الثقافة البشريَّة. هذا التوجه يعزز من الحوار الثقافي والديني، ويقدم نموذجًا واضحًا في كيفية مواجهة التحديات المعاصرة، ممَّا يجعله مرجعًا يستلهم منه كثيرون في سعيهم إلى تحقيق التوازن بين العقلانيَّة والروحانيَّة. هذا الفكر الثقافي الواسع يكشف عن قدرة الإمام علي عليه السلام على التأثير ليس فقط في مجتمعه؛ بل في العالم ككل، عبر قيمه الفكريَّة والأخلاقيَّة التي تظل قائمة حتَّى اليوم.

الأبعاد الدينيَّة

تتجلَّى الأبعاد الدينيَّة في تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال توازن مثير بين العقل والقلب، وهو ما يتَّضح في العديد من نصوصه ووصاياه. يعكس هذا التوازن رؤية شاملة للدين؛ إذ يعدُّ عقل الإنسان أداةً لفهم الحقائق الدينيَّة بينما القلب هو مستودع الإيمان والمشاعر الروحيَّة.

في الإسلام، يشكِّل هذا التوازن الأساس لفهم العقيدة والممارسة؛ إذ يُعدُّ العقل وسيلة لتحديد التفسير الصحيح للنصوص الدينيَّة، بينما يُفترض أن يُقدّم القلب المكان الآمن للصفاء الروحي والتوجه نحو الله **"القلب وهو أمير الجوارح الذي به تعقل وتفهم وتصدر عن أمره ورأيه"**(٣٨).

في سياق التراث الإسلامي، يؤكِّد الإمام علي عليه السلام على أهميَّة العقل كوسيلة للإدراك الديني؛ لكنه أيضًا يتناول دور القلب في حثِّ الأفراد نحو العدالة والرحمة. فمن خلال توجيه الأتباع إلى ممارسات أخلاقيَّة تتقاطع مع التعاليم الدينيَّة، يشير إلى أنَّ الإيمان العميق يجب أن يتجسَّد في الأفعال.

ويتَّضح أيضًا في تراث الإمام علي عليه السلام بالنظر إلى رواياته وأحاديثه أنَّ توازن العقل مع القلب لا ينفي قيمة أحدهما لصالح الآخر؛ بل يسعى إلى تحقيق تكامل يُعزِّز من العبادات، ويوفِّر الفهم الأعمق لمقاصد الشريعة. يدعو الإمام بوضوح إلى الفهم العقلي للنصوص ومحتوى العقيدة، مع الحذر من التوجهات التي قد تبتعد عن الجوهر الروحي **"أَيُّها الناس اعلموا أَنَّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، أَلا وإنَّ طلب العلم أَوجب عليكم من طلب المال، إنَّ المال مقسومٌ مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أَهله وقد أمرتم بطلبه من أَهله فاطلبوه"**(٣٩).

وفي هذه السياق، يبقى تأثير الإمام علي﵇ راسخًا؛ إذ يعكس فهمًا عميقًا للعلاقة بين العقل والقلب، ما يدعو المعاصرين إلى استكشاف هذه الأبعاد الدينيَّة في نصوصه وأفكاره، ممَّا يسهم في تجديد الفهم والإيمان، محققًا تناغمًا بين السلوك الفردي والمجتمع ككل.

المطلب الثالث: المقارنة مع مدارس فكريَّة أخرى

تتراوح المقاربات الفكريَّة التي تتعلَّق بالتوازن بين العقل والقلب في تراث الإمام علي﵇ بين وجهات النظر الإسلاميَّة والغربية، ممَّا يتيح لنا فهمًا أعمق لمكانة هذا التوازن في السياقات الثقافيَّة والفكريَّة المختلفة.

في الفكر الإسلامي، يتمُّ التشديد على التناغم بين العقل والإيمان؛ إذ يُعدُّ العقل أداة لفهم المعاني العميقة للإيمان وتعزيز الأخلاق الفاضلة.

ينصُّ الإمام علي﵇ على أهميَّة استخدام العقل لفهم الحقائق الدينيَّة، ممَّا يعكس اهتمامًا فريدًا بتوظيف العقل في العبادة. على هذا النحو، يمثِّل خطابه أنموذجًا لفكر تكاملي يسعى إلى تحسين الروح من خلال المعرفة "العقل رسول الحق"(٤٠).

على صعيد آخر، يقود الفكر الغربي، وخاصَّة في تيارات الفلسفة العقلانيَّة، إلى تفضيل العقل على العاطفة. يمثِّل الفلاسفة مثل ديكارت وسبينوزا العقل كمرتكز أساسي للمعرفة، وقد عرضوا رؤية تبحث عن اليقين من خلال التفكير العقلاني. ومع ذلك، فإنَّ هذه النزعة العقلانيَّة كثيرًا ما تكون متعارضة مع التجارب العاطفيَّة والمعاني الروحانيَّة التي تتناولها المدارس القلبيَّة. بالمقارنة، يضع فكر الإمام علي﵇ قيمة متساوية على كلا العنصرين؛ إذ يعزِّز العقل كوسيلة لفهم الروح، ويشير إلى أنَّ القلب يحمل حكمة لا يمكن للعقل بمفرده إدراكها.

تنكشف بالمقارنة أنَّ التوازن المسمَّى بالعقلانيَّة الإسلاميَّة يتجاوز الصراع التقليدي بين العقل والقلب، مبرزًا إمكانيَّة التوافق والتناغم بين هذين العنصرين. فالعقل ليس فقط أداة للتفكير المنطقي؛ بل هو أيضًا وسيلة للتعمق في النفوس وفهم التجارب

الروحيَّة. وبهذا، يمكن القول إنَّ فكر الإمام علي عليه السلام يمثِّل رؤية شموليَّة يمكن أن تعزِّز الحوار بين مختلف المدارس الفكريَّة؛ إذ يُعدُّ العقل والقلب جزءين مكملين من سعي الإنسان نحو الحقيقة والمعنى. هذه النقاط التمايز تفصح عن أهميَّة المدرسة الفكريَّة التي أرسى لها الإمام علي عليه السلام، ممَّا يتيح إثراء النقاشات حول طبيعة العقل والقلب في السياقات الروحيَّة والفكريَّة "أصل الإنسان لبه، وعقله دينه"[٤١].

الفكر الإسلامي

الفكر الإسلامي يمثِّل نظامًا معرفيًا يتَّسم بالعمق والثراء؛ إذ يدمج بين العقل والقلب في عمليَّة البحث عن الحقيقة وفهم الوجود. هذا الفكر، الذي يجسد رؤية شاملة للكون والحياة، يستند إلى مجموعة من المصادر التأسيسيَّة، أبرزها القرآن الكريم ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها**﴾[٤٢] وأحاديث النبي محمَّد صلى الله عليه وآله؛ "**إنَّما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له**"[٤٣]؛ إذ يشكِّل هذان المصدران القاعدة التي تُبنى عليها المفاهيم الإسلاميَّة.

يركِّز الفكر الإسلامي على فكرة التوازن بين العقل والتجربة الروحيَّة، جاعلًا من التفكير العقلاني جزءًا لا يتجزَّأ من التجربة الإيمانيَّة، ممَّا يعكس رؤية شمولية تتجاوز مجرَّد التفسير العلمي. يعدُّ الفكر الإسلامي، في صميمه، دعوة للبحث عن الحقيقة، والاستجابة للاحتياجات الروحيَّة والفكريَّة للإنسان.

الأسس الفلسفيَّة للفكر الإسلامي تتنوَّع بين الاتجاهات المعتزلة والشعرية؛ إذ تجسد هذه الاتجاهات تباينات عميقة في فهم العلاقة بين العلم والدين. تغلب المعتزلة على العقلانيَّة، مؤكِّدين على قدرة العقل في الوصول إلى المعرفة وفهم العقائد، في حين كانت الأشعريَّة تميل إلى تأكيد دور النصوص الدينيَّة. هذه الخصوصيات تتجلَّى في طريقة معالجة قضايا مثل الإرادة الإنسانيَّة، والعدل الإلهي، ومكانة النبي، إضافةً إلى تأويل النصوص. يُنظر إلى الإمام علي عليه السلام بوصفها شخصيَّة محوريَّة في هذا السياق؛ إذ

جاء ليعبر عن توازن فريد بين العقل القادر على التأمل والروح المستشعرة للحقيقة المطلقة، ممَّا يعكس جوهر التعليم الإسلامي(٤٤).

عبر العصور، أثرت هذه المدارس الفكريَّة على العديد من المفكرين والعلماء، ممَّا أسفر عن ظهور حركات تجديديَّة تعيد تقييم العلاقة بين العقل والإيمان.

الفكر الإسلامي يبرز بوصفه فكرًا ديناميكيًّا يتجاوب مع التحديات المعاصرة، مؤمنًا بأهميَّة الفكر النقدي وضرورة التفاعل مع الثقافات الأخرى. في هذا الإطار، يبقى شغف الإنسان للبحث عن المعرفة معطًى أساسًا في الولادة الدائمة للفكر الإسلامي، ممَّا يفتح الأبواب أمام استكشافات جديدة تتجاوز الحدود التقليديَّة(٤٥).

الفكر الغربي

إنَّ الفكر الغربي يشكل نقطة انطلاق هامَّة لفهم كيفيَّة تعاطي العالم مع مفهوم التوازن بين العقل والقلب، وذلك من خلال مجموعة من المدارس الفكريَّة التي تجسِّد الصراعات والتوازنات بين العقلانيَّة والروحانيَّة. يشهد الفكر الغربي عبر الزمن تطورًا ملحوظًا، من الفلسفات اليونانيَّة القديمة التي أولت أهميَّة كبيرة للعقل، مثل أفلاطون وأرسطو، إلى العصور الوسطى؛ إذ تغيرت النزعة نحو مزيد من التأمُّل الروحي في أعمال الفلاسفة المسيحيين مثل توما الأكويني(٤٦). هنا، نجد فكرةً الجمع بين العقل والإيمان؛ إذ اعتبرت الأنسان كائنًا مركبًا يتطلب تنمية كليهما لتحقيق الكمال(٤٧).

مع بدء عصر النهضة، تبلور منهج فكري جديد يركِّز بشكل متزايد على الإنسان ذاته؛ إذ تحولت الفلسفات الإنسانيَّة إلى تكريس العقل بوصفه مصدرًا رئيسًا للمعرفة. الجدير بالذكر أنَّ هذا التحول شهد صراعًا مريرًا مع المعتقدات التقليديَّة، ممَّا أدَّى لتبنِّي مذاهب جديدة مثل المذهب التجريبي الذي دعا إلى التحقق من الحقائق من خلال التجربة؛ لكن على الرغم من ذلك، استمر وجود أصوات تدعو إلى الرعاية الروحيَّة والعاطفيَّة، مشددين على ضرورة توازن العقل والوجدان لتحقيق الرفاهيَّة الكاملة للفرد والمجتمع.

عنـد التطـرُّق لفكـر القـرن العشريـن ومـا بعـده، يتضـح أنَّـه قـد بـرزت انعكاسـات جديـدة لوحـدة العقـل والقلـب؛ إذ ظهـرت حـركات الفلسـفة الوجوديَّـة التـي عمـدت إلى تقييـم الحيـاة الإنسـانيَّة عـلى ضـوء التجربـة الفرديَّـة، متأثـرة بالفيلسـوف هايدغـر وسـارتر، الذيـن ناقشـوا الكينونـة والوجـود مـن زوايـا جديـدة. في الوقـت ذاتـه، تعاطـت الحـركات الإنسـانيَّة المعـاصرة مـع قضايـا مثـل الهُويَّـة والروحانيَّـة، ممَّـا أسـهم في خلـق سـيناريو جديـد يصبـو إلى التـوازن بـين العقـل والوجـدان، ممَّـا يفتـح آفاقًـا واسـعة لفهـم أعمـق يعـبر عـن التنـوع الـذي يجسـده الفكـر الغـربي، ويعكـس التحديـات التـي يواجههـا لتعزيـز التـوازن بـين العقـل والقلـب(٤٨).

خاتمة

تسهم رؤية الإمام علي عليه السلام في التوازن التربوي بين العقل والقلب في بناء مجتمع يراعي القيم الأخلاقيَّة والروحيَّة، وهذا التوازن يعد ضرورة حتميَّة لتطوير الشخصيَّة الإنسانيَّة المتكاملة. إذ يُظهر التراث المعرفي للإمام علي عليه السلام أهميَّة التفاهم بين العقل والتفكير الفلسفي من جهة، والعاطفة والمشاعر من جهةٍ أخرى، التي تُعد جزءًا لا يتجزَّأ من الوجود البشري. فقد أكَّد الإمام علي عليه السلام أنَّ التعليم يجب أن ينمِّي العقول ويوقظ القلوب؛ إذ إنَّ كلًّا من العقل والقلب أدوات للإدراك والوعي، ولا يمكن الاعتماد على أحدهم بشكل فرديٍّ دون الآخر.

إنَّ التوازن بين العقل والقلب يعني تفعيل القدرات المعرفيَّة والجوانب العاطفيَّة لتحقيق العمل الإيجابي الذي يخدم الأفراد والمجتمع ككل. بينما يعمل العقل على تحليل المواقف وإصدار الأحكام المنطقيَّة، فإنَّ القلب يمنح أعضاء المجتمع العاطفة والمثابرة للتغلب على التحديات. بهذا التوجه التربوي، يصبح التعليم ليس مجرَّد نقل للمعرفة فحسب؛ بل عمليَّة تعميق للوعي الإنساني وترسيخ للقيم. لذا، يُبرز الإمام علي عليه السلام أهميَّة المرونة والقدرة على التكيف مع الأبعاد الوجدانيَّة في التربية؛ ليصبح الفرد قادرًا على التفاعل مع الظروف المتغيرة بشكل أكثر فاعليَّة.

في الختام، يُظهر التُّراث التربوي للإمام علي عليه السلام معاني عميقة حول ضرورة استقاء الحكمة من التجارب الحياتيَّة، التي لا يمكن أن تكتمل من دون هدى العقل وصوت القلب. إنَّ تكامل العقل والقلب يشكل في جوهره ركيزةً للنهضة الثقافيَّة والاجتماعيَّة التي تسعى إلى تحقيق العدالة والتنمية المستدامة. ومن هنا يتَّضح أنَّ التوازن بين هذه العناصر ليس خيارًا فحسب؛ بل ضرورة تنبثق في ميزان أخلاقي يضمن استقامة الأفراد ويسهم في بناء مجتمع متماسك. يعد هذا البعد التربوي دعوة للمربين والمعلمين كافَّة للاعتماد على الأسس العقديَّة في تشكيل أجيالٍ تسعى إلى الفهم العميق للإيمان، بغرض تقديم اسهامات طموحة وملموسة في مسار مستقبلهم ومجتمعاتهم.

نتائج البحث

لقد كشفت النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث عن التوازن الفريد الذي أرسى معالمه الإمام علي عليه السلام بين العقل والقلب، ممَّا يعكس رؤيته العميقة والشاملة للتربية الإنسانيَّة. تؤكد الدراسة بأن الإمام علي عليه السلام لم يعتبر العقل أداةً معرفيةً فحسب، بل اعتبره عنصرًا أساسيًا في توجيه السلوك البشري، في حين أنَّ القلب، بما يحمله من مشاعر وروابط إنسانيَّة، يمثِّل المصدر الروحي للتربية. هذه الرؤية المتكاملة تشير إلى أنَّ التوازن بين التخيل العقلي والانفعالات القلبيَّة هو شرط أساس لتحقيق التنمية الشاملة في الفرد والمجتمع.

علاوةً على ذلك، تبين أنَّ الإمام علي عليه السلام قد أسهم في توضيح مفاهيم العدالة والرحمة والتسامح، ممَّا يظهر أهميَّة التفاعل بين العقل والقلب في صياغة الشخصيَّة المهذبة والمجتمع الفاضل. فقد استعمل الإمام علي عليه السلام أساليب تربويَّة متعددة تدعم التعلم العاطفي وتعزِّز الفهم العميق للقيم الإنسانيَّة، ممَّا يشير إلى ضرورة التعليم على أسس فكريَّة وأخلاقيَّة متينة. ومن خلال توجيهاته، يتَّضح أنَّ العلوم العقليَّة والروحانيَّة لا بدَّ أن تتلازم؛ إذ يشكِّل الفهم العقلي العميق للكون والأخلاق جسرًا نحو تجسيد الشعور الإنساني الحقيقي.

تؤكِّد النتائج أنَّ تحقيق هذا التوازن يتطلَّب ضرورة إعادة النظر في المناهج التعليميَّة والتربويَّة المعمول بها اليوم، بحيث تُعطى الاعتبارات الروحيَّة والوجدانيَّة القدر نفسه من الأهميَّة كالمعارف الفكريَّة. وبالتالي، يسير هذا البحث نحو تعزيز الحاجة المُلحة لتبنِّي استراتيجيَّات تعليميَّة قائمة على التكامل بين العقل والقلب؛ إذ يمكن للمتعلمين أن يتطوروا ليصبحوا قادة فكرًا ووجدانًا في مجتمعاتهم، ممَّا يدعم الرؤية الشاملة للارتقاء بالإنسانيَّة نحو مستقبل أكثر سلامًا وتآزرًا.

التوصيات

في ضوء رؤية الإمام علي عليه السلام حول التوازن التربوي بين العقل والقلب، فإنَّه من الضروري اتِّخاذ خطوات تنفيذيّة تسهم في تجسيد هذه الرؤية في النظم التعليميَّة والتربويَّة المعاصرة.

أولى هذه التوصيات تتمثَّل في تكامل المناهج التعليميَّة، بحيث يشتمل المحتوى التعليمي على معارف عقليَّة وأخلاقيَّة متوازنة.

يجب أن تتَّجه البرامج الدراسيَّة نحو دمج التعلم الأكاديمي مع المهارات الحياتيَّة والقيم السلوكيَّة، مع التركيز على تعزيز التفكير النقدي والوعي الذاتي.

في هذا السياق، ينبغي للمؤسَّسات التعليميَّة وضع استراتيجيَّات تعليميَّة تدعم التطوير العاطفي والاجتماعي للطلاب، ممَّا يسهل عليهم استكشاف توازن الصحة العقليَّة والعاطفيَّة.

ثانيًا: تشجيع المعلمين على أن يكونوا أنموذجًا يحتذى به في تطبيق مبادئ التوازن بين العقل والقلب في تعاملاتهم اليوميَّة وممارساتهم التربويَّة. يتطلب ذلك تقديم برامج تدريبيَّة تركِّز على تطوير الكفاءات العاطفيَّة والتواصل الفعَّال، ممَّا يعزِّز من علاقاتهم بالطلاب ويخلق بيئة تعليميَّة شاملة ومشجعة. ينبغي أن تعزِّز هذه البرامج القيم التربويَّة القائمة على الاحترام والتعاطف، التي تعكس الرؤية القويمة للإمام علي عليه السلام في كيفيَّة بناء إنسان واعٍ قادرٍ على التفاعل مع المجتمع.

أخيرًا، يجب تعزيز دور الأسرة والمجتمع في هذه العمليَّة التربويَّة. ويتعيَّن استلهام الدروس من التراث الإسلامي الغني حول أهميَّة العلاقات الأسريَّة والمجتمعيَّة في تنمية الشخصيَّة المتوازنة. من الضروري أن يُعطى الأهل وذوو الشأن الأدوات اللازمة؛ ليكونوا شركاء فعَّالين في توفير بيئة تُشجع على هذه التوازنات، من خلال ورش العمل والمبادرات التي تُرسخ هذه القيم في النسيج الاجتماعي. يتطلَّب الأمر

جهـودًا جماعيَّـة لضـمان ألا يقتـصر التعليـم عـلى مـا هـو أكاديمـي فحسـب؛ بـل يمتـد ليشـمل تعزيـز القيـم الإنسـانيَّة والروحيَّـة، ممَّـا يسـهم في تشـكيل جيـل جديـد يحمـل في طياتـه فكـرًا نـيرًا وعاطفـة متوازنـة.

والحمد لله ربِّ العالمين

الهوامش

١. نهج البلاغة، الخطبة ١١٤.
٢. العقل الإسلامي (قرآني - علمي - سياسي)، عبد الكريم شمس الدين، ص٢٨.
٣. الكافي، الشيخ الكليني، ج٣، ص٣٦٥.
٤. مصدر سابق، نهج البلاغة، الخطبة، ١١٤.
٥. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، ج١١، ص٢٠٧.
٦. مصدر سابق، نهج البلاغة، ص٣٦٩.
٧. ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢٠٤.
٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦٧، ص٧٣.
٩. مصدر سابق، ميران الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢٧٤.
١٠. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمَّد الليثي الواسطي، ص٨٥.
١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٥، ص٦٣.
١٢. مصدر سابق، ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢٦٠.
١٣. العقل والجهل في الكتاب والسنة، الريشهري، ص٤٠
١٤. مصدر سابق، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٣٠١.
١٥. مصدر سابق، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦٨، ص٣٢٨.
١٦. مصدر سابق، العقل والجهل في الكتاب والسنة، الريشهري، ص٣٩
١٧. بين العقل والقلب الإعجاز المبين، ماهر جميل بايزيد، ص١١٢
١٨. المصدر السابق، ص١١٣.
١٩. مصدر سابق، ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص٢٠٤٥
٢٠. تربية الطفل - الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص٧٦.
٢١. المصدر السابق.
٢٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٤٤، ص٢٤٥.
٢٣. منهج التربية عند الإمام علي عليه السلام، علي محمَّد حسين أديب، ص١١١.
٢٤. القلب ودلالاته عند الصوفيَّة، إيمان كمال مصطفى المهداوي، ص١٥٤.
٢٥. في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري، ص١٠٧.
٢٦. الحياة الأسرية في نهج البلاغة دراسة تاريخية، رند عباس عبد الغني الحمادي، ص٨٧.
٢٧. مصدر سابق، العقل والجهل في الكتاب والسنة، الريشهري، ص٥٣.
٢٨. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الريشهري، ج ٤، ص٢٣٤
٢٩. المصدر السابق.

٣٠.سورة المائدة: الآية ٢.
٣١.مصدر سابق، ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢١٠.
٣٢.مصدر سابق، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٩٢.
٣٣.مصدر سابق، ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص٤٦
٣٤.نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٤، ص٢٠
٣٥.المصدر السابق، ج٣، ص٤١.
٣٦.مصدر سابق، منهج التربية عند الإمام علي ع، علي محمَّد حسين أديب، ص٧٤.
٣٧.مصدر سابق، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص٤٠
٣٨.مصدر سابق، العقل والجهل في الكتاب والسنة، الريشهري، ص٤٠
٣٩.مصدر سابق، الكافي، الكليني، ج١، ص٣٠.
٤٠.غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمَّد آمدي التميمي، ج١، ص٣٧.
٤١.مصدر سابق، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١، ص٨٣.
٤٢.سورة محمَّد: الآية ٢٤
٤٣.مصدر سابق، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٤، ص٢٤٠.
٤٤.مصدر سابق، منهج التربية عند الإمام علي عليه السلام، علي محمَّد حسين أديب، ص١٠٧.
٤٥.المصدر السابق، ص١١٠.
٤٦.توما الأكويني أحدَ أعظمِ اللاهوتيين والفلاسفة في الكنيسة الكاثوليكيَّة (إيطاليا).
٤٧.الفكر الغربي دراسة نقديَّة، أحمد أنور سيد أحمد الجندي، ص٢٣٤.
٤٨.المصدر السابق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ط ١، ت ١٤٠٣هـ.

الأديب، علي محمَّد حسين، منهج التربية عند الإمام علي عليه السلام، مطلعة الحيدري، النجف الأشرف، ط ١، ت ١٣٨٠هـ.

آل شمس الدين، عبد الكريم، العقل الإسلامي (قرآني – علمي – سياسي)، دار الأضواء، بيروت، ط١، ت بلا.

الآمدي، عبد الواحد بن محمَّد، غرر الحكم ودرر الكلم، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ت ١٣٦٦هـ.

بايزيد، ماهر جميل، بين العقل والقلب الإعجاز المبين، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ت ١٤٣٢هـ.

الجندي، أنور أحمد، الفكر الغربي، دراسة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ط ١، ت ٢٠٠٧م.

الحمادي، رند عباس عبد الغني، الحياة الأسريَّة في نهج البلاغة – دراسة تاريخيَّة، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، كربلاء المقدسة، عدد ٢١٣، ت ٢٠٢٣م.

الريشهري، محمَّدي، العقل والجهل في الكتاب والسنة، دار الحديث، قم المقدسة، ط١، ت ١٤٢١هـ.

الريشهري، محمَّدي، موسوعة الإمام علي ع في الكتاب والسنة والتاريخ، دار الحديث، قم المقدسة، ط١، ت ١٤٢١هـ.

الريشهري، محمَّدي، ميزان الحكمة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ت ١٣٦٣هـ.

الطبرسي، حسين تقي النوري، مستدرك الوسائل، دار الخلافة، طهران، ط١، ت ١٣١٨هـ.

الكليني، محمَّد بن يعقوب، الكافي، مطبعة الخيام، قم المقدسة، ط٣، ت ١٤٠٣هـ.

المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ت ١٤٠٣هـ.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق، تربية الطفل – الرؤية الإسلاميَّة للأصول والأساليب، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، بيروت، ط ١، ت ١٤٤٠هـ.

مطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، الدار الإسلاميَّة، بيروت، ط ١، ت ١٣٢٣هـ.

المهداوي، إيمان كمال مصطفى، القلب ودلالاته عند الصوفيَّة، الجامعة العراقيَّة، كليَّة الآداب، العدد ١١، ت ١٤٣٧هـ.

الواسطي الليثي، علي بن محمَّد، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، قم المقدسة، ط ١، ت ١٣٧٣هـ.

دراسة في ضوء المنهج التربوي للإمام عليّ عليه السلام

أ.د. صالح عبد حسن الطائي

ملخَّص البحث

يُعالج هذا البحث أزمة الهويَّة الذاتيَّة التي يعانيها الإنسان المعاصر في ظلِّ التحولات المتسارعة للعصر الرقمي، وضغوط العولمة، والانفصال المتزايد عن الجذور الروحيَّة والقيميَّة. وينطلق من فرضيَّة أنَّ منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُقدِّم أنموذجًا أخلاقيًّا وروحيًّا متكاملًا يعيد للذَّات توازنها المفقود، ويؤسِّس لهويَّة قائمة على الوعي، والمسؤوليَّة، والكرامة الإنسانيَّة.

يُركّز البحث على تحليل مفاهيم محوريَّة في الفكر العلوي مثل الضمير، والوعي الذاتي، والتكامل بين الفكر والسلوك، بوصفها ركائز لإعادة بناء الذات في عالمٍ تتنازعُه النزعات الماديَّة والفردانيَّة. كما يطرح إشكاليَّة جوهريَّة مفادها: كيف يمكن للمنهج العلوي أن يسهم في تجاوز أزمة الذَّات الحديثة واستعادة المعنى الإنساني الأصيل؟

ويعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي المقارن، مستفيدًا من الرؤية الإسلاميَّة والفلسفات الإنسانيَّة الحديثة، ليقترح مشروعًا روحيًّا اجتماعيًّا متكاملًا يحقِّق التوازن بين الأصالة والانفتاح، وبين الإيمان والعقل، والذات والعالم.

الكلمات المفتاحيَّة: المنهج التربوي، الإمام علي عليه السلام، الهويَّة، التحولات الفكريَّة.

Abstract

Self-Identity and Contemporary Challenges: A Study in the Light of the Teachings of Imam Ali (PBUH)

This research explores the contemporary crisis of personal identity in the context of accelerating digital modernity, globalization, and spiritual disconnection. It proposes that the methodology of Imam Ali ibn Abi Talib offers a holistic ethical and spiritual model that can contribute to the reconstruction of the modern self.

The study focuses on central concepts such as conscience, self-awareness, and the integration of thought and action, as articulated in Imam Ali's sermons and sayings.

The research raises the key question: How can Imam Ali's approach help overcome the modern identity crisis and restore meaning to the self?

Using an analytical and comparative method, the study draws on Islamic thought and contemporary philosophy to outline a spiritual-social framework that enables the individual to achieve a balance between authenticity and openness, faith and critique, self and world.

الغاية من البحث:

البحث لا يقتصر على استعراض أقوال الإمام عليّ عليه السلام في بعدها الأخلاقي أو الديني التقليدي؛ بل يهدف إلى توظيف منهجه التربوي كأداة معاصرة لإعادة بناء الهويَّة الذاتيَّة للفرد المسلم، في مواجهة التحدِّيات الكبرى التي يفرضها عصر العولمة، التكنولوجيا الرقميَّة، الاستلاب الثقافي، وفقدان المعنى.

إذن الغاية الأساسيَّة هي:

سعى الباحث من خلال هذا البحث لإثبات صلاحيَّة المنهج التربوي العلوي على الرغم من مرور خمسة عشر قرنًا؛ لأن يكون أساسًا لمعالجة أزمات الهويَّة الفرديَّة والجماعيَّة في عالمنا المعاصر. وتقديم بدائل أصيلة لمواجهة التغريب والعدميَّة والاغتراب النفسي والروحي. وتجديد الخطاب الإسلامي باستحضار أنموذج حضاري وروحي عميق ومقدَّس، يوازن بين العقل والروح، بين الحريَّة والمسؤوليَّة، والفرد والمجتمع. وإلهام الشباب العربي والمسلم بضرورة العودة إلى قيم إسلاميَّة عليا وأصيلة لإعادة تشكيل الذات، بدل الارتهان لنماذج هويَّة زائفة أو استهلاكيَّة.

وبالمجمل يمكن القول إنَّ غاية البحث هي تحويل المنهج التربوي للإمام علي عليه السلام إلى مشروع عملي لإعادة بناء الهويَّة الذاتيَّة والروحيَّة في زمن التحدِّيات المعاصرة.

المقدِّمة:

قبل البدء بكتابة هذا البحث سألت نفسي: مع تقدُّم الإنسان وتغير الأزمان والمفاهيم والمصطلحات والقيم والعادات والتقاليد، كيف يمكن لمنهجٍ يعود إلى خمسة عشر قرنًا أن يُسهم في بناء الهويَّة الذاتيَّة للفرد والمجتمع المعاصرين؛ ليضعهما في مواجهة التحدِّيات الفكريَّة والثقافيَّة والسياسيَّة المعاصرة، المدعومة من قوى بعضها جبروتي معروف، والآخر سرِّي شيطاني خفي؟ وهل تصلح تلك الرؤية (العتيقة) لتصبح أساسًا لتجاوز أزمات التمزُّق الذاتي وضياع المعنى في عالمنا المعاصر؟

فاكتشفت أنَّ إبراز البُعد الحضاري والإنساني في الفكر التربوي للإمام عليٍّ عليه السلام، ومقارنة ذلك مع المناهج المعاصرة لا يؤكِّد أهميَّة وجوب الاعتماد على هذا المنهج فحسب؛ بل ويُؤمِّن لنا فرصة توظيف هذا الفكر لمعالجة أزمة الهويَّة الذاتيَّة المعاصرة للفرد المسلم، والسعي لتقديم بدائل أصيلة لمواجهة الاستلاب والتغريب والعدميَّة التي تعصف بإنساننا وبمجتمعاتنا العربيَّة والإسلاميَّة المعاصرة، والإسهام في تجديد الخطاب الإسلامي عبر استحضار نماذج روحيَّة وعقلانيَّة أصيلة لنقارع بها الزيف المستشري، أملًا في أن نحافظ على هويَّتنا وحريَّتنا وعقيدتنا.

ولتأمين هذا المطلب، يهدف بحثنا بقراءة منهج الإمام علي عليه السلام في بناء الذات وتفكيكه، إلى تحليل مفهوم الهويَّة الذاتيَّة ومكوِّناتها في السياق المعاصر، ومن ثمَّ استعراض أبرز التحدِّيات التي تواجه الهويَّة الفرديَّة والجماعيَّة، وهل يمكن توظيف المنهج العلوي لتحرير إنساننا المعاصر من التبعيَّة؟ والأهم من ذلك كله، هل ممكن استنباط آليَّات وأدوات عمليَّة من فكر الإمام عليه السلام لمواجهة أزمات العصر المتلاحقة؟

ولأنَّه بحث يعتمد على استقراء النصوص وتفكيكها، فهذا يتطلَّب استخدام المنهج التحليلي من أجل تحليل الاقتباسات من نصوص الإمام عليه السلام . فضلًا عن ذلك تتطلَّب مهارات المقارنة الاستنتاجيَّة الاستعانة بالمنهج المقارن لمقارنة رؤى الإمام مع

الطروحات التربويَّة والفلسفيَّة الحديثة التي تتكلَّم عن الهويَّة. وأخيرًا ولغرض فحص مدى صلاحيَّة الحلول المطروحة وجدتني بحاجة للاستعانة بالمنهج النقدي لتفكيك التحدِّيات المعاصرة.

هذا وقد قسَّمت البحث على مباحث فرعيَّة، لتمكن من إيصال فحواه بشكل سلس. وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدا وعلى وآله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأوَّل: الهويَّة الذاتيَّة مفهومها وسياقها التاريخي.

على الرغم من كثرة الدراسات المنجزة عن الإمام علي عليه السلام؛ وهي دراسات متشعِّبة، تناولت جوانب عديدة من سيرته وفقهه وحياته وعطائه، إلَّا أنَّه قلَّما تطرَّقت تلك البحوث إلى أثره في تشكِّل الهويَّة الذاتيَّة بمعناها الفلسفي والوجودي، وهذا قصور أرى أنَّ الوقت الراهن يدفعنا عنوة لتجاوزه عسى أن ننجح في تحديد الهويَّة ومعالمها للإفادة من المنهج العلوي في بناء الذَّات المسلمة المعاصرة؛ التي تتعرَّض إلى كثيرٍ من الصدمات التي أضعفتها، وجعلتها غير مستقرة. ذلك لأنَّ العالم المعاصر يشهد اليوم اضطرابًا متزايدًا في تحديد معالم الهويَّة الذاتيَّة للإنسان؛ نتيجة تحولات كبرى أحدثتها العولمة، والتكنولوجيا الرقميَّة المتطورة، والذكاء الاصطناعي، والاستهلاك الثقافي السريع، والتفكك السريع والمفاجئ للبنى التقليديَّة الحافظة للمعنى، وانحسار القيم التقليديَّة، وتبنِّي قيمًا وهميَّة فارغة المعنى. من هنا تأتي الحاجة إلى القيام الفوري بخلق مرجعيَّات روحيَّة وأخلاقيَّة قادرة على استعادة توازن الذات، ومساعدتها على التشكّل الواعي لتتمكن من الحفاظ على هيئتها التي تحفظ لها تفرُّدها وتوازنها بما يليق بإنسانيَّة الإنسان الحر الذي أراده الإسلام.

أمَّا لماذا منهج الإمام علي عليه السلام دون غيره من المناهج على كثرتها؟ فذلك لأنَّ منهجه عليه السلام انفرد بكونه الأبرز، وربما أوحد الأنموذجات الإسلاميَّة التي جمعت البعد الديني الروحي والأخلاقي والسياسي والاجتماعي والسلوكي سوية؛ ولأنَّها تمتلك الديمومة والاستمرار، لم ولن تؤثِّر فيها عاديات الزمان.

وهدفي من دراسة هذا المنهج جاءت بوصفه مدخلًا أساسًا وفعالًا؛ لبناء الهويَّة الذاتيَّة المعاصرة، علَّها تنجح في التصدِّي لإكراهات الحاضر وإسقاطاته المحملة بالحقد والانفلات الأخلاقي والقيمي، وتفشي روح الكراهيَّة والتكفير التي تتحكَّم بعلاقات البشر فيما بينهم، ولاسيَّما بين المسلمين أنفسهم؛ بل لأنَّه أيضًا مصدر إلهام شعَّ من نبع الإمامة العلويَّة والأنوار النبويَّة والرسالة الإسلاميَّة. من هنا، انماز هذا البحث بمحاولة الدمج بين حقولٍ تجمع بين الفكر الإسلامي، ودراسات الهويَّة، وفلسفة الذات، ونقد الحداثة.

إنَّ الهويَّة الذاتيَّة واحدة من المفاهيم المحوريَّة في الفلسفة والعلوم الإنسانيَّة، ولها معنيان:

الأوَّل: معنى جوهريًّا ثابتًا، يُنظر من خلاله إلى الهويَّة بوصفها كيانًا جوهريًّا ينماز بالتماسك والاستمراريَّة عبر الزمن.

والثاني: معنى تشكيليًّا ديناميكيًّا، يُبرز الطابع المتغير والمتشكل للهويَّة عبر التجربة والتفاعل مع السياقات المختلفة.

وقد عُرِّفت الهويَّة الذاتيَّة أنَّها: "الإحساس بمن أكون، ومن أين أتيت، وإلى أين أنتمي، وما الذي له قيمة عندي"[1]. وعرِّفت أيضًا أنَّها: "مجموعة السِّمات النفسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة التي يدرك الفرد من ذاته، ويكوّن بها وعيه بنفسه ككائن متميِّز عن غيره، يتمتَّع بالاستمراريَّة عبر الزمن، ويتفاعل مع بيئته ومجتمعه ضمن سياقات متعددة"[2].

إنَّ الهويَّة الذاتيَّة تشير عادة إلى الإحساس بـ "الأنا"، أي بكون الفرد هو نفسه عبر مراحل عمره، وهي تتشكَّل من تفاعل معقَّد بين الاستبطان النفسي والخبرة الاجتماعيَّة، ما يجعلها هويَّة متغيِّرة نسبيًّا؛ لكنَّها تحتفظ بنواةٍ ثابتةٍ في شعور الفرد بذاته. ولها أبعاد نفسيَّة، تشير إلى إدراك الشخص لذاته، وقدرته على اتِّخاذ القرار وتحمُّل المسؤوليَّة، طالما أنَّ: "الهويَّة الذاتيَّة هي شعور الفرد بوحدته وتفرده، وإدراكه لنفسه في الزمان والمكان. وهي تنمو مع نمو الوعي وتراكم الخبرة"[٣]. وأبعاد اجتماعيَّة؛ إذ تتكوَّن الذَّات من التفاعل مع الآخرين، وتُكتسب عناصر الهويَّة مثل اللغة والدين والعادات عبر هذا التفاعل، لأنَّها: "لا تتحدَّد إلَّا من خلال العلاقة مع الآخر، فالآخر مرآة للذَّات، ومكون أساسي في بنائها"[٤]. وأبعاد ثقافة لأنهَّا لا تتشكَّل في فراغ؛ بل تنبني داخل إطار ثقافي وقيمي يمثِّل مرجعًا لتحديد موقع الذات، ذلك لأنَّ: "وعي الإنسان بهويَّته يتجلَّى من خلال استبطانه للرموز الثقافيَّة السائدة، التي تحدِّد معالم الأنا وحدودها"[٥].

في المقابل، أصبحت الهويَّة مشروعًا مؤقتًا، يتمُّ تغييره أو حتَّى التخلِّي عنه على وفق مقتضيات السوق والقيمة الاجتماعيَّة[٦]. إذ يرى باومان[٧] أنَّ الهويَّة لم تعد تُفهم بوصفها معطًى ثابتًا أو جوهرًا داخليًّا أصيلًا؛ بل تحوَّلت في ظلِّ الحداثة المتأخرة أو الحداثة السائلة إلى مشروع مؤقت، هش، قابل للتغيير والتخلِّي عنه بحسب مقتضيات السوق، والصورة، وقيمة الأفراد في الشبكات الاجتماعيَّة[٨].

وهو يعتقد أيضًا أنَّ "الهويَّة لم تعد تُمنَح؛ بل تُختار... لكنَّها ليست اختيارًا لمرَّة واحدة؛ بل استهلاكًا مؤقتًا؛ مثل أي سلعة تُجرب وتُستبدل"[٩]. وهذا ما دفعه ليصف الهويَّة الحديثة أنَّها أشبه بمنتَج، يُشكّل الإنسان ذاته من اقتناء رموز وصور وقيم تتغيَّر على وفق الطلب، ثمَّ يعيد تركيب هويَّته حين تتغيَّر شروط السوق أو المكانة الاجتماعيَّة.

في المجتمعات التقليديَّة، كانت الهويَّة تُكتسب بالوراثة، الدين، الطبقة، اللغة، القبيلة. أمَّا الآن، فصارت شيئًا يُعاد تشكيله في كلِّ مرحلة؛ بل يُفصَّل بحسب مقاس السوق، وذلك بسبب هيمنة السوق والرأسماليَّة الرمزيَّة، ومن هنا اعتقد باومان أنَّ الإنسان الحديث يضطرُّ إلى تسويق نفسه بوصفها علامة تجاريَّة، ويعتمد في هويَّته على مدى قبوله في سوق العمل، وفي الشبكات الافتراضيَّة[١٠].

ويعني هذا على وفق رأيه أنَّ الهويَّة لم تعد نقطة انطلاق؛ بل أصبحت هدفًا يتطلَّب التحديث المستمر، ممَّا يجعل الإنسان يعيش في قلق وجودي دائم، يسعى فيه إلى تحسين ذاته، لا لأنَّها ناقصة؛ بل لأنَّها غير مرغوبة كما هي[١١].

وهذا بالتأكيد مخالف لما هي عليه في الفلسفة الإسلاميَّة، فالهويَّة الذاتيَّة في الإسلام ترتبط عادة بالعلاقة بين النفس والعقل والروح. ذلك لأنَّ هناك من يرى أنَّ "كمال الإنسان هو في التعقل"، فالعقل هو جوهر الذات، وليس الجسد أو الانتماء[١٢].

وكان الإمام عليه السلام على وفق التصور الإسلامي قد أسَّس تصوّرًا عميقًا للهويَّة الذاتيَّة، تجاوز المحدِّدات الماديَّة والقبليَّة، وصولًا إلى رؤية وعي شمولي قوامها الوعي بالله، وكرامة الإنسان، والعقل المسؤول. وهذا ما يفهم قوله عليه السلام: "أتحسب أنَّك جرم صغير... وفيك انطوى العالم الأكبر"[١٣]. إذ ربط الإمام عليه السلام بين الذات الإنسانيَّة والعالم الوجودي الأكبر، وهذا الربط ترجم مركزيَّة الإنسان بوصفه عالَما متكاملًا، وليس مجرَّد كائن محدود في هذا الكون الواسع. ومثله قوله عليه السلام: "قيمة كل امرئ ما يحسنه"[١٤]. إذ يستدلُّ من هذا القول على أنَّ الإمام عليه السلام جعل الهويَّة مرهونة بالفعل الأخلاقي والمعرفي، وليس بالنسب أو المال أو الجغرافيا أو القبيلة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل فقدت الهويَّة الذاتيَّة في العصر الحديث معناها؟ وهل تحتاج حقًّا إلى من يعيد لها المعنى المفقود؟ وما دور المنهج العلوي في هذه المعادلة؟

واقعًا لم تفقد الهويَّة الذاتيَّة معناها؛ لكنَّها فقدت براءتها وبساطتها عندما أصبحت مشروعًا متغيِّرًا، وصارت هويَّة مفتوحة في وجه التأويل والتعديل والتفكيك. وهذا جعلها أقل وضوحًا؛ لكنَّها أكثر حضورًا وإشكاليَّة من أيِّ وقتٍ مضى. وهذا لا يعني أنَّها بخير؛ لأنَّ جميع الدلائل تشير إلى أنَّ الهويَّة الذاتيَّة المعاصرة تشكو من فقدان المعنى، بعد أن تمَّ تغليب النزعة التقنيَّة والماديَّة على القيم الوجوديَّة. وهذا جعلها تعاني من تشظِّي الذات بسبب الضغوط النفسيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة؛ التي تركها تفكك الروابط التقليديَّة الضابطة مثل الدين، والأسرة، والأمَّة. وقد تحوَّلت بسبب هذه الإكراهات إلى واجهة ظاهريَّة تُصاغ عبر الإعلام الرقمي؛ ولكنَّها من دون عمق أخلاقي أو روحي. فالإنسان في الأنموذج الحداثي: "فقد مركزه كمرجعيَّة عليا، وأصبح مادةً كغيره من المواد"[١٥]. وهذا التحول يؤسِّس بالتأكيد لذات مفرغة، تعاني الاغتراب والاستلاب. والمعروف أنَّ مفهوم "الاغتراب" (alienation) يرتبط بشعور الانفصال عن الذات، وفقدان التوازن بين عالمي الداخل والخارج.

وعلى الرغم من أنَّ الفلسفة الوجوديَّة من إفرازات عصرنا الراهن، إلا أنَّ الإمام عليه السلام تحدَّث عن هذا المعنى بصيغة وجوديَّة عالية، مثلما يفهم من قوله: "الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة"[١٦]. ففي هذا القول دلالة على أنَّ غربة الإنسان في وطنه أعظم كثيرًا من غربته في بلد غير بلده، وفيه إشارة إلى أنَّ الاغتراب ليس جغرافيا؛ بل روحيًّا ومعنويًّا. ومع تراجع المرجعيَّات القيميَّة، وتصاعد عنف وهيمنة التكنولوجيا الرقميَّة يشعر الإنسان الحديث أنَّه: "محكوم عليه بأن يكون حرًّا"[١٧]. ويعني هذا أنَّ الحريَّة نفسها تتحوَّل إلى عبء ثقيل حينما لا ترتبط بمسؤوليَّة، وهذا يجعل الهويَّة الذاتيَّة سائلة.

المبحث الثاني: التحدِّيات المعاصرة للهويَّة الذاتيَّة

لا ينكر أنَّ العولمة أدَّت إلى حدوث توسعة في رقعة التفاعل الثقافي والاقتصادي والسياسي كناتج لمخرجاتها؛ لكنَّها حتَّى مع هذا التوسع، أسهمت في تآكل الهويَّات المحليَّة والفرديَّة، ممَّا دفع الأفراد لُعيدوا تعريف ذواتهم في فضاءات جديدة، لا تخضع بالضرورة لقيمهم الموروثة، وإنَّما صارت تخضع لقيم مستوردة، لا جذور لها في أعماقهم. فمن خلال العولمة: "تتشابك العلاقات الاجتماعيَّة على مستوى العالم، حيث تتأثَّر الحياة اليوميَّة بالأحداث التي تقع في أماكن بعيدة"[١٨].

وهذا يعني أنَّ الضغط يدفع الإنسان إلى التكيُّف مع أنماط ثقافيَّة حديثة ومتغيِّرة بشكل مستمر، ممَّا يخلق شعورًا بالا يقين في تحديد الهويَّة الذاتيَّة، ذلك؛ لأنَّ "الذات في العالم المعولم تفقد معيارها التاريخي؛ لأنَّها تعيد صياغة نفسها وفق الآخر لا وفق شروطها"[١٩].

وقد أدَّى هذا التكيُّف بالتالي إلى ظهور هويَّات بديلة وافتراضيَّة تزامنًا مع توسُّع الفضاء الرقمي، وهذا تسبَّب في إعادة تشكيل علاقة الإنسان بذاته ومحيطه؛ لأنَّ العولمة مكنت الفرد من أن ينشئ ذاتًا جديدة حتَّى من وسائل التواصل الاجتماعي، وهذه الذات بالتأكيد لا تطابق ذاته الحقيقيَّة؛ بل قد تكون انفصالًا كليًّا عنها.

وبرأيي أنَّ تلك عمليَّة تشييءٍ للذات تفصلها عن واقعها؛ إذ تتحوَّل الشخصيَّة الإنسانيَّة من خلالها إلى صورة وسجل بيانات وتحليلات استهلاكيَّة أكثر من كونها معنى ساميًا. وقد نبَّه الإمام علي عليه السلام إلى هذا الانفصال المبكر بين "الظاهر والباطن" في النفس بقوله: "إنَّ هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة"[٢٠]. فهو في قوله هذا نبَّه إلى أنَّ القلوب تشعر بالملل كما الأجسام، وحث على إنعاشها بحِكمٍ تفيدها وتشغلها حتَّى لا تنفصل عن واقعها.

أمَّا العولمة فلم تعمل على تشييء الإنسان فحسب، وإنَّما عملت على قلعه من جذوره النفسيَّة والروحيَّة، فأدخلته دنيا القلق الوجودي والاكتئاب، وفقدان البوصلة الأخلاقيَّة، وتزايد الشعور بالوحدة، على الرغم من الانفتاح الرقمي اللامحدود. وقد وُصفت حالته تلك أنَّه: "حرٌّ من كلِّ شيء إلَّا من نفسه"[٢١]. أي أنَّ التحرُّر الوجودي الذي يشعر به الإنسان المعاصر ليس أكثر من تحرُّر ظاهري فاقد للمعنى.

المشكلة أنَّ عالمنا الإسلامي لم يعد بمنأى عن هذه المؤثِّرات، فمع تآكل المنظومات المرجعيَّة التقليديَّة، ولاسيَّما بعض المرجعيَّات الدينيَّة (الوهميَّة)[٢٢] التي لا تمتلك شروط الحكمة واليقين والمؤهلات التي تجعلها موجِّهة وقائِدة. وتآكل المنظومات الأخلاقيَّة في العديد من الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة، تزايدت مساحات القلق، وأصبح الإنسان المسلم عرضة للسقوط في العدميَّة. وقد جاء في أدبيَّات الإمام علي عليه السلام ما يشير إلى خطورة هذا التفكُّك القيمي؛ إذ روى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنَّما سمِّي القلب؛ من تقلبه؛ إنَّما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة؛ تعلَّقت في أصل شجرة؛ يقلبها الريح ظهرا لبطن"[٢٣]. وهي صورة للإنسان الذي لا يتشبَّث بمركزٍ قيمي وروحي عميق، تدلُّ على حالة اللا استقرار النفسي التي قد يعيشها مثل هذا الإنسان.

وبالتالي دفع هذا التبدُّل إنساننا المسلم المعاصر؛ لأنَّ يعاني من انفصام الهويَّة بين المحلِّي والعالمي. فالذي يشعر بالانتماء إلى مجتمع أو دين أو قوميَّة، يُجبر في عالم العولمة غالبًا على التخلِّي عن بعض هذه القيم ليتكيَّف مع شروط المواطنة العالميَّة أو مع شروط السوق. وهذا بالضبط ما يُعاني منه المهاجرون، والأقليَّات؛ إذ صراع الهويَّة المركَّبة بين الانتماء والاندماج. فالهويَّة ليست مسألة نفسيَّة فقط؛ بل هي مسألة اجتماعيَّة واقتصاديَّة أيضًا.

إنَّ فقدان الهويَّة الذاتيَّة ليس بالأمر الهيِّن؛ لأنَّ فقدانها يعني أن يفقد الفرد شعوره بالتَّماسك والاستمراريَّة والتميُّز، بحيث يغدو غير قادر على تعريف نفسه، أو تحديد قيمه، أو اتِّخاذ قرارات نابعة من ذاته، وهو ما أطلق عليه بعض المفكِّرين "الاغتراب عن الذات"[٢٤].

وبالتَّالي تترتَّب على فقدان الهويَّة الذاتيَّة مسائل عدَّة منها: الاغتراب النفسي والوجودي، فـ "فقدان الهويَّة يؤدِّي إلى الانفصال عن الذات، والشعور أنَّ الحياة لا تُعاش من الداخل؛ بل تُؤدَّى كدور مفروض"[٢٥]. ومنها أن يشعر الفرد أنَّ أفعاله لا تعبِّر عنه، وهذا يجعله يُصاب بالحيرة؛ نتيجة فقدان المعنى، والاكتئاب الوجودي[٢٦]. ومع فقدانها يصبح الفرد أكثر قابليَّة للخضوع للتوجيه الإعلامي والإشهاري، فيستهلك القيم كما يستهلك البضائع[٢٧]. وقد يؤدِّي ذلك إلى الانجراف نحو الهويَّات القاتلة (الطائفيَّة، القوميَّة المتطرفة، أو العدميَّة) بوصفها بدائل مؤقتة. إنَّ "الهويَّة الذاتيَّة المتماسكة تُسهم في بناء مجتمع متماسك، أمَّا تفكُّك الهويَّة في الفرد فينعكس على شكل مجتمعات هشة متضادة المصالح"[٢٨].

ومع فقدانها يكتسب المرء قابليَّة التلاعب الثقافي والسياسي، فيصبح أداة في يد صُنّاع الرأي العام؛ إذ لا يمتلك مرجعيَّة ذاتيَّة يستند إليها. ولتعويض غياب المعنى الواقعي، يُعاد تشكيل الذات داخل الفضاء الرقمي؛ إذ تظهر أشكال من التعدُّد الهويَّاتي الافتراضي، ما يزيد الفجوة بين "الذات الرقميَّة" و"الذات الحقيقيَّة"[٢٩].

وقد أكَّد أحد علماء النفس أنَّ أزمة فقدان الهويَّة في سنِّ الرشد قد تؤدِّي إلى اضطرابات في اتخاذ القرار، والميل إلى الانسحاب الاجتماعي، والدخول في حالات من اللامبالاة أو التطرف[٣٠].

المبحث الثالث: من بناء الذات إلى مواجهة التحدِّيات

إنَّ من أهمِّ أركان منهج الإمام علي عليه السلام في بناء الهويَّة الذاتيَّة هو الوعي الداخلي، وتحديدًا معرفة النفس كطريق يقود إلى معرفة الله تعالى. وقد جعل الإمام عليه السلام من الإنسان كائنًا متهيئًا للكشف الروحي وليس تابعًا خارجيًّا، ومصداق ذلك قوله: "من عرف نفسه فقد عرف ربّه"[٣١]. فهذا هو الجوهر الحقيقي للمعرفة السامية؛ لأنَّ في هذا القول إشارة واضحة إلى أنَّ بناء الذات لا يتم عبر الخارج (الثقافة، الجماعة، القبيلة، الدولة، السلطة) ولا يمكن لبنائها أن يكتمل إلَّا من خلال رحلة تأمُّل داخلي تكشف ماهيَّة الإنسان وعلّة وجوده الحقيقيَّة في هذا الكون. ويبدو أنَّ هناك من اقتبس هذه الفكرة العميقة، فقال تماهيًا معها: "الهويَّة الذاتيَّة لا تُبنى إلَّا في مرآة الاعتراف الداخلي والخارجي معًا"[٣٢]. علمًا أنَّ الإمام عليه السلام، ركَّز على الاعتراف الداخلي أوَّلًا، كأصل لكلِّ هويَّة أصيلة لا تبعيَّة.

وهكذا نجد في خطب الإمام علي عليه السلام رفضًا قاطعًا لكلِّ أنواع الخضوع غير المشروع، سواء كان طاغوتيًّا سياسيًّا أو ثقافيًّا أو نفسيًّا. وقد أنشأ نفسه، وأنشأ أولاده على هذه القيمة المعيارية الخالدة، فقال في وصيَّته لابنه الحسن عليهما السلام: "لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا"[٣٣]. وهي عبارة تشير عقديًّا ورسميًّا إلى التحرر الوجودي، فالحريَّة عند الإمام عليه السلام، ليست شعارًا فارغاً؛ بل هي جوهر الهويَّة، ولذا لا يمكن أن تتحقَّق بالانقياد التلقائي للسلطة أو للعادات الموروثة والمعاصرة؛ بل تتحقق بالتحرُّر، بدءً من داخل الإنسان نفسه.

لقد أثبتت تجربة الإمام علي عليه السلام الفكريَّة أنَّه لم يقع في فخ الفردانيَّة المطلقة كما تفعل الحداثة، ولا في ذوبان الذات في الجماعة كما تفعل بعض القراءات الدينيَّة المتخلِّفة الحائطيَّة الجامدة على النصوص؛ بل وضع رؤيةً متوازنة، في أكثر من خطبة من خطبه، جمعتُ بعضها دون تعيين، فكانت النتيجة: "ما من حقٍّ إلَّا ومعه واجب؛ بل

واجبان: واجب على الفرد وآخر على مجتمعه. أمَّا واجبه فأن يقصر في حقّه حتَّى لا يضرّ بالغير، وأمَّا واجب مجتمعه فأن يحترم له هذا الحق ويصونه ما دام لا يتنافى مع مصلحته العامَّة"[٣٤].

فقد كان الإمام عليه السلام في نهجه الإداري والسياسي حريصًا على بناء إنسان مستقل أخلاقيًّا، ولكن في حضن مجتمع عادل، ولذا نرى أنَّه حين ولىَّ مالك الأشتر (رحمه الله تعالى) على مصر، قال له: "وأشعر قلبك الرحمة للرعيَّة، والمحبَّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم؛ فإنَّهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"[٣٥]. فهذا التوازن عميق وعقائدي وإنساني، يؤسِّس لهويَّة اجتماعيَّة ذاتيَّة، غير مفروضة من الخارج، ولا مائعة أو سائلة بلا جذور.

غير ذلك ومن أجل تنقية النفس وتقويمها، دعا الإمام عليه السلام عشرات المرات، وبشكل دائم تقريبًا إلى وجوب إجراء ممارسة يوميَّة للنقد الذاتي ومحاسبة النفس، وكان يردِّد بشكلٍ دائم مقولات مثل: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"[٣٦]. ومثل: "من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر"[٣٧]. ومثل: "أوصيكم عباد الله بتقوى الله، ولزوم طاعته، واستعمال تقواه، فإنَّها الزاد، وبلوغ النجاة، بها ينجح الطالب، ويفوز الهارب... فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا"[٣٨]. ومثل: "طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس، وبكى على خطيئته، ولم يذكر غيره بعيب، وخرج من دنياه سالمًا لدينه، وقدَّم توبةً نصوحًا"[٣٩].

ومثل: "ما أحقَّ الإنسان أن تكون له ساعةٌ لا يشغله عنها شاغل، يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها"[٤٠].

إذ كان الإمام علي عليه السلام يرى أنَّ المحاسبة الدائمة للنفس هي مفتاح النجاة الحقيقي في الدنيا والآخرة؛ لأنَّ محاسبة النفس جزءٌ من بناء الإنسان الأخلاقي؛ إذ لا تزكو النفس إلا عبر التفكّر في أفعالها ومآلاتها.

وهـو المنهـج الـذي حـاول بعـض المفكريـن الغربيـين اقتباسـه وتطويـره، ومنهـم الفيلسـوف الفرنـسي ميشـيل فوكـو[٤١]، الـذي أقتبسـه وأطلـق عليـه تسـمية "تقنيـات الـذات"، أي تلـك الممارسـات اليوميَّـة التـي يعيـد بهـا الإنسـان تشـكيل ذاتـه أخلاقيًّـا.

ويذكـر أنَّ مفهـوم "تقنيـات الـذات" في فلسـفة ميشـيل فوكـو يشـكِّل أحـد المحـاور الأساسـيَّة في تحولـه الفلسـفي مـن دراسـة السـلطة في بعدهـا الخارجـي (المؤسَّسـات، والقوانـين، والانضبـاط) إلى تحليـل الأبعـاد الداخليـة لتكـوّن الـذات نفسـها، وارتباطهـا بالممارسـات الخطابيَّـة والسـلطويَّة التـي تنتـج أنماطًـا معيَّنـة مـن الأفـراد. ولطالمـا شـغل فوكـو نفسـه في مسـألة: كيـف يُنتـج الإنسـان نفسـه كـذات أخلاقيَّـة مـن خـلال الممارسـة؟ وأطلـق عـلى العمليَّـات اسـم: "تقنيَّـات الـذات"، وهـي: "الطرائـق التـي بهـا يعمـل الأفـراد، إمـا بأنفسـهم أو بمسـاعدة الآخريـن، عـلى تشـكيل ذواتهـم، مـن أجـل بلـوغ حـالات معيَّنـة مـن الكـمال أو الصفـاء أو الحكمـة أو السـعادة أو الخـلاص"[٤٢].

ذلـك لأنَّـه كان يـرى أنَّ هـذه التقنيَّـات لم تولـد مـع الحداثـة؛ بـل لهـا جـذور في الفلسـفة اليونانيَّـة والرومانيَّـة القديمـة؛ إذ مـارس الحكـماء مجموعـة مـن التمارين الروحيَّـة والفكريَّـة مثـل التأمُّـل، فحـص النفـس، تدويـن اليوميَّـات، والاعـتراف الـذاتي، كوسـائل لتحقيـق "التحـول الأخلاقـي"[٤٣] نحـو الحقيقـة. وهـي، برأيـه: ليسـت فقـط طقوسًـا أخلاقيَّـة؛ بـل آليَّـات معرفيَّـة وسـلطويَّة تُمكِّـن الـذات مـن إعـادة إنتـاج نفسـها عـلى وفـق معايـير معيَّنـة[٤٤].

وكان فوكـو يـرى أنَّ السـلطة لم تعـد فقـط تُمـارَسُ على الأجسـاد من الخـارج؛ بل أصبحت تُمـارس مـن الداخـل، عـبر تقنيـات ضبـط الـذات، كالعـلاج النفـسي، والاسـتبطان، والمراقبـة الذاتيَّـة. وفي هـذا الإطـار، تُعـاد صياغـة الأفـراد لا عـبر القسر؛ بـل مـن خـلال إقناعهـم أن يراقبـوا أنفسـهم، ويكشـفوا حقيقتهـم تحـت أنظمـة معرفيَّـة تبـدو علميَّـة أو إنسـانيَّة[٤٥]. ويعنـي هـذا أنَّ الحداثـة حوَّلـت تقنيـات الـذات مـن ممارسـات فلسـفيَّة حـرَّة إلى أدوات ضبـط اجتماعـي تعمـل داخـل كلِّ فـرد، ليصـير ذاتًـا مطيعـة باسـم الحريَّـة والتطـور النفـسي.

وعلى الرغم من أنَّه كان يرى أنَّ بعض الممارسات الدينيَّة ولاسيَّما في الرهبنة المسيحيَّة الأولى احتفظت ببعض هذه التقنيات، مثل الاعتراف، والزهد، والصمت؛ لكنَّها في الوقت نفسه تمأسست ضمن بنية سلطويَّة، هي الكنيسة، التي جعلت من الاعتراف وسيلة للضبط لا للتحرر(٤٦).

وبهذا، ميز فوكو بين الاعتراف الفلسفي الذي يسعى للوصول إلى الحقيقة الذاتيَّة، والاعتراف الديني الذي يسعى إلى تثبيت السلطة عبر إنتاج الذوات الخاضعة(٤٧). لكن فاته أنَّ الإمام عليه السلام ربط المحاسبة والسعي بعلاقة إيمانيَّة روحيَّة، لا بأخلاقيَّات نفعيَّة كما في الحداثة، ممَّا منحها بعدًا روحانيًّا شحن الهويَّة الداخليَّة بمعنى جوهريًّا خالدًا.

من هنا أرى أنَّ الإمام عليه السلام لم يكن صوتًا للإنسانيَّة فحسب؛ بل كان أيضًا صوتًا يوجه الإنسان في كلِّ العصور وكل الجغرافيات نحو سكون داخلي يتجاوز صخب العالم، لا في وقت محدَّد فحسب، ولا في جغرافية محدَّدة فحسب؛ بل حتَّى في زمن القلق المعاصر، بعدما شخَّص العلة وعرف السبب والمسبب، ولذا قال مخاطبًا الضمير والوجدان والروح العميقة التي تختفي وراءها كل الأرواح الباهتة: "دواؤك فيك وما تشعر، وداؤك منك وما تبصر، وتحسب أنَّك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر"(٤٨).

وهي دعوة للتأمُّل العميق، وهي بالتأكيد ليست فلسفة مجرَّدة؛ بل خطَّة وجوديَّة، تجعل من الرجوع إلى الداخل شرطًا لكلِّ شفاء، وهو ما يتقاطع مع أفكار متصوفة لاحقين كجلال الدين الرومي(٤٩) وابن عطاء الله(٥٠).

وفي الواقع يُظهر التحليل أنَّ ما طرحه ميشيل فوكو تحت عنوان "تقنيَّات الذات" يلتقي، في جوهره، مع ممارسات المتصوفة الإسلاميين، من حيث الهدف (تحرير الذات)، والوسيلة (المحاسبة، الاعتراف، التأمُّل، الكتابة)، إلَّا أنَّ الفارق الجوهري بينهما يكمن في المرجعيَّة؛ لأنَّ فوكو تحدَّث عن الذات كمشروع عقلاني دنيوي، أمَّا المتصوفة فيرونها مرآة للحقيقة الإلهيَّة.

وفي هذا المستوى، تجاوز الإمام عليه السلام التحدِّيات الظرفيَّة للفلاسفة والمتصوفة كليهما، ليضع الإنسان في أفق أزلي من الوعي والسكينة، تتوازن فيه الروح والعقل والسلوك، ولو سلم هذا الفكر من مؤامرات وتهديدات وتحريفات السلطة الحاكمة وأذنابها لكانت الإنسانيَّة اليوم تمارس أعمق تجاربها الروحيَّة.

المبحث الرَّابع: منهج الإمام في إعادة بناء الذات حضاريًّا

يعيش الإنسان المعاصر داخل اقتصاد الاستهلاك والتشتت؛ إذ تُختزل الذَّات فيما تملكه أو تُظهره، وهنا تبرز دعوة الإمام عليه السلام إلى التأمل والانسحاب الداخلي، بوصفها ثورة هادئة على الذات المُسطحة. فالواقع البعيد عن الوهم يبدأ من عمق الإدراك، وأهم إدراك هو أن يدرك المرء أبعاد نفسه، ولذا حذَّرنا عليه السلام بقوله: "نفسك أعدى عدو لك"(٥١). وقوله: "نفسك عدو محارب وضد مواثب، إن غفلت عنها قتلتك"(٥٢). فالإمام عليه السلام بقوله هذا أراد الإشارة إلى أنَّ التحرُّر الحقيقي لا يبدأ من مواجهة العالم؛ بل من كسر شوكة الغفلة والأنانيَّة في داخلك. وهذه الحكمة تُعيد توجيه الإنسان إلى قيمته الجوهريَّة، لا العرضيَّة، إلى ذاته، لا إلى صورته، فالإنسان لا يغادر عصر التفاهة إلَّا إذا ما عرف اتجاه قيمته الجوهريَّة.

ولقد جاءت أقوله وحكمه عليه السلام لتُعلي من الضمير الأخلاقي، لا من سلطة الجمهور، وهو ما يحتاجه عالَم ما بعد الحقيقة؛ إذ تذوب الحقائق في الضجيج، وهذا ما أراد تبليغه في إحدى خطبه الخالدة، بقوله: "ألا وإنَّ الداعي إلى الحقِّ قليل، وإنَّ المستجيب له كثير، فاعرفوا الحقَّ تعرفوا أهله"(٥٣).

واليوم، بسبب وجود هذا الكم الكبير من مواقع التواصل والذكاء الاصطناعي، تحول الإنسان المعاصر إلى كائن مُراقَب، يتحرَّك ضمن خوارزميَّات، تراقب رغباته وسلوكه، وتُعيد تشكيل وعيه وتأمُّلاته من خلال مصادرة إرادته، وإعادة تشكيل وعيه وإدراكه ضمن مطالبها، ومع صنع الشرائح الدماغيَّة وإيجاد الحجج لزرعها بدأ

الإنسان يتنازل طوعًا عن حريَّته وكل متعلقاتها ابتداء بالدين، ووصولًا إلى الكرامة بحجَّة أنَّه رب نفسه، وإله رغباته الذي يستمد قوَّته من الإله الرقمي الذي خلقته الخوارزميَّات(٥٤)، وفي هذا السياق بالذات، وكصرخة تحذير متقدِّمة على زمانها، تصبح وصيَّة الإمام عليه السلام: "لا تكوننَّ عبد غيرك، فقد جعلك الله حرًّا، فما خيرٌ خيرًا لا يُنال إلَّا بشر، ويسرًا لا يُنال إلا بعسر"(٥٥). هي الدعوة الحقيقيَّة لتحرير الإنسان، تحريره لا من الاستعباد السياسي فحسب؛ بل ومن الرقابة التقنيَّة والهيمنة الرقميَّة. وقد طرح الإمام عليه السلام مشروع التحرُّر من الداخل، وطلب التأسيس لهويَّة حقيقية نقيَّة غير قابلة للتشييء، ليجعلها قبالة الذوبان في سلوك القطيع الذي تصنعه المنصَّات، وتدعو إليه. ويعني هذا أنَّ رؤى الإمام عليه السلام سبقت الأزمنة لتؤسِّس لثقافة الوقوف بوجه الصدع المرتقب. فالإمام عليه السلام على الرغم الفاصل الزمني كان يعرف أثر الاغتراب، وبرأيي أنَّه وضع قواعدها لتقف في وجه الاغتراب المرتقب، فمنهج الإمام عليه السلام كان يسعى ليؤسِّس لانتماء لا يمكن اختزاله في قوميَّة أو طائفة؛ بل كان يسعى ليؤسِّس انتماء إنسانيًّا روحيًّا، ليضعه قبالة الفراغ الداخلي الذي سيشعر به الإنسان الرقمي بعد أربعة عشر قرنًا، على الرغم من كثافة التفاعل الوهمي والوحدة الحقيقيَّة القاتلة؛ التي يشعر المرء من خلالها وكأنَّه الكائن الأوحد المنبوذ في الكون.

هنا في هذا المفترق الخطير، انطلقت دعوة الحق قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ لتعلن لأبناء القرن الخامس عشر الهجري حقيقة أنَّهم ليسوا غرباء، لا عن أنفسهم، ولا عن غيرهم، فـ: "النَّاس صنفان: إمَّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"(٥٦). وهو بدعوته هذه إنَّما أراد لهذه القاعدة أن تكون ميثاقًا أخلاقيًّا عالميًّا يُبنى عليه حوار الحضارات، ومناهضة التمييز بكلِّ أشكاله، من ديني إلى عرقي إلى طبقي، بدل أزمة الهويَّة التي يعيشها الإنسان المعاصر؛ الذي ابتعد عن منهج الإمام ولم يدرك أبعاده.

إنَّ العالم يواجه اليوم أزمة لا في الهويَّة فقط؛ بل وفي فاعليَّة الذَّات أيضًا؛ إذ يشعر

كثير من الناس أنَّ ما يفعلونه لا يؤثِّر، وأنَّ التاريخ لا ينتظرهم، وهم لم يواجهوا الحقيقة بعد، بينما واجه الإمام عليه السلام واقعًا سياسيًّا قاسيًا؛ لكنَّه لم يُسلم للقدريَّة ولا للجبريَّة ولا للسلبيَّة؛ بل قاوم بما استطاع، فقال جملته التي خلدها الكون: "لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّة ظالم ولا سَغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها"[٥٧]. هذا القول الفخم المرعب المنفتح على احتمالات لا تحصى، إنَّما لا يدعو فقط إلى الوعي السياسي أو الديني؛ بل يدعو كذلك إلى التمسُّك بمسؤوليَّة الفعل، ولو في زمن الخذلان. وهو عليه السلام كأنَّما أراد التنبيه إلى عدم الانجرار لأوهام الحاضر التي تطرحها بعض رؤى الفلاسفة المعاصرين. وبرأيي أنَّه يتقاطع مع مفكِّرين معاصرين مثل المنظرة السياسيَّة والباحثة اليهودية هانّا أرندت[٥٨] التي تحدثت عن "فضيلة الفعل" بوصفها الشرط الأخلاقي لوجود الإنسان في عالم متشظٍ[٥٩].

وبالتالي أرى أنَّ بناء هويَّة روحيَّة أصيلة في عالم متغيّر يؤكِّد أنَّ الهويَّة ليست معطى؛ بل مشروعًا دائمًا؛ إذ يتبيَّن من دراسة منهج الإمام علي عليه السلام أنَّها ليست قالبًا جاهزًا يُورّث، وإنما هي عمليَّة مستمرة من التكوين والتجدد، قائمة على نقد الذات، وتأمل الوجود، والانفتاح على الآخر، والاحتكام إلى القيم الأخلاقيَّة العليا. فالإمام عليه السلام لم يكن يؤمن بالهويَّة الجاهزة، ولذلك رسم مسارًا بنائيًّا لتكوين الذات، ينطلق من الداخل، من أعمق أعماق الإنسان، يتفاعل مع الخارج، ويوازن بين الثوابت والمتغيرات. وهو منهج يعارض النزعات المعاصرة التي تختزل الهويَّة مرَّة في الموروث الجامد، وأخرى في الانسلاخ التام باسم الحداثة أو الكونيَّة.

وفي عالم يعاني من فقدان المعنى، وتفكك الروابط الروحيَّة، يُشكِّل منهج الإمام عليه السلام في تأصيل العلاقة بين الإنسان وخالقه، والإنسان وذاته، دعوة لبناء هويَّة روحيَّة متجذرة. فالإمام لا يفصل بين المعرفة والسلوك، ولا بين التأمُّل والعمل؛ بل يجمع بينهما في توازن يجعل من الإنسان كائنًا معنويًّا، ويحوله إلى كائن فاعل منتج.

هكـذا أوضـح الإمـام خطـوط منهجـه بقولـه الخالـد: "ألا وإنَّ لـكلِّ مأمـوم إمامًـا يقتـدي بـه، ويسـتضيء بنـور علمـه، ألا وإنَّ إمامكـم قـد اكتفـى مـن دنيـاه بطمريـه، ومـن طُعمـه بقرصيـه..."[٦٠]. فعـلى وفـق منهـج أمـير المؤمنـين عليه السلام يكـون الإمـام حاجـة وقـدوة، والإنسـان المتـوازن تمامًـا مثلـما يكـون بحاجـة ماسَّـة إلى "إمـام داخـلي" هـو الضمـير الحـي والمبـدأ الثابـت، فالـضرورة لـكلِّ ذاتٍ تبحـث عـن الثبـات وسـط الفـوضى. إنَّـه بحاجـة أيضًـا إلى إمـام خارجـي، هـو الإمـام مفـترض الطاعـة.

وعـلى فـق هـذا الفهـم يمثِّـل الإمـام عـلي عليه السلام أنموذجًـا للمقاومـة الأخلاقيَّـة مثلـما يُفهـم مـن قولـه: "لا تستوحشـوا طريـق الحـق لقلَّـة سـالكيه"[٦١]. فهـو عليه السلام يدعـو إلى بنـاء هويَّـة لا تتبـع عـدد الأصـوات؛ بـل نـوع المواقـف، بمعنـى أنَّـه يدعـو عـلى بنـاء هويَّـة قـادرة عـلى الوقـوف وحدهـا إن لـزم الأمـر، مـا دامـت عـلى بيِّنـة من الحـق. ويعنـي هـذا أنَّ الهويَّـة الذاتيَّـة في منهـج الإمـام عليه السلام ترتكـز عـلى الوعـي الداخـلي كنقطـة بـدء، والمسـؤوليَّة الأخلاقيَّـة، وليس الانقيـاد للجماعـة أو السـلطة، والتأمُّـل والمحاسـبة كأسـلوب في الحيـاة، والانتـماء الإنسـاني لا الفئـوي أو المذهبـي أو القبـلي الضيـق. وهـذا يعنـي أنَّ الهويَّـة التـي يدعـو إليهـا ليسـت هويَّـة جامـدة؛ بـل هـي هويَّـة قابلـة للتفاعـل مـع العـصر، ومـع كلِّ عـصر إلى يـوم الديـن شرط الحفـاظ عـلى الـروح والمبـدأ.

مـن هنـا أرى أنَّ مـن شـأن إعـادة قـراءة منهـج الإمـام عـلي عليه السلام عـلى وفـق معطيـات الحـاضر ممكـن أن يُلهـم الشـباب العـربي والمسـلم اليـوم وجـوب السـعي الجـاد والحقيقـي لإعـادة بنـاء الـذات بعيـدًا عـن المقـولات الجاهـزة، وهـو في معنـاه الواسـع دعـوة حقيقيَّـة؛ لأنَّ تعيـد الهويَّـة إحيـاء بُعدهـا الوجـودي، الروحـي الفعَّـال الـذي صادرتـه الحاكميَّـات عـبر التاريـخ.

إنَّ مـا يمكـن اسـتشرافه مـن منهـج الإمـام عليه السلام في زمـن ضاعـت فيـه الهويَّـات الحقيقيَّـة وحلَّـت محلَّهـا هويَّـات زائفـة لا معنـى لهـا أنَّ إعـادة بنـاء الهويَّـة لا تكـون باسـتيراد نـماذج

جاهزة من الغرب، ولا بتمجيد الماضي فقط؛ بل باجتراح طريق ثالث، يستلهم من التراث ما يحيي، ومن الواقع ما يُصلح، ومن الروح ما يُنير، ومن الدين ما يبني، ومن الإنسانيَّة ما يجمع. وفي هذا السياق، يبدو منهج الإمام علي عليه السلام دعوة مفتوحة إلى الإنسان في كل مكان، وليس للإنسان العربي أو المسلم وحده ليفكر، ويحرر، ويختار أن يكون ذاته.

وهذا يعني فيما يعنيه أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مجرَّد شخصيَّة تاريخيَّة، وإنَّما كان منظومة قيميَّة ومعرفيَّة وإنسانيَّة ودينيَّة حيَّة دائميَّة باقية أزليَّة، مثلما كانت تمتلك القدرة على مخاطبة من عاصرها، تمتك القدرة كذلك على مخاطبة الإنسان المعاصر، بكلِّ تحدِّياته، وتيهه، وأسئلته، بقدرتها نفسها على مخاطبة أبناء جيلها ومعاصريها.

إنَّ كلَّ ما نحتاج إليه اليوم هو إعادة قراءة منهج الإمام عليه السلام واستخدام النتائج لإعادة فحص جميع مشاريعنا وتقييمها وسنجد أنَّنا نحتاج حقًّا لأن نعيد النظر حتَّى بوجودنا على سطح الأرض.

النتائج والتوصيات:

النتائج

أثبت البحث أنَّ رؤية الإمام عليّ عليه السلام في بناء الذات تتمتَّع بالديمومة والقدرة على معالجة الأزمات الراهنة؛ إذ إنَّها جمعت بين البعد الروحي والأخلاقي والسياسي والاجتماعي. بما يعني صلاحيَّة المنهج التربوي العلوي. فضلًا عن ذلك أثبت البحث أنَّ الهويَّة الذاتيَّة ليست معطى جاهزًا أو قالبًا جامدًا، وإنَّما هي عمليَّة مستمرَّة من التكوين والتجدد، تقوم على الوعي الداخلي ومحاسبة النفس والتفاعل مع القيم الأخلاقيَّة العليا. وتوصل البحث كذلك إلى نتيجة أنَّه يمكن للمنهج العلوي أن يحدَّ من آثار العولمة والهيمنة الرقميَّة والتفكُّك القيمي عبر إعادة الاعتبار للضمير الأخلاقي والبعد الروحي.

وأبان البحث أنَّ للإمام عليّ عليه السلام تصورًا متوازنًا يحقِّق استقلاليَّة الفرد الأخلاقيَّة من دون أن يفصله عن مسؤوليَّاته الاجتماعيَّة.

وهو بذلك سبقٌ على الفلسفات الحديثة، مثل كثيرٍ من الأفكار التي طرحها الإمام عليّ عليه السلام، وهي أفكار تلتقي مع مفاهيم حديثة، مثل تقنيَّات الذات عند فوكو[٦٢]؛ لكنَّها تتفوَّق بمرجعيَّتها الروحيَّة والإنسانيَّة العميقة.

ومن النتائج التي توصَّل إليها البحث أنَّ الإمام علي عليه السلام دعا إلى هويَّة إنسانيَّة جامعة وإلى انتماء يتجاوز حدود الطائفة والقوميَّة، مؤسِّسًا بذلك لميثاق أخلاقي عالمي قائم على مبدأ "النَّاس صنفان: إمَّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق".

التوصيات

يرى الباحث وجوب إعادة قراءة التُّراث العلوي بمنهج تحليلي ونقدي معاصر، بعيدًا عن الجمود والحائطيَّة التقليديَّة أو التقديس غير المنتج، من أجل استلهام حلول عمليَّة لمشكلات الهويَّة في عصرنا الراهن لا في العالم الإسلامي وحده؛ بل في العالم كله.

وتوظيف المنهج العلوي في التربية الحديثة عبر المناهج الدراسيَّة والبرامج التربويَّة، بما يعزِّز بناء الذات الواعية والهويَّة الأخلاقيَّة المتوازنة؛ ومنذ المراحل الدراسيَّة الأولى، وصولًا إلى الجامعات والدراسات الإنسانيَّة العليا.

وضرورة إطلاق دراسات بينيَّة تجمع بين الفكر الإسلامي ودراسات الهويَّة والفلسفات الحديثة، لإبراز قدرة التراث على التجدد والحوار مع الآخر.

والعمل على تجديد الخطاب الإسلامي بالاستناد إلى الأنموذج العلوي الذي يوازن بين العقل والروح، الحريَّة والمسؤوليَّة، الفرد والمجتمع.

والأهم من ذلك ترسيخ الهويَّة الإنسانيَّة الجامعة التي دعا إليها الإمام، لمواجهة النزعات الطائفيَّة والتمييزيَّة، وتعزيز قيم الحوار والتعايش بين الحضارات.

وتفعيل دور الشباب في استيعاب هذا المنهج عبر برامج توعويَّة وتربويَّة تعيد لهم الثقة بهويَّتهم الروحيَّة والإنسانيَّة في مواجهة الهويَّات الزائفة.

الهوامش

١-تايلور، مصادر الذات: تكوّن الهويَّة الحديثة، ص٨٧.

٢-حسن، علم النفس الذاتي، ص ٤٥.

٣-العبد الكريم، مداخل إلى علم النفس الحديث، ص ٢٢١.

٤-حجازي، الإنسان المهدور: دراسة نفسيَّة اجتماعيَّة، ص ١٣٢.

٥-وطفة، بناء الهويَّة في التربية والثقافة، ص ٨٨.

٦-باومان، الحداثة السائلة، ص٤٥.

٧-زيجمونت باومان (١٩٢٥-٢٠١٧): عالم اجتماع وفيلسوف بولندي-بريطاني، عُرف بتحليله لظواهر الحداثة وما بعد الحداثة، وابتكر مفهوم "الحداثة السائلة" لوصف تفكُّك الهويَّات والعلاقات في المجتمعات المعاصرة تحت ضغط العولمة والاستهلاك

٨-باومان، المصدر نفسه، ص١١-١٣.

٩-باومان، الهويَّة: حوار مع بينوا دنيس، ص ٢٤.

١٠-ينظر: باومان، الحياة الاستهلاكيَّة، ص ٩١.

١١-باومان، الحريَّة، ص ١٠٢-١٠٥.

١٢-الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠٩.

١٣-الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص٤٧٧.

١٤-المصدر نفسه، ص٤٩٦.

١٥-المسيري، رحلتي الفكريَّة في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتيَّة غير موضوعيَّة، ص٣٠٥.

١٦-الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٥٦٨.

١٧-سارتر، الوجود والعدم: بحث في الأنطولوجيا الظاهراتيَّة، ج٤، ص ٦٤٠.

١٨-اقتباس عن الإنكليزية من كتاب: Giddens, The Consequences of Modernity, p. 64

١٩-العروي، مفهوم الذات، ص١٤٢.

٢٠-نهج البلاغة، ص٤١٢.

٢١-فروم، الخوف من الحريَّة، ص٩٨.

٢٢-المرجعيَّات الدينيَّة الوهميَّة: يقصد بها أنماط من السلطات أو الخطابات الدينيَّة غير الأصيلة، التي تفتقر إلى الجذور النصيَّة أو الروحيَّة العميقة، وتقوم غالبًا على تأويلات مغلوطة أو مصالح أيديولوجيَّة آنيَّة، ما يجعلها عاجزة عن بناء هويَّة متماسكة أو تقديم حلول حقيقيَّة لأزمات الإنسان المعاصر.

٢٣-المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٢، ص٥٧٦، حديث رقم: ٢٥٩٥.

٢٤-الاغتراب عن الذات: حالة نفسيَّة ووجوديَّة يشعر فيها الفرد بالانفصال عن ذاته الحقيقيَّة،

بحيث تصبح أفعاله وأفكاره وكأنَّها مفروضة عليه من الخارج، فيفقد الإحساس بالمعنى والانسجام الداخلي، ويعيش ذاته كما لو كانت "دورًا" لا تعبيرًا صادقًا عن وجوده.

٢٥-حجازي، الإنسان المهدور: دراسة نفسيَّة اجتماعيَّة، ص ٨٩.

٢٦-الاكتئاب الوجودي: نوع من المعاناة النفسيَّة يرتبط بفقدان الإنسان للمعنى والغاية من حياته، وشعوره بالفراغ واللاجدوى، ويُعد من أبرز نتائج الاغتراب والعدميَّة في الفكر الوجودي والفلسفات الحديثة.

٢٧-ينظر: باومان، الحياة الاستهلاكيَّة، ص ١٣٣.

٢٨-وطفة، بناء الهويَّة في التربية والثقافة، ص ١٢٢.

٢٩-مانويل، قوة الهويَّة، ص ٢١٩. والذات الرقميَّة والذات الحقيقيَّة: يُقصد بالذات الحقيقيَّة (Authentic Self) مجموعة السمات النفسيَّة والاجتماعيَّة للشخص التي تعكس هويته الجوهرية واستجاباته الطبيعية تجاه الواقع، بينما تشير الذات الرقميَّة (Digital Self) إلى النسخة الافتراضية للشخص التي يُنشئها عبر المنصات الرقميَّة ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي قد تتضمَّن تعديلات أو تحسينات على الواقع لتعكس صورة مرغوبة أو متوقعة من المجتمع الرقمي. تتقاطع هاتان الذاتان أحيانًا، وقد تتباعد أحيانًا أخرى، بحسب التحكم الاجتماعي والتقني والاقتصادي في البيئة الرقميَّة.

٣٠-إريكسون، الهويَّة: أزمة الشباب والتكامل الإنساني، ص ٤٤.

٣١-نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٤٩٣.

٣٢-ترجمة عن الإنكليزية Taylor, Sources of the Self: The Making of the Modern Identity, p. 34

٣٣-نهج البلاغة، ص٣٩٤.

٣٤-جمعت عدة أقوال كان لإمام عليه السلام قد أشار فيها إلى حقوق الإنسان وواجباته.

٣٥-نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، عهد الإمام لمالك الأشتر، ص، ٤٢٧.

٣٦-المصدر نفسه، ص٤٩٠.

٣٧-نهج البلاغة، ص٤٨٢.

٣٨-المصدر نفسه، ص٢٩٧، خطبة رقم: ١٩٩.

٣٩-المصدر نفسه، ص٥١٤، حكمة رقم: ١٧٦.

٤٠-الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، رقم ٢٨٣٦.

٤١-ميشيل فوكو (Michel Foucault): فيلسوف ومؤرخ فرنسي (١٩٢٦- ١٩٨٤) متخصِّص في دراسة السلطة والمعرفة والذات. ركّز على كيف تشكّل الممارسات الاجتماعيَّة والثقافيَّة الهويَّة الإنسانيَّة، وطور مفاهيم مثل تقنيات الذات والرقابة والخطاب لفهم كيفيَّة ممارسة السلطة على الأفراد والمجتمعات.

٤٢-فوكو، تقنيات الذات، ص١٥١.

٤٣-التحول الأخلاقي: هو عمليَّة تغير مستمرة في منظومة القيم والسلوكيات الأخلاقيَّة للفرد أو الجماعة، بحيث ينتقل من موقف أخلاقي إلى آخر، غالبًا نتيجة خبرات حياتيَّة أو تعليميَّة أو اجتماعيَّة أو دينيَّة. يركِّز التحول الأخلاقي على إعادة تقييم المبادئ، وتحقيق التوافق بين المعتقدات والسلوكيَّات، ويُعدّ عنصرًا محوريًّا في نمو الشخصيَّة ونضج الضمير.

٤٤-فوكو، تاريخ الجنسانيَّة: استخدام المتع، ج٢، ص٤٧-٥٢.

٤٥-فوكو، المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ص٢١٧-٢٢٨.

٤٦-فوكو، تاريخ الجنسانيَّة: الاعتناء بالنفس، ج٣، ص٨١-٨٥.

٤٧-بنعبد العالي، فوكو: المعرفة والسلطة، ص١٦٢.

٤٨-نهج البلاغة، ص٥٤٤.

٤٩-جلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣): شاعر وفيلسوف صوفي فارسي، مؤسِّس الطريقة المولويَّة، اشتهر بكتابه المثنوي المعنوي الذي جمع فيه تعاليم الصوفيَّة والحكمة الروحيَّة عن الحب الإلهي، والوجود، والذات، والاتحاد مع الله. لعبت كتاباته دورًا محوريًّا في الفكر الصوفي والفلسفة الإسلاميَّة والعالميَّة، وتركت أثرًا كبيرًا على الأدب والفكر الروحي.

٥٠-ابن عطاء الله السكندري (١٢٥٩-١٣١٠م): صوفي وفقيه ومتصوف شافعي مصري، أحد أعلام الطريقة الشاذلية. اشتهر بمؤلفه الحكم العطائيَّة، الذي جمع فيه خلاصة خبرته الروحيَّة وتعاليمه في التصوف والزهد والورع، مركّزًا على محبَّة الله، ومراقبة النفس، وطلب الكمال الروحي عبر الانقطاع عن الأهواء الدنيويَّة. كان له أثر كبير في انتشار التصوف الشاذلي في مصر والمغرب العربي.

٥١-الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩٧، حكمة رقم: ٥٠.

٥٢-المصدر نفسه، ص٣٩٨، حكمة رقم: ٥١.

٥٣-نهج البلاغة، خطبة ٣٨، ص١٩٢.

٥٤-أنجزت مؤخرًا كتابًا بعنوان "الإله الرقمي" أرسلته إلى العتبة العباسية المشرفة على أمل أن تقوم بنشره.

٥٥-الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٢١، حكمة رقم: ٢٢١.

٥٦-نهج البلاغة، الرسالة ٥٣، ص٥٥٠.

٥٧-المصدر نفسه، الخطبة ٣، الشقشقية، ص٤٩.

٥٨-هانّا أرندت (١٩٠٦-١٩٧٥): فيلسوفة ومفكرة سياسية ألمانية-أمريكية يهودية، عُرفت بدراساتها عن السلطة، الشر، والحريَّة، واهتمَّت بمفهوم "فضاء الفعل" بوصفه شرطًا أساسيًّا لوجود الإنسان بوصفه كائنًا سياسي فاعل، ومن أبرز كتبها أصول التوتاليتاريَّة والشرط الإنساني.

٥٩-Arendt, The Human Condition, p. 175.

٦٠-نهج البلاغة، رقم ٨٧.

٦١-المصدر نفسه، خطبة ٩٧، ص٣٣٢.

٦٢-تقنيَّات الذات عند فوكو: هي الممارسات التي يقوم بها الأفراد، بأنفسهم أو بمساعدة الآخرين، من أجل تشكيل ذواتهم أخلاقيًّا وروحيًّا وفكريًّا، بهدف بلوغ حالات معيَّنة من الصفاء أو الحكمة أو السعادة أو الخلاص، مثل التأمُّل ومحاسبة النفس والاعتراف.

المصادر والمراجع

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦م.

الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق السيِّد مهدي الرجائي، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.

إريكسون، إريك، الهويَّة: أزمة الشباب والتكامل الإنساني. ترجمة عبد العزيز حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.

ـ باومان، زيجمونت، الحداثة السائلة. ترجمة: حجاج أبو جبر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.

الهويَّة: حوار مع بينوا دنيس. ترجمة: سعيد بنكراد، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

الحياة الاستهلاكيَّة. ترجمة: عبد السَّلام بنعبد العالي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

الحريَّة. ترجمة: فريد الزاهي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢.

تايلور، تشارلز، مصادر الذات: تكوّن الهويَّة الحديثة، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز العربي للأبحاث، ٢٠١٣.

حجازي، مصطفى، الإنسان المهدور: دراسة نفسيَّة اجتماعيَّة. المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٥.

حسن، كمال، علم النفس الذاتي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١.

الريشهري، محمَّد، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ.

سارتر، جان بول، الوجود والعدم: بحث في الأنطولوجيا الظاهراتيَّة، ترجمة: الدكتور عزت قرني، مراجعة: الدكتور عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، سلسلة تراث الإنسانيَّة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

بنعبد العالي، عبد السَّلام، فوكو: المعرفة والسلطة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.

العبد الكريم، عبد الله، مداخل إلى علم النفس الحديث. دار الزهراء للنشر، الرياض، ٢٠٠٥.

العروي، عبد الله، مفهوم الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ١٩٩٧.

ـ الفارابي، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: وليم نيكلسون، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

فروم، إريك، الخوف من الحريَّة، ترجمة: مجدي وهبة، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣.

ـ فوكو، ميشيل، تقنيات الذات، ترجمة: عبد السَّلام بنعبد العالي، ضمن كتاب: "فوكو: المعرفة والسلطة"، إشراف: عبد السَّلام بنعبد العالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

تاريخ الجنسانية: استخدام المتع، ترجمة: نبيل عجان، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

تاريخ الجنسانية: الاعتناء بالنفس، ترجمة: نبيل عجان، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ترجمة: عبد السَّلام بنعبد العالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠١٢.

كاستلز، مانويل، قوة الهويَّة. ترجمة فؤاد الشمالي، الشبكة العربيَّة للأبحاث، بيروت، ٢٠١٤.
المسيري، عبد الوهاب، رحلتي الفكريَّة في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتيَّة غير موضوعيَّة، الهيئة العامَّة لقصور الثقافة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
المناوي، محمَّد (ت: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
وطفة، علي. بناء الهويَّة في التربية والثقافة. دار الفكر التربوي، دمشق، ٢٠١٣.

المصادر الأجنبية:
1-Giddens, Anthony. The Consequences of Modernity. Stanford University Press, 1990, p. 64
2-Charles Taylor, Sources of the Self: The Making of the Modern Identity, Harvard University Press, 1989, p. 34.
3-Arendt, Hannah, The Human Condition, University of Chicago Press, 1958, p. 175.

المضامين التربويَّة والاجتماعيَّة في ارشادات الإمام علي عليه السلام للرعيَّة

أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي
أ.د. عبد القادر عزيز أحمد الحيالي

كليَّة التربية / الجامعة العراقيَّة

ملخَّص البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن التوجيهات التربويَّة والاجتماعيَّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مجال تحقيق الأمن الاجتماعي، بوصفه أحد المرتكزات الأساس في بناء المجتمع الإسلامي المتماسك. ينطلق البحث من رؤيةٍ قرآنيَّةٍ ونبويةٍ تؤكِّد أنَّ أمن المجتمع لا يتحقَّق إلَّا من قيمٍ تربويَّةٍ وأخلاقيَّةٍ تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتكافل، والإصلاح، وفعل الخير، والكلمة الطيبة، وإزالة الأذى عن النَّاس.

وقد تجلَّت هذه المبادئ في فكر الإمام علي عليه السلام وسيرته العمليَّة؛ إذ قدّم أنموذجًا فريدًا في إدارة الأزمات وتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، مؤكّدًا أنَّ القائد الحقيقي هو من يرسّخ روح المسؤوليَّة، ويوحِّد المجتمع، ويرعى الضعفاء، ويقيم العدل، ويتعامل بتواضع وإنصاف.

تنأوَّل البحث، عبر منهجٍ وصفيٍ تحليلي، أبرز الجوانب التربويَّة والاجتماعيَّة في فكر الإمام عليه السلام ضمن ستَّة محاور رئيسة: المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، وحدة المجتمع، التكافل الاجتماعي، التربية المهنيَّة، إرساء العدل، والتواضع.

وتخلص الدراسة إلى أنَّ الإمام علي عليه السلام أسَّس لمنظومة تربويَّة اجتماعيَّة قائمة على العدالة والرحمة والتكافل، تمثّل أنموذجًا حضاريًّا متكاملًا؛ لتحقيق الأمن الاجتماعي في كلِّ زمانٍ ومكان.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، الأمن الاجتماعي، العدالة، التكافل، المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، الفكر التربوي، القيم الإسلاميَّة.

Abstract

Based on the words of the Prophet (peace and blessings be upon him): "Every joint of a person must give charity every day the sun rises. Acting justly between two people is charity. Helping a man with his mount, lifting him onto it, or lifting his belongings for him, is charity. A kind word is charity, and every step you take to prayer is charity." Charity, and removing harm from the road is charity From the above noble texts, it is evident that the elevation of social relations and the achievement of social security are based on the implementation of many principles, including enjoining good and forbidding evil, cooperating to reform people, doing good, offering charity, speaking kindly, striving to attain closeness to God, and removing harm from the path of Muslims. From all of these principles, the concept of social security in the Islamic state is formed. Imam Ali (peace be upon him), the successor of the Messenger of God and his son-in-law, complemented the divine directives and prophetic traditions with great educational and social guidance in the field of achieving social security. This can be understood by tracing his history in crisis management.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدَّم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، والصَّلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمَّد وآله الطاهرين.

أما بعد:

تلعب عوامل التمييز والفوارق الطبقيَّة بين أفراد المجتمع الواحد لأسباب عرقيَّة أو دينيَّة دورًا مهمًّا في تفكُّك المجتمع وفقدان تماسكه ووحدته بوصفه مجتمعًا مثاليًّا وبالتالي قيامه بالدور الذي يفترض أن يقوم به في ظلِّ المبادئ الإسلاميَّة التي دعا إليها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولقد أدرك الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أن توافر الكرامة والحقوق الإنسانيَّة للفرد في المجتمع مترابطة مع تحقيق الآليَّات الخاصَّة بالأمن الاجتماعي، وجعل هذا المبدأ هو المعوَّل في محاسبة الرعيَّة للحاكم وتغييره إذا أخل بتطبيق شروطه ومبادئه، فعمل على تثبيت الأسس الخاصَّة بالعدل والأمن الاجتماعي بناءً على إدراكه بطبيعة الظروف السياسيَّة التي سبقت تولية الخلافة .

فكانت انطلاقة مشروعنا من فرضيَّة أساسيَّة ألا وهي أنَّ العهد العلوي تضمن جملة من المبادئ الخاصَّة بتحقيق الأمن الاجتماعي التي جاء التعريف بها وبمدلوليها في المبحث الثاني مبيِّنًا الجوانب التي تساعد وتعمل على تحقيقه، ولم يكتفِ العهد بتبيان ضرورات المحافظة على مبادئ الأمن الاجتماعي؛ بل امتدَّ ليشمل الوسائل الفاعلة واللازمة لتحقيق هذا المبدأ الهام في الحياة الإنسانيَّة.

لتتبلور الفكرة وتخرج ببحث أسميناه (**المضامين التربويَّة والاجتماعيَّة في ارشادات الإمام علي عليه السلام للرعيَّة**) الذي عرض بعضًا من توجيهات الإمام عليه السلام ضمن هذا الجانب فتكون البحث من مبحثين أساسين يتناول الأوَّل السيرة الشخصيَّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أمَّا الثاني فكان لدراسة مفهوم المضامين الدينيَّة والاجتماعيَّة لإرشادات

الإمـام عـلي عليه السلام إلى الرعيَّـة مرتكـزًا عـلى توجيهـات أمـير المؤمنـين صلـوات الله وسـلامه عليـه في هـذا الشـأن وعـلى النحـو الآتي:

المبحث الأوَّل: التعريف بسيرة الإمام علي عليه السلام الشخصيَّة ومنزلته من الرسول الأعظم

المبحـث الثـاني: المضامـين التربويَّـة والاجتماعيَّـة لإرشـادات الإمـام عـلي عليه السلام للرعيَّـة في الجوانـب الآتيـة:

المطلب الأوَّل: المسؤوليَّة الاجتماعيَّة المطلب الرابع: التربية البدنيَّة

المطلب الثاني: وحدة المجتمع المطلب الخامس: العدالة المجتمعيَّة

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي المطلب السادس: التواضع وعدم الاستكبار

وانتهت بخاتمة تتضمَّن أهمَّ ما توصَّلنا إليه من نتائج

المبحث الأوَّل

السيرة الشخصيَّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

لسنا هنا بصدد الكتابة عن تفصيلات الحياة الخاصَّة بالإمام علي بن أبى طالب عليه السلام، فهو أمر لا تستوعبه مجلَّدات عديدة، وإنَّما ما يهمُّنا هنا هو إظهار توجيهاته التربويَّة والاجتماعيَّة في خلافته في مجال الأمن الاجتماعي، ومن ثمَّ فإنَّ شخص الإمام علي عليه السلام غني عن التعريف، غير أنَّ ذلك لا يمنع من الإشارة إلى شخصيَّته وسيرته ولو باليسير منها.

أوَّلًا – اسمهُ:

هـو عـلي بـن أبي طالـب بـن عبـد المطلـب بـن هاشـم بـن عبـد منـاف بـن قـصي بـن كلاب بـن مـره بـن كعـب بـن لـؤي القـرشي الهاشـمي[١] أمُّـه فاطمـة بنـت أسـد بـن هاشـم بـن عبـد منـاف[٢]، ولـدت بمكَّـة وهاجـرت إلى المدينـة المنـورة وتوفيـت بهـا[٣] وقيـل: ((إنَّـه قـد ولـد وأبـوه غائـب فسـمَّته أمُّـه حيـدرة، ولمَّـا عـاد أبـو طالـب سـماه عليًـا))، ومـن هنـا يسـمَّى الإمـام عـلي عليه السلام حيـدر، وهومـن أسـماء الأسـد وأكَّـده الإمـام عـلي عليه السلام في أثنـاء لقائـه عمـرو بـن عبـد ود العامـري في معركـة الخنـدق، قـال[٤]:

أَنا الَّذي سَمَتني أُمي حَيدَرَه كَلَيثِ غاباتٍ كَريهِ المَنظَرَه
أَكيلُكُم بِالسَيفِ كَيلَ السَندَرَه

ممَّا يشير إلى صحَّة التسمية

ثانيًا – مولده:

ولد الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام بمكَّة في يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنه ثلاثين من عام الفيل، وكان مولده في بيت الله الحرام، وفي جوف الكعبة، ولم يولد قبله مولود في بيت الله الحرام سواه، إكرامًا وتعظيمًا من الله تعالى له[٥].

ثالثًا – نشأته وإسلامه:

منَّ الله على علي ابن أبي طالب عليه السلام أن ينشأ في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله، منذ نعومة أظفاره، وأن يتربَّى ويترعرع في بيت الإسلام وبين أحضان الرسول صلى الله عليه وآله، فأحسن تربيته وعلمه فأحسن تعليمه، ولَّما نزل الوحي وبعث رسول الله بشيرًا ونذيرًا للعالمين أخذ علي الإسلام على فطرته، فلم يحصل له تحول من الشرك إلى الإسلام؛ بل كان إسلامه على الفطرة. فهو أوَّل من أسلم بعد خديجة بنت خويلد (عليها السلام)[٦]

أمَّا عن عمره حين أسلم فقد اختلف المؤرخون في ذلك، فابن الجوزي[٧] يذكر ((أنَّه أسلم وهو ابن سبع سنين)) في حين ذكر البخاري[٨] أنَّه أسلم وهو ابن ثمان، وقيل خمسة عشر سنة[٩]، ولم يسجد لصنم قط .

رابعًا– فضائله:

كان للإمام علي عليه السلام كثير من الفضائل ممَّا لا يسعنا إلَّا ذكر بعضها .فهو من السابقين إلى الإسلام، وهو أوَّل من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله[١٠]. ولَّما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله، إلى المدينة نام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله[١١]، وهو بذلك يعد أوَّل فدائي في الإسلام ضحى بروحه من أجل سلامة الرسول صلى الله عليه وآله، وعزة الإسلام، والرسول أخلفهُ بمكانه ليؤدِّي الأمانات والودائع التي عند الرسول صلى الله عليه وآله إلى أهلها[١٢]. وشهد المشاهد والغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وحينما آخى

الرسول صلى الله عليه وآله، بين المهاجرين والأنصار آخى صلى الله عليه وآله، بينه وبين الإمام علي عليه السلام فقال:((أنت أخي في الدنيا والآخرة))[١٣]. وهو بذلك يعدُّ المهاجر الوحيد الذي آخى الرسول صلى الله عليه وآله. وفي يوم خيبر سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م قال الرسول صلى الله عليه وآله، كلمته المدوية التي تشير إلى منزلة الإمام العظيمة عند الله سبحانه وتعالى: ((لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار ليس بفرار، يفتح الله على يديه))[١٥] فأعطاها لعلي بن أبي طالب عليه السلام وفي حادثة الكساء[١٤] جمع النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فاطمة وعليًا والحسن والحَسينَ عليهم السلام وألقى عليهم كساءَه وضمهم أليه، ثمَّ تلا الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب، آية ٣٣. وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله، أن يدور الحق مع علي، وقد أمر رسول الله بموالاته ونصرته فقال في يوم الغدير: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه)) [١٦]. وعن ابن بريده عن أبيه، قال ((كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة ومن الرجال علي))[١٧].

وبذلك لا يسعنا ذكر المزيد من تلك الفضائل المفيضة التي كانت الشعلة المضيئة للمؤمنين وقدوة للمتقين .

المبحث الثاني: المضامين الدينيَّة والاجتماعيَّة لإرشادات الإمام علي عليه السلام إلى الرعيَّة

تجدر الإشارة إلى أنَّه لم تتفق الدراسات على تعريف بصياغة محددة لمفهوم الأمن الاجتماعي، وأنَّ القصور الوارد في العديد من التعريفات قد يتمثَّل في عدم شمول المفهوم لجميع جوانب الحياة التي يعيشها الفرد، فبعض الباحثين قد يحصر مدلول المفهوم في جانب واحد من جوانب الحياة، وغيره قد يقصي الجانب المادِّي والممارسات الحياتيَّة ويكتفي بالروح المعنويَّة والحالة الشعوريَّة السائدة في المجتمع. وهناك من يغلب النظرة الأحاديَّة، ويحمل الفرد أو المجتمع تلك المسؤوليَّة، ومنهم من يهتم في تعريف الأمن الاجتماعي بالجانب التنظيمي وعناية النظام الدَّولي بالبعد الجنائي وحماية الأفراد من أي اعتداء يحتمل وقوعه عليهم[١٨].

وهناك من ينطلق في تعريفه للأمن الاجتماعي من جانب نفسي، فيرى أنَّه "حالة تنطلق من الشعور بالانتماء وتستند إلى الاستقرار وتستمد مقوماتها من النظام بمعنى أنَّ تلك الحالة تفترض وجود بناء تنظيمي أو تنظيم جماعي اتفاقي يشعر الأفراد بالانتماء إليه، ويتَّسم بالثبات والاستقرار والدوام، ويحدد مواقع أعضاء التنظيم وحقوقهم وواجباتهم بما يساعد على توقيع سلوكيَّات أعضاء التنظيم في الحالات التفاعلية[١٩].

ومنهم من يرى "الأمن الاجتماعي بمفهومه العام يشمل كلُّ النواحي الحياتيَّة التي تهمُّ الإنسان المعاصر، فهو يشمل أوَّل ما يشمل الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للمواطن، ويتناول الأمن الاجتماعي إضافة إلى ما سبق تأمين الخدمات الأساسيَّة للإنسان فلا يشعر بالعوز والحاجة، ويشمل الخدمات المدرسيَّة والثقافيَّة والرعاية الإنسانيَّة والتأمينات الاجتماعيَّة والماديَّة في حال البطالة والتوقف عن العمل، ويهدف أيضًا إلى تأمين الرفاهيَّة الشخصيَّة، وبالتالي إلى تأمين الوقاية من الإجرام والانحراف[٢٠].

ويعرَّف أنَّه سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخليَّة والخارجيَّة التي قد تتحدَّاهم كالأخطار العسكريَّة، وما يتعرَّض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة[٢١].

وسنتناول في هذا المبحث الضمانات التي تحقق الأمن الاجتماعي التي سنتناولها على شكل مطالب وهي:

المطلب الأوَّل: المسؤوليَّة الاجتماعيَّة

في رسائل الإمام علي عليه السلام توجيهات اجتماعيَّة وتربويَّة من خلال المسؤوليَّة الاجتماعيَّة مثل:

١- عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادى من خلفي: ارفع إزارك، فإنَّه أنقى لثوبك وأتقى لربِّك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا، فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنَّه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبًا في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا على ابن أبي طالب أمير المؤمنين، حتَّى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإنَّ اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، ثمَّ أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده مولاي فأبى أن يقبله. فقال له عليٌّ: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنَّها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدرى من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا عليُّ بن أبي طالب أمير المؤمنين فصبت تمرها وأعطاها درهمًا. ثمَّ قال الرجل: أحب أن ترضى عنِّي يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت النَّاس حقوقهم. ثمَّ مرَّ مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يَرْبُ كسبكم، ثمَّ مرَّ مجتازًا - ومعه المسلمون - حتَّى أتى إلى أصحاب السَّمك، فقال: لا يباع في سوقنا طاف. ثمَّ أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[٢٢] فاشترى ثوبين: أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، فقال: "يا قنبر خذ الذي بثلاثة "قال: أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المنبر وتخطب النَّاس، قال: "يا قنبر، أنت شاب ولك شره الشباب، وأنا استحيي من ربِّي أتفضل عليك؛ لأنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: ألبسوهم ممَّا تلبسون، وأطعموهم ممَّا تأكلون"[٢٣].

٢- عن زاذان قال: كان عليٌّ يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمرُّ بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ثمَّ يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر النَّاس(٢٤).

فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تضمن أمورًا منها:

أ- لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه؛ بل تعدَّت ذلك إلى خدمة النَّاس في شئونهم، كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

ب- تضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإنَّ من اتَّقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

جـ- منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأنَّ موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

د- النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق، كنهيه عن تنقيح اللحم.

- ففي مجال حراسة الآداب الاجتماعيَّة، وصيانة المجتمع من كلِّ الانحرافات التي قد تنخر في سفينة الأمَّة والمصلحة العامَّة، يقدم الخليفة توجيهاته التالية:

١- قال علي عليه السلام في وصيَّته للحسنين عليهما السلام عند الشهادة: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثمَّ تدعون فلا يستجاب لكم)(٢٥).

٢- وعن ابن أبي حاتم عنه أنَّه قال في خطبته: أيُّها النَّاس: إنَّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، وأنَّهم لَّما تمادوا في المعاصي ولم تنههم الربانيُّون والأحبار نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا، ولا يقرب أجلًا(٢٦).

في النصين السابقين تأكيدًا من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مختلف على ضرورة

مراعاة أفراد الأمَّة، وحراستهم من كل عوامل الانحراف والضياع، فالمجتمع في نظر الإسلام عين ساهرة تحافظ على المصلحة العامَّة، وتعمل على صيانة فطر الناشئة من كلِّ الشوائب الاجتماعيَّة والفكريَّة، وفي النصِّ توجيهات اجتماعيَّة عظيمة منها:

١- حراسة المصلحة العامَّة من أهداف التربية الإسلاميَّة المهمَّة التي تسعى إلى تحقيقها بوسائطها الاجتماعيَّة ومنها المجتمع .

٢- إشعار أفراد المجتمع المسلم مسئوليَّة كل فرد منهم بأهميَّة مشاركته في حراسة الآداب الاجتماعيَّة العامَّة والحفاظ عليها مهم في تحقيق الأمن الاجتماعي .

-وفي مجال متابعة مسؤولي الدَّولة، ومراقبة تصرفاتهم وسلوكياتهم البناءة والشريفة، يقدم الإمام توجيهاته التالية:

- كتب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عثمان بن حنيف. عامله على البصرة كتاب يقول فيه: أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أنَّ رجلًا من فتية أهل البصرة، دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننتك تجيب إلى طعام قوم .. عائلهم[٢٦] محفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فألفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه ! ألا وإنَّ لكلِّ مأموم إمامًا يقتدى به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[٢٧]، ومن طعامه بقرصيه، ألا وإنَّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبرًا، ولا ادَّخرت من غنائمها وفرًا، ولا أعددت لبالي ثَوبي طِمرا .... وإنَّما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي، إلى تخير الأطعمة، ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة، من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع! أو أبيت مبطانًا وحولي بطون غرثى وأكباد حري؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تَبيت ببطنه وحولك أكباد تحن إلى القد[٢٨] .

أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في خشونة العيش؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة[٢٨] شغلها تقسمها، تكترش من أخلاقها وتلهو عما يراد بها .... وكأنِّي بقائلكم يقول! إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان!! ألا وإنَّ الشجرة البريَّة أصلب عودًا . والروائع المخضرة أرق جلودًا، والنباتات البدويَّة أقوى وقودًا، وأبطأ خمودًا، وأنا من رسول الله، كالصنو من الصنو، والذراع من العضد !! .... فاتق الله يا ابن حنيف، ولتكفك أفراحك، ليكون من النار خلاصك !! .[٢٩]

والإمام عليه السلام القدوة الطيبة، والمثل الكريم لأتباعه وأولياته، في هذا الذي يدعوهم إليه، من ترك الطيبات، والاكتفاء بالقليل الخشن من اللباس والطعام

في هذا النص إطلالة من نافذة اجتماعيَّة مهمة في حياة الأمم والشعوب، تمثَّلت هذه الإطلالة في توجيه الإمام بعض عماله إلى خطورة قبول الهدايا، والعطاءات، والاستضافات على نفسيته، وعلى سير حكمه، ونزاهة قيادته الاجتماعيَّة، من حيث سوء الظن به، واتهامه بالانحياز إلى فئة دون أخرى، وفقد الثقة به، وبقيادته، ومدعاة إلى عدم صدقه وإخلاصه في المسؤوليَّة .

وكذا فإنَّ هذه النص يشتمل على فوائد اجتماعيَّة عديدة، ومنها:

أ- تربية الأطراف الإداريَّة، والقياديَّة، والاجتماعيَّة من أهمِّ مسؤوليَّات السلطان من منظور التربية الإسلاميَّة.

ب- ضرورة متابعة العاملين في الدَّولة، ومراقبتهم من أجل تحسين أدائهم، وتلافي الأخطاء في المستقبل.

ج- أن يكون السلطان قدوة حسنة لعماله، ورعيته .

- وفي مجال حراسة العقيدة، والذب عن الدين، والحرص على تحقيق أمن المجتمع

كان الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام لا يرى في حربه للخارجي عليه إلَّا أنَّها حملات تأديبيَّة، ترد الشاردين، وتأخذ على أيدي العصاة .....

وسواء أكانت هذه الحرب في أضيق الحدود، أو في أوسع مدى، فإن طبيعتها عنده لا تتغير، وإن تغيرت وجووها، وتباينت صورها وأشكالها، لأنَّ الحرب هنا، أشبه بعمليَّة جراحيَّة لمريض .. لا يتجاوز الطبيب فيها موضع العضو الفاسد، إلى ما صح وسلم! ولهذا، فقد كانت حرب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واقفة عند ميدان المعركة، لا تتجاوز حدودها إلى ما وراء المحاربين، من نساء، وأطفال، وزرع، وضرع، ومتاع! ففي هذه الحرب لا يجهز على جريح! لا يقتل مدبرًا! ولا يوسر مستسلم! ولا يستحوذ على نساء! ولا يستولي على عبيد أو إماء، إلَّا ما كان من عدَّة الحرب! أو بانتهاء المعركة، وإلقاء السلم، لا يكون لعلي، ولا لجيشه سلطان على أحد من قاتله... فلا حساب، ولا عقاب! على هذا المنهج حارب الإمام، ويحارب معه من أزره، ووقف إلى جانبه !

فهل التزم الذين كانوا معه هذه الخطة؟ وهل أخذوا بها أنفسهم؟ [٣٠]

وكذا فإنَّه كتب إلى الأشتر حين ولَّاه مصر: (إيَّاك وسفك الدماء بغير حقها . فإنَّه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعه، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدَّة، من سفك الدماء بغير حلها .. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإنَّ ذلك يضعفه ويوهنه؛ بل يزيله [٣١].

وفي المجال نفسه خطب الإمام على بن أبي طالب عليه السلام في أصحابه فكان ممَّا قال لهم: لا تقاتلوهم حتَّى يبدؤوكم، فإنَّكم بحمد الله على حجة، وتركككم إيَّاهم حتَّى يبدؤوكم حجَّة أخرى، لكم عليهم فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبرًا ولا تصيبوا معورًا [٣٢]، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراؤكم). [٣٣]

كما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لجارية ابن قدامة السعدي، حين بعثه الملاقاة بسر بن أرطاة قائد معاوية، بعد أن أغار على همدان، وقتل صبيانهم، وسبي نسائهم .. يقول علي في وصيته تلك، ولا تقاتل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة، وإن مشيت ومشى أصحابك! ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشرين إلَّا فضلهم[٣٤] عن طيب نفوسهم، ولا تشتمنَّ مسلمًا ولا مسلمة.... ولا تظلمنَّ معاهدًا ولا معاهدة... واسفك الدم في الحق واحقنه في الحقِّ[٣٥].

- إنَّ الإمام عليه السلام توجيه آخر في هذا المجال يكمن في قوله يوم الجمل للجند: لا يسلبنَّ قتيل، ولا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح[٣٦].

وفي النصوص السابقة كثير من التوجيهات الاجتماعيَّة ومنها:

أ- أسلوب التربية بالعقوبة، أسلوب دعت التربية الإسلاميَّة إلى استخدامه، ليس في كلِّ وقت، وإنَّما يستخدم عندما لم تقد الأساليب التربويَّة الأخرى، فالتربية بالعقوبة هي آخر ما تمتلكه المربِّي .

ب- للتربية بالعقوبة أدبيات، وحيثيات لا بدَّ منها، مثل العجز الواضح في الوسائل الأخرى، عدم ارتكاب الأخطاء التي يعاتب عليها، عدم التسبب في العقوبة بواسطة تصيد الأخطاء التي يعاقب عليها، عدم الاعتداء وعدم التشهير بالمعاقب...

وتتَّضح في هذه النصوص ملاحظات اجتماعيَّة، وتربوية دقيقة تتمثَّل في: حراسة العقيدة والمصالح العامَّة مسؤوليَّة الدَّولة، ورجال العلم، والفكر كل بحسبه، والقنوات الثقافيَّة والاجتماعيَّة، وكل الهيئات، والمؤسَّسات في الدَّولة الإسلاميَّة تقوم بمهمَّة التفتيش، والإصلاح التربوي، والاجتماعي، والإداري؛ لتحقيق الأمن الاجتماعي، وأنَّ مقاتلة المرتدين، أو الخارجين عن تعاليم الدين يبغي أن تكون علاجيَّة، وليست انتقاميَّة.

- وفي مجال الرعاية الدقيقة من أجل تحقيق الأمن الاجتماعي يقدم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام توجيهات تربويَّة واجتماعيَّة جليلة منها:

١- خطب على الدين فقال: يا أيُّها النَّاس: أقيموا على أرقائكم الحدود، من أحصن منهم، ومن لم يحصن، فإن أمة الرسول الله صلى الله عليه وآله، **زنت**، فأمرني رسول الله أن أقيم عليها الحد، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن تموت، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت)[٣٧].

٢- ورد نص آخر يقول فيه الإمام على بن أبي طالب عليه السلام: لا يرمين أحد سهمًا ولا حجرًا، ولا يطعنن برمح، حتَّى أعذر القوم، فأخذ عليهم الحجة البالغة.[٣٨].

في هذين النصين يتحسَّس الإمام على بن أبي طالب عليه السلام إلى أفراد جنده، وكل أفراد المجتمع في حماية الأمَّة، وتحقيق الأمن الاجتماعي في كلِّ الميادين. والمجالات، سواء أكان هذا الجندي في منزله، أو مع خدمه، أو مع أهله وأولاده، أو في مدرسته، أو في عمله، أو... في أن يكون حارسًا لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومنفذ لها.

وفي النصِّ توجيهات تربويَّة واجتماعيَّة مهمَّة ومنها:

تشديد الرقابة الخاصَّة مطلب من مطالب التربية الاجتماعيَّة في الإسلام، وذلك من أجل تحقيق الأمن الاجتماعي . استخدام أو استعمال الإعذار مهم في تحقيق الأمن الاجتماعي للأمَّة في نظر التربية الإسلاميَّة

المطلب الثاني: الحفاظ على وحدة المجتمع

تهدف التربية الإسلاميَّة إلى بناء مجتمعٍ تقوم علاقات أفراده على المحبَّة، والمودَّة، والتألف، والرحمة ويبتعد عن الشقاق، والاختلاف، والعداوة، والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه على وفق هذه المبادئ، وذلك بتوحيد عقيدتهم أوَّلا، فيتم تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقيَّة، وتتوحد مصادر التلقِّي عندهم، إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة، ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم[١] .

وذلك انطلاقًا من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣) .

ومن قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(الأنفال: ٤٦) .

ومن منطلق هذه القاعدة العظيمة في مجال تحقيق الأمن الاجتماعي للأمَّة الإسلاميَّة قام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتقديم توجيهات عظيمة في هذا الشأن تؤدِّي كلها إلى الحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي ويمكن تقديم هذه التوجيهات على النحو التالي:

- كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة قد منع النَّاس من القعود على ظهر الطريق، فكلموه في ذلك فقال: أدعكم على شريطة . قالوا: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: غض الأبصار، ورد السلام، وإرشاد الضال قالوا: قد قلنا. فتركهم[٣٩].

في هذا النصِّ توجيه تربوي دقيق إلى الحفاظ على وحدة الأمَّة الإسلاميَّة من خلال الالتزام بالتعاليم والآداب الاجتماعيَّة، وذلك أنَّ الجلوس على الطرقات لا يسلم فيها العابر من غمز أو لمز من يعتادون الجلوس في الطرقات والطعن في أعراض النَّاس، وإبداء محارم النَّاس، كل هذه الأمور تدعوا إلى العداء والفرقة، وكان توجيه الإمام علي بن أبي طالب إلا من أبى إلا الجلوس في الطريق: أن يتقيد بأداها وإلا فلا يجوز له الجلوس . **وفي النص السابق حفاظ على وحدة الأمَّة وتحقيق الأمن الاجتماعي وذلك من خلال ما يلي:**

١- إدراك كل فردٍ من أفراد الأمَّة مسؤوليَّته في الحفاظ على مشاعر الآخرين ووجوب احترامهم، يفرز أو يولد الحفاظ على وحدتهم وعدم اختلافهم.

٢-إحساس العامَّة بوجود رقابة اجتماعيَّة عليهم يدفعهم إلى الانصباع إلى التعاليم الإسلاميَّة، والتحلِّي بالآداب الاجتماعيَّة، والحفاظ عليها.

٣- في هذا النصِّ مع قصره تأكيد العمل على إزالة كل العوامل أو الأسباب الستي من شأنها أن تؤدِّي إلى الفرقة، والاختلاف في الأمَّة .

وفي هذا النصِّ فوائد اجتماعيَّة وتربويَّة عظيمة مثل:

١- ولي الأمر في البلاد مكلف من منظور التربية الاجتماعيَّة في الإسلام بإزالة كل عوامل الفرقة والاختلاف في الأمَّة.

٢-أنَّ العمل في مجال الحفاظ على هذه الأمَّة تكاملي بين وليِّ الأمر، والعلماء والمصلحين، وأصحاب الرأي، والمشورة .

-كتب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عهدًا لبعض أصحابه على بلد فقال فيه:

((أمَّا بعد: فلا تطولن حجابك على رعيتك فإنَّ احتجاب الولاة عن الرعيَّة شعبة من الضيق، وقلة علم من الأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، وتحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنَّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه النَّاس به من الأمور، وليست على القول سمات يعرف بها صروف الصدق من الكذب، فيحصن من الإدخال في حقوق بلين الحجاب، فإنَّما أنت أحد رجلين: إما أمرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فتقيم احتجابك من حق تعطيه، أو خلق كريم تسديه، وإمَّا مبتلى بالمنع، فما أسرع كف النَّاس عنك وعن مسائلتك إذا ينسوا عن ذلك، مع أنَّ أكثر حاجات النَّاس إليك لا مؤنة فيه عليك من مشكاة مظلمة أو طلب إنصاف فانتفع بما وصفت، واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله))[٤٠].

- أنَّه وجه رسالة مماثلة إلى أحد عماله جاء فيها: ((أمَّا بعد، فإنَّ العجب كل العجب منك؛ إذ ترى لنفسك في بيت مال الله أكثر ممَّا لرجل من المسلمين، قد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعاءك ما لا يكون، ينجيك من الإثم ويحلُّ لك ما حرَّم الله عليك، عمرك الله! إنَّك لأنت البعيد، وقد بلغني أنَّك اتخذت مكَّة وطنًا، وضربت بها

عطنًا، له تشتري المولدات من المدينة والطائف، وتختارهنَّ على عينيك، وتعطى من مال غيرك، وإني أقسم بالله ربِّي وربّك رب العزة ما أحب أن ما أخذت بالله من أموالهم حلال لي أدعه ميراثًا لعقبي، فما بال اعتباطك به تأكله حرامًا، ضع رويدًا، فكأنَّك قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالفعل الذي ينادي فيه المغتر بالحسرة، ويتمنَّى المضيع التوبة والظالم الرجعة.

هذان النصَّان يلقيان الظل على قاعدة سياسيَّة، واجتماعيَّة مهمَّة في حياة الأمَّة الإسلاميَّة:

هي سياسة الباب المفتوح أمام الرعيَّة، من أجل سماع شكواهم، والتعرف على حاجتهم، ومشاكلهم، والعمل على حلِّ المشكلات وإزالة المعضلات لأنَّ الاحتجاب عن الرعيَّة، أو سد باب ولي الأمر يكون مدعاة للفوضى، واضطراب الأمور، ويؤدِّي في نهاية المطاف إلى الفرقة، والاختلاف والتمرد .

وفي النصين توجيهات اجتماعيَّة هائلة ومهمَّة ولعلَّ أهمَّها ما يلي:

أ- دعوة الإمام عليه السلام كل القادة السياسيين الاجتماعيين إلى معايشة قضايا الأمَّة ومعايشة مشاكلها، والعمل على حلها أو التقليل من أثرها.

ب- مطالبة القادة وكل العاملين في الدَّولة إلى جعل أبوابهم مفتوحة أمام الرعيَّة؛ للتعرف على أوضاع الأمَّة، والنظر فيها عن قرب، وعدم البقاء في برج عالي مثل حياة بعض الفلاسفة .

ج- متابعة ولي الأمر لعمَّاله، ومراقبتهم، أمر له وزنه في مجال الحفاظ على وحدة الأمَّة الإسلاميَّة، وتحقيق الأمن الاجتماعي .

-وكتب الإمام عليه السلام إلى عامله قرظة بن كعب قائلًا:

(أما بعد، فإن قومًا من أهل عملك أتوني فذكروا أنَّ لهم نهرًا قد عفا ودرس، وأنَّهم إن حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم، وقووا على كلِّ خراجهم، وزاد في ء

المسلمين قبلهم، وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والإنفاق عليه، ولست أرى أن أجبر أحدًا على عمل يكرهه، فأدعهم إليك فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل، والنهر لمن عمل دون من كرهه، ولأن يعمروا ويقووا أحب إليَّ من أن يضعفوا، والسلام)[٤١].

- لا شك أنَّ الإمام يدرك أهميَّة الحفاظ على وحدة الأمَّة الإسلاميَّة في المجال السياسي، والاجتماعي، والعقدي، والفكري، وأنَّه يمتلك القدرة على حماية الأمَّة من كل عوامل الضعف، والفرقة لأي عامل من عوامل الفرقة للنيل من وحدة الأمَّة الإسلاميَّة أو محاصرة الأمن الاجتماعي . ومن المسلم به أنَّ في النصِّ السابق ملاحظات اجتماعيَّة مهمة ومنها:

١- الدعوة إلى أن تكون كل القيادات في البلاد الإسلاميَّة على مستوى المسؤوليَّة، والوعي الاجتماعي، والسياسي الذي يحول دون تمكين عوامل الفرقة والاختلاف من التأثير في وحدة الأمَّة الإسلاميَّة.

٢- الاعتراف بالفضل لذويه، عامل مهم من عوامل وحدة الأمَّة الإسلاميَّة المؤدِّي إلى تحقيق الأمن الاجتماعي.

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي صورة من صور التواصل بين النَّاس التي تقوي عناصر المودة والتعاطف بينهم[٤٢]، وهو نوع من الآداب التي اشتمل عليها قول رسول الله الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه بقوله: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام[٤٣] وقوله: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننت أنَّه سيورثه[٤٤].

هذه الأحاديث تدعو، وتوجه إلى التكافل الاجتماعي الذي يسهم إسهامًا عظيمًا في تحقيق الأمن الاجتماعي للأمَّة الإسلاميَّة، وامتدادًا لهذه التوجيهات تجد أنَّ **الإمام علي**

بن أبي طالب عليه السلام قد قدم توجيهات اجتماعيَّة وتربوية عديدة، في مجال التكافل الاجتماعي يمكن التعرف عليها فيما يأتي:

١- روى عن الحكم أنَّه شهد الإمام علي عليه السلام قد أتي: بزقاق من العسل، فدعا اليتامى وقال: دبوا والعقوا حتَّى تمنيت أنِّي يتيم، فقسمه بين النَّاس وبقي منه زقا (زق) فأمر أن يسقاه أهل المسجد [٤٥]،

٢- وعن أبي عائشة قال: كنت أرى عليًا يقسم هذان الدنان الصغار من هذا الطلاء بين أهل الكوفة قال: وهو خائر - الثخين - كأنَّه عسل[٤٦].

٣- ورد عن أبي جحيفة: أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قسَّم عسلًا بين النَّاس فعجن فبعث إلينا بدن طلاء[٤٧]، فقلت له: ما كان ؟ قال: كنا نأتدم به و نختاضه بالماء .

٤- ورد أنَّ عليًّا عليه السلام: كان يقسم بيننا كل شيء حتَّى يقسم العطور بين نسائنا، وعن أمِّ العلاء قالت: قسَّم عليٌّ فينا ورسا[٤٨] وزعفران[٤٩].

نلتمس في هذه النصوص الكريمة مفهوم التكافل الاجتماعي لدى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جمع فيه بين تلبية حاجة المحتاج، وصيانة ماه وجهه من أجل أن تبقى نفسه عزيزة، وأن لا يحس بامتهانه، وضعفه، كما يرى الإمام أنَّ قيامه بقضاء حاجة المحتاج منة من الله عليه، وكرامة أكرمه الله بهذه وهذا قمة الإحساس بالتكافل الاجتماعي الذي يراعى فيه حاجات المحتاج الماديَّة والنفسيَّة معًا.

وفي النصوص السابقة مجموعة كبيرة من التوجيهات التربويَّة الاجتماعيَّة في مجال التكافل الاجتماعي ومنها:

١- الرعاية الاجتماعيَّة التي قام بها الإمام علي عليه السلام نحو السائل أو المحتاج تضمَّنت جانبين مهمَّين في حياة الإنسانيَّة هما الجانب المادي مع الاحتفاظ بالجانب المعنوي الذي لا يفقد فيه المرء مروءته.

٢- في مجال الرعاية الاجتماعيَّة أكَّد الإمام على بن أبي طالب عليه السلام يزين عمليًّا أنَّ ما قام به مع المحتاج إنَّما هو واجب اجتماعي يؤكِّده الدين الإسلامي وتحت عليه.

-خطب الإمام على ابن أبي طالب عليه السلام النَّاس فقال: يأتي على النَّاس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يديه، قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (سورة المائدة الآية / ٢). وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبايع المضطرون[٥٠].

. في هذا النصِّ نافذة إلى كثير من أرباب الأموال، والموسرين في المجتمع الإسلامي الذين يبخلون في مال الله عن المحتاجين من إخوانهم، ولم يدركوا معنى التكافل الاجتماعي المطلوب منهم في أموالهم، والإمام عليه السلام يوجه مثل هذه الشريعة إلى مد يد العون إلى المعسرين حتَّى لا تكون أموالهم نقمة عليهم وفتنة لهم. وفي النصِّ أيضًا فوائد اجتماعيَّة وتربويَّة منها:

١- أنَّ كل مسلم مطالب في نظر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام التربوي في تحقيق الأمن الاجتماعي، والإسهام فيه على قدر استطاعته .

٢- أنَّ التربية الاجتماعيَّة في الإسلام ترغِّب كل الموسرين في معاونة المقلين والمعوزين من إخوانهم المسلمين .

المطلب الرابع: مفهوم التربية المهنيَّة

الحرفة: في اللغة مأخوذة من تنمية المال، يقال: جاء فلان بالإحراف، إذا جاء بالمال الكثير، فلان يحرف لعياله، أي: يكسب بعمله من ها هنا وهاهنا[٥١].

وعرَّفها آخر: فقال: إنَّها الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب[٥٢].

ويفهم من هذه التعريفات أنَّ الحرفة والصناعة هي: مصادر الكسب التي يجيدها الشخص من تجارة، أو زراعة، أو عمل يدوي معين، سواء كان صناعة أو خدمات أخرى، كالحمالة، أو السقاية، وقد يدخل فيها الأعمال العلميَّة، كتعليم القراءة، أو احتراف الطب، أو غير ذلك ممَّا يختص الشخص بصنعه، ويدر عليه المال[٥٣].

وقد عرَّفها بعض علماء التربية أنَّها: هي ذلك النوع من التعليم النظامي الذي يتضمَّن الإعداد التربوي، والتوجيه السلوكي، وإكساب المهارات، والمقدرة المهنيَّة،

الـذي تقـوم بـه مؤسَّسـات بمسـتوى الدراسـة الثانويـة؛ الغـرض إعـداد عـمال ماهريـن في مختلـف المجـالات والتخصُّصـات المهنيَّـة، بـما يجعلهـم قادريـن عـلى تنفيـذ المهـام التـي تـوكل إليهـم، والإسـهام في الإنتـاج الفـردي، أو الجماعـي، ويكونـون حلقـة وصـل بـين الأطـر التقنيَّـة، والعـمال غـير الماهريـن(٥٤). ويـرى بعضهـم الآخـر: أنَّ التربيـة المهنيَّـة هـي ذلـك الميـدان الكبـير الـذي يظهـر فيـه المرء، ونتـاج فيـه الفـرص المواهبـة التـي اكتسـبها منـذ الصغـر، وعلـم عـلى تنميتهـا بالتعليـم، والتجـارب، للـبروز، فيطلـق لهـا العنـان لكـي تعمـل وتـؤتي أكلهـا، وتـؤدِّي قسـطها الواجـب عليهـا نحـو صاحبهـا، ونحـو بينـي حبسـه، وأنَّ المرء لا يسـتطيع أن يقـوم بمهـام مهنتـه حـق قيـام إلَّا إذا كانـت هنـاك عدالـة تحميـه، وتمكنـه مـن أداء الواجـب، وهـو أمـن مطمئـن(٥٥)، فالإنسـان المتمـدن يعجـز عـن أداء كلِّ مـا يحتـاج إليـه، والقيـام بـكلِّ مـا تتطلَّبـه حياتـه بجوانبهـا المتعـدِّدة، ولا يسـتطيع أيضًـا الانتفـاع بـكلِّ مـا تخرجـه يـده؛ لأنَّهـا ليسـت اليـد الوحيـدة القـادرة عـلى إيجـاد الإنتـاج المتكامـل؛ بـل إنَّ كلَّ فـرد يحتـاج إلى غـيره كـما يحتـاج الآخـرون إليـه، فحاجـة الإنسـان إلى غـيره مزدوجـة، ويحتـاج إلى مسـاعدة الآخريـن مـن ناحيـة كونـه مسـتهلكًا ومنتجًـا، فكلُّ إنسـان في هـذه الحيـاة منتـج ومسـتهلك، معـط واحـد، خـادم ومخـدوم . وهـذا هـو الأصـل للعمـران.

نظرة الإمام علي عليه السلام للتربية المهنيَّة وبعضًا من تطبيقاته العمليَّة:

لقـد تربَّـى الإمـام عـلى بـن أبي طالـب عليه السلام في مدرسـة النبـوة وكانـت آثارهـا في نفسـه قويَّـة، انطبعـت عـلى كلِّ سـلوكيَّاته، فتعلـم منهـا الإيـمان، والإخـلاص، والصـدق، وتحمـل المسـؤوليَّة، والتفـاني مـن أجلهـا، فقـد اتَّخـذ مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، مثـلًا أعـلى، وقـدوة حسـنة، فـكان قويًّـا في الله، عـادلًا، تربويًّـا مـن طـراز رفيـع، بـرز ذلـك واضـح في كثيرٍ مـن اهتماماتـه التربويَّـة، وذلـك بـما يتمتَّـع بـه مـن اسـتعداد متميِّـز لتحمـل هـذه المسـؤوليَّة التربويَّـة، وقـد سـاعدته عـلى ذلـك ثقافتـه الواسـعة في كثـير مـن العلـوم: إذ كان مـن أوائـل المتلقِّـين للعلـم مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، ولـه سـهم وافـر في ثقافـة قومـه وعـصره، إلَّا أنَّ الجانـب العمـلي في

ثقافته ظهر بشكل واضح في كثيرٍ من جوانبها النظريَّة والتطبيقيَّة، كما هو المعهود في صحابة رسول الله، وتبعًا لهذا المفهوم الإسلامي الذي يؤكِّد أنَّ المهنة سبب مرتبط بزيادة الإنتاج، وانتشار الثروة، وأنَّها وسيلة الخدمة المجتمع، كما هي وسيلة في الوقت نفسه لكسب العيش والارتزاق منها؛ لأنَّ المهنة تعمل على إرهاف الفرد، وتهذيب أخلاقه لاستخدامه في سبيل الخير والفضيلة وتعوده أيضًا على احترام العمل وإتقانه، وتغرس في نفسه بحسب التعاون والتعاضد، ومن خلال الاطلاع على سيرته وجدت جانبًا مضيئًا من سياسته عليه السلام في رعاية الإنتاج بشكل جدي؛ إذ يقول لأحد ولاته: استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصى بهم خيرًا، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنَّهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد، والمطارح في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم النَّاس لمواضعها، ولا يحترثون عليها فإنَّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى عائلته[٥٦]، من خلال النصِّ السابق يتَّضح أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يحث ولاته في جميع الأمصار على الاهتمام بالتجار، وأرباب الصناعات المختلفة ويوصيهم بهم خيرًا؛ لأنَّهم يعودون لمجتمعهم بالخير الكثير، وتودِّي أعمالهم البناءة إلى زيادة الإنتاج وتوفر الموارد الماليَّة المتعددة للدولة الإسلاميَّة، وتوفر العمل كثير من فئات المجتمع المختلفة، حتَّى يكونوا بناة خير لمجتمعهم. وقد عدَّ الإمام عليه السلام: أنَّ المهنة سبب رئيسي في زيادة الإنتاج، وانتشار الثروة في الدَّولة الإسلاميَّة، لذلك كان تشجيعه قويًّا للحرفين بشتَّى أصنافهم، ووصاياه لولاته كانت قويَّة أيضًا لأنَّه يرى: أنَّهم موارد المنافع من شتَّى بقاع الأرض، فهذا الترابط الذي يدركه علي بن أبي طالب عليه السلام، بين المهنة والازدهار الاقتصادي عندما يولي الحاكم الرعاية التامَّة، ويشجِّع على هذه المهن، فإنَّها تؤتي ثمارها الخيرة . ويستفيد منها أبناء المجتمع الإسلامي ماديًّا ومعنويًّا.

ولم يقف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، عند هذا الحد فحسب؛ بل قام بحماية

المهنة ورعايتها، وتوفير العمل لكلِّ مواطن، حتَّى تنتعش بها الحياة الاجتماعيَّة، يوضح هذا القول بوضوح تلك الرسالة التي أرسلها إلى أحد ولاته ويقول له فيها: (ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استحلاب الخراج؛ لأنَّ ذلك لا يدرك إلَّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلَّا قليلًا)[٥٧]...

ومن هنا يتَّضح: أنَّ الدَّولة إذا شاركت في عمارة الأرض وإصلاحها: توفر العمل للقادرين عليه وزادت ثروات البلاد، وارتفعت ميزانيَّة الدَّولة الماليَّة، وشمل الرخاء، والسعة في المعاش أصحاب المهن جميعًا، وازدادت ثروات الدَّولة بتعدد الأعمال المختلفة. هذه بعض التوجيهات العلميَّة التي قام بها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يحث فيها ولاته وعماله في الأمصار الإسلاميَّة، على أن يهتموا بالحرفيين يشتَّى أنواعهم المختلفة، ويوصي الولاة بهم خيرًا؛ لأنَّهم الدعامة الأساسيَّة في بناء الدَّولة الإسلاميَّة، وتقدمها في شتَّى الميادين، ولم تقف هذه التوجيهات عند الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المياه في الحث على تشجيع الحرفيين؛ بل قام بتطبيق ذلك عمليًا، ومن هذه التطبيقات العمليَّة ما ضرب به مثلًا حيًا: أنَّه مارس التجارة في الأسواق، وقام بالبيع والشراء من أجل كسب لقمة العيش لنفسه وأولاده، يوضِّح ذلك ما ورد عنه: أنَّه اشترى بغير بمائة وأربعين درهمًا، ثمَّ باعه من رجل في السوق بمالتي درهم فقبض الثمن بعد بيعه[٥٨] وأنَّه اشترى إزارًا في السوق بخمسة دراهم، وقال من أريحني فيه درهمًا بعته إياه[٥٩].

وأنَّه عمل أجورًا فيقول عليه السلام: جعتُ بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا، فظننتها تريد بله . فأتيتها فعاطيتها كل دلوٍ بتمرة، فمددت ستة عشر ذنوبًا، حتَّى تحلَّت يدي، ثمَّ أتيتها .. فعدت في ستة عشرة تمرة، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته، فأكل معي، وقال لي خيرًا، ودعا لي[٦٠] ..

من النصوص السابقة يتَّضح أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أولى العمل بأنواعه

المختلفة اهتمامًا لائقًا، يهدف من وراء ذلك إلى عدم الاتكال على أعطيات الدَّولة، والاعتماد على الآخرين، حتَّى يصبح الأفراد منتجين، والمجتمع الإسلامي منتج؛ لأنّ العمل يعود مردوده بالنفع الكثير على الفرد والمجتمع معًا، فهو يوفِّر منافع الجماعة، ويُسهم في إشباع حاجاتها، ويضرب بذلك مثلًا حيًّا لعامَّة المسلمين ليقتدوا بطريقته .

ونحن اليوم في عصر التقدم التقني بحاجة ماسة إلى تربية مهنية تأخذ على عاتقها أسباب نهوضنا في المجالات الاقتصاديَّة كلها، وتقيم بين أفراد مجتمعنا علاقات إنسانيَّة قائمة على الاعتراف بذاتيَّة الإنسان، وقيمته الحيَّة، مصدقًا لقول الإمام علي عليه السلام التربويَّة: وقيمة كل امرئ ما يحسن[٦١] .

المطلب الخامس: إرساء العدل

لم تكن الأوامر الإلهيَّة، والتوجيهات النبويَّة، بالتزام العدل المطلق في الحكم بين النَّاس مجرد نظرية؛ بل إنَّها منذ عصر الرسالة أخذت أبعادها في الحياة العلميَّة، سواء في دائرة القضاء أو الحكومة، أو العلاقات الدوليَّة، وفي نطاق حياة الأفراد والجماعات والدول[٢].

سئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن العدل والجود، وأيُّهما يفضل الآخر، فقال: (العدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما)[٦٢]، وفي مجال تطبيق العدل عمليًا في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما روي بعد الجمل، وعند دخوله بيت مال المسلمين، حين قال: يا مال غُر غيري ثمَّ قسمه بيننا، ثمَّ جاءت ابنة للحسن – أو للحسين – فتناولت منه شيئًا، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين إنَّ لها فيه حقًّا، قال: إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء، فلمَّا فرغ من قسمته قسم بيننا حبالًا جاءت من البحرين . فأبينا قضها فأكرهنا عليها، فخرجت كتانًا جيدًا، فتنافسنا فيها فبلغت دارهم، ثمَّ عمد إلى بيت المال فكسحه ونضحه بالماء، ثمَّ صلى فيه ركعتين، ثمَّ توسَّد رداءه وقال: ينبغي لبيت مال المسلمين أن لا يأتي عليه

يوم - أو جمعة - إلا كان هكذا ليس فيه شيء، قد أخذ كل ذي حق حقه[٦٣].

ومن الوسائل التي استخدمها الإمام علي بن أبي طالب في مجال إرساء العدل وتحقيق الأمن الاجتماعي للأمَّة:

- الزيارات الميدانيَّة مثل زيارته التي يرويها الأصبغ بن نباتة بقوله: خرجت مع علي بن أبي طالب عليه السلام إلى السوق، فرأى أهل السوق قد جاوز أمكنتهم . فقال: ما هذا ؟ قالوا: أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم، فقال: أليس ذلك إليهم، سوق المسلمين كمصلى المصلين؟ من سبق إلى شيء فهو له يومه حتَّى بدعه[٦٤]، **وفي مجال تقديم صورة تطبيقه، وعمليَّة الإرساء العدل، وتحقيق الأمن الاجتماعي للأمَّة الإسلاميَّة قدَّم الإمام عليه السلام نماذج عديدة في هذا الصدد ومنها ما يلي:**

١- عن أبي عبيدة عن عنترة قال: أتيت عليًّا -عليه السلام يومًا فجاءه قنبر[٦٥].فقال: يا أمير المؤمنين إنَّك رجل لا تبقى شيئًا، وإنَّ لأهل بيتك في هذا المال نصيبًا، وقد خبأت لك خبيئة، قال: وما هي؟ قال: فانطلق فانظر ما هي، قال: فأدخله بيتًا فيه مأسنة مملوءة آنية ذهبيا أو فضة . فلمَّا رأها عليٌّ قال: تكلتك أمك، لقد أردت أن تدخل بيني نارًا عظيمة، ثمَّ جعل يزنها ويعطي كل شريف حصته(٣).

-قال الإمام على بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه، بعد أن ردَّ القطائع، التي أقطعها عثمان بعض ذويه: (والله لو وجدت هذا المال قد تزوج بها النساء، وملك به الإماء لرددته، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[٦٦].

٢- قدم عبد الله بن زمعة رضي الله عنه إلى الإمام على بن أبي طالب عليه السلام يطلب منه بعض المال، لحاجته به، فكان رد الخليفة عليه بقوله: (إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك! وإنَّما هو فيء للمسلمين، وحلب أسيافهم، فإن شاركتهم في حربهم، كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)[٦٧] ...

في النصوص السابقة ما يؤكِّد أنَّ الإمام على بن أبي طالب عليه السلام عمل على إرساء العدل،

وتحقيق الأمن الاجتماعي من خلال قنوات متعددة مثل الزيارات الميدانيَّة التي يقف فيها على حقيقة الأشياء كما هي عليها، وعدم إيثار نفسه أو أقاربه بأشياء من بيت مال المسلمين دونهم، والتوضيح الدائم والمستمر لما يحق لولي أمر المسلمين من بيت المال، وتعاهد أصحاب التجارة بشكل دوري وتذكيرهم بالله سبحانه وتعالى، ومراقبته، ونصحهم بالأمانة في الكيل، والوزن، وحسن البيع، وتصحيح الأخطاء المالية الشائعة .

وفي النصوص السابقة تأكيدات تربويَّة واجتماعيَّة ومنها ما يلي:

١ - مرونة ولي الأمر في سماع النصيحة من رعيته وطلب المشورة منهم، يؤدِّي إلى تعاون الجهود وتكاملها من أجل إرساء العدل، وتحقيق الأمن الاجتماعي.

٢- على ولي الأمر تقديم شواهد ونماذج ومبررات على تصرفاته الماليَّة الخاصَّة والعامَّة حتَّى يكتسب ثقة الأمَّة، ولا يساء فيه الفهم ...

٢- تأكيد ولي الأمر أحاديثه وتوجيهاته، أو قرارته بالوسائل المناسبة .

المطلب السادس: التواضع وعدم الاستكبار

إنَّ الإعجاب بالنفس، والرغبة في إدارة دفة الحديث، والإصرار على الرأي وعدم الإصغاء للآخرين، وتسفيه آرائهم، وتخطئة أفواههم، والترفع عليهم: صفات تكثر في المجتمعات الحديثة، وقد نبَّه المفكرون إلى خطورة ذلك، فأوصوا بالاهتمام بالآخرين، واحترام الرأي المخالف، والإصغاء لحديث الغير، والاعتراف بخطأ النفس، كل ذلك يؤدِّي إلى التعاطف مع الآخرين، ويولد حياة اجتماعيَّة ناجحة [٦٨].

وقد سبق رسول الإسلام الله، إلى التوصية بهذه النصائح الاجتماعيَّة النافعة جميعًا فقال: (حسب امرأة من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم)[٦٩]

والتواضع خلق اجتماعي كريم ينبئ عن معدن صاحبه، ويظهر عليه في التعامل مع غيره، خاصَّة إذا كان غيره أقل علمًا أو منزلة اجتماعيَّة، وبما أنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن فهو أحق بها إن وجدها، وهو أولى من غيره بها، ولا يعيقه عن ذلك

-عن مولى ابن غصين قال: ((رأيت عليًّا خرج، فأتى رجلًا من أصحاب الكرابيس[٧٠]، فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصًا فلبسه، فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله، فقال: ما أرى إلا قدرًا حسنًا، بكم هذا؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلها من إزاره فدفعها إليه ثمَّ انطلق"[٧١] .

-عن عبد الله بن شريك عن علي بن أبي طالب أنَّه أتي بفالوذج قدمه بين يديه فقال: إنَّك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم؛ ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[٧٢].

-عن ابن جرموز قال: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام يخرج من الكوفة وعليه قطريتان متزرًا بالواحدة . مترديًا بالأخرى، وإزاره إلى نصف الساق، وهو يطوف في الأسواق، ومعه درة، يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث، وحسن البيع، والوفاء بالكيل والميزان[٧٣] .

لا خلاف في أن التواضع قيمة خلقية واجتماعيَّة مهمَّة في حياة الفرد والأمَّة، وعامل من عوامل الاستقرار والطمأنينة التي تبعث على البناء والرقي والتقدم في شتَّى المحالات .

وفي النصوص السابقة فوائد تربويَّة واجتماعيَّة أجملها في النقاط التالية:

١- التواضع صفة عملية تطالب التربية الإسلاميَّة بالاتصاف بها والعمل على التحلي بها: كل أفراد الأمَّة الإسلاميَّة.

٢-من صور التواضع: القيام بحاجات النفس والأسرة .

يؤكِّد هذا ما جاء عن أبي صالح أنَّ جدَّته قالت: رأيت عليًّا عليه السلام اشترى تمرًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقلت له أو قال له رجل: أحمل منك يا أمير المؤمنين! قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٧٤].

٣-على المربين والدعاة الانصاف بالتواضع وهم يعلمون أو يتعاملون مع الآخرين. يقول عمر بن الخطاب: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون، وليتواضع لكم من تعلمون[٧٥].

الخاتمة

لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى علينا بالتوفيق والعون، فأتم هذا الجهد المتواضع، الذي قد حوى مادة تتضمَّن الوقوف على أهمِّ التوجيهات الدينيَّة والاجتماعيَّة للامام علي عليه السلام، ومن جملة الأمور التي توصلنا إليها في بحثنا ما يأتي:

١- كان الإمام عليه السلام قدوة حسنة من خلال اتصافه، وممارسته للجانب الخلقي، والاجتماعي، والتربوي .

٢- كان عليه السلام ذا ثقافة إسلاميَّة عالية، ومن الشخصيات القليلة في هذا الصدد احتل منزلة علميَّة، واجتماعيَّة، وفكريَّة في قلوب المسلمين جميعًا.

٣- كان الإمام عليه السلام خطيبًا مفوَّها، وصاحب بلاغة مؤثرة في السامع والقارئ .

٤- الاهتمام الشديد من الإمام عليه السلام بالتربية الروحيَّة من خلال التربية بالعقيدة، والتربية بالرقائق، والتربية بالعبادات، وبالاصلاح الفكري والتربوي والاجتماعي.

٥- اهتمَّ الإمام عليه السلام اهتمامًا كثيرًا بالأمن الاجتماعي للأمَّة الإسلاميَّة من خلال الوعي بالمسئوليَّة، والشعور بأهميَّتها والعمل على وحدة المجتمع، ورعاية الآداب الاجتماعيَّة: والتكامل بين المسؤولين في الدَّولة، ومن خلال التكافل الاجتماعي، وإرساء العدل في المجتمع، مؤكدًا أنَّه لا يتحقَّق الأمن الاجتماعي للأمَّة من دون هذه العوامل .

٦- أكَّد الإمام عليه السلام على التواضع بوصفه من العوامل الاجتماعيَّة التي تحقِّق للأمَّة الإسلاميَّة الاستقرار، والأمن الاجتماعي، وتسعد الفرد والمجتمع معًا .

٧- استخدم الإمام عليه السلام كثيرًا من الأساليب التربويَّة في مقامات مختلفة، ممَّا يفيد كل العاملين في المجال التربوي، من حيث استخدام تلك الأساليب وتنويعها بحسب المقام .

٨- كان الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوصي بعدم التدخُّل في عمليات البيع والشراء، وأن يجعلوا الاقتصاد حرًّا للجميع، وكان يوصيهم بالمراقبة فقط.

٩- منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقوم على ثلاث ركائز مهمَّة هي الحق،

العـدل، المسـاواة، وبالتـالي هـي مـن ألَّبـت عليـه الأعـداء، وحاولـوا جاهديـن البحـث عـن الثغـرات؛ لكـي يطعنـوا بسياسـته وإدارتـه القائمـة عـلى الحـقِّ وإحقاقـه، وصيانـة العـدل ونـشره، وتعميـم المسـاواة بـين الجميـع.

الهوامش

١- ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن منيع (ت٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م)، الطبقات الكبرى، (دار صادر / بيروت _١٩٨٥)، ج٣، ص١٩؛ الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، ط ٤، مطبعة دار المعارف، (القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٢م)، ج٧، ص١٥٢؛ ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمَّد الأندلسي (ت٣٤٩ هـ/ ٩٣٩ م)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ج٥، ص٥٧-٥٨؛ ابن الأثير، علي بن أبي مكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمَّد بن إبراهيم ألبنا وآخرون، ط٢، دار الشعب، (لا.م-لا.ت)، ج٤، ص٩١.

٢- ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١٩؛ الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، مطبعة السعادة، (لا . م، ١٩٣٥م)، ج٣، ص١٢١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٩١٧؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م)، تاريخ ابن الوردي، ط٢، (النجف- ١٩٦٩م)، ج١، ص١٥٥؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤ م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، (القاهرة / بيروت - ١٤٠٧هـ)، ج٩، ص١٠٠؛ العاملي، السيِّد محسن عبد الكريم (ت ١٣٧٢هـ/ ٣١٩٤ م)، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت-١٤٠٧هـ)، ح١، ص٣٢٥ .

٣- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م)، التنبيه والأشراف، تحقيق، يوسف أسعد مظفر، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٨٤م)، ص٢٩٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٩١٧ .

٤- ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١١٢؛ الطبري، تاريخ، ط١، طبعة دار الكتب العلميَّة، (بيروت ١٤٠٧هـ)، ج٣، ص١٣.

٥- الطبري، تاريخ، طبعة بيروت، ج٢، ص٤٠٩؛ القرشي، أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد القرشي، كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب، مخطوط محفوظ في دار المخطوطات العراقيَّة تحت الرقم (٣٨، ١١)، ورقة ٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م)، البداية والنهاية، ط٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار المعارف، (بيروت -١٩٧١م)، ج٥، ص ٧؛ ابن عنبة، جمال الدين بن علي بن الحسين (ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م)، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، ط٢، (النجف -١٩٨٨م)، ص٥٨-٥٩؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢٣ .

٦- الطبري، تاريخ، طبعة بيروت، ج٢، ص٣١٢؛ ابن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمَّد البغدادي (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م)، مختصر التاريخ من أوَّل الزمان إلى دولة بني العباس، حققه

وعلق عليه: مصطفى جواد، وضع فهارسه وأشرف على طبعه: سالم الآلوسي، المؤسَّسة العامَّة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، (بغداد – ١٩٧٠م)، ص٣٨؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلميَّة، (بيروت لا . ت)، ج ١، ص٥٠

٧- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمَّد (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م)، صفوة الصفوة، ط١، حيدر اباد الدكن، (الهند –١٩٣٦م)، ج١، ص١١٨ .

٨- البخاري، أبو عبد الله اسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)، التاريخ الكبير، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (لا. م- ١٩٤٠م)، ج٣، ص٢٦٠ .

٩- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م)، تهذيب التهذيب، ط١، مطبعة حيدر أباد الدكن، (الهند – لا.ت)، ج ٧، ص٣٣٦ .

١٠- الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٦؛ الطبري، تاريخ، طبعة بيروت، ج٢، ص٣١٠ و ص ٣١٧.

١١- الطبري، تاريخ، طبعة بيروت، ج٢، ص٣٧٣.

١٢- ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٢؛ الطبري، تاريخ، طبعة بيروت، ج٢، ص٣٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٦؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، (لا.م-١٩٦٤ م) ج١، ص٢٧٢.

١٣- الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٦٣٦.

١٤- مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٦٣٨ .

١٥- مسلم، صحيح مسلم، ج٥، ص٣٦٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٦٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص٥٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٥٩.- ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، ص٥٦٣.الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٦٣٣.ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٥، ص٦.النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص٤، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١١، ص ٦٤٢ .

١٦- مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٠؛ ابن ماجة، محمَّد ناصر الدين (ت٢٧٥هـ / ٨٨٨ م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، ط٢، الرياض-شركة الطباعة السعوديَّة، (الرياض-١٩٨٤م)، ج ١، ص٢٥ .

١٧- عبد الله محمَّد آل عيون، نظام الأمن الجماعي في التنظيم الدَّولي الحديث، دراسة تحليليَّة وتطبيقيَّة، ١٩٨٥م، ص١٩.

١٨- أحمد المراياتي، العنف: أسبابه وخلفياته النفسيَّة والاجتماعيَّة، ١٩٩٧م، ص١١.

١٩- مصطفى العوجي، الأمن الاجتماعي، مؤسَّسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧١.

٢٠- الحسن ١٩٨٥ (٢٣).
٢١- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ط٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار المعارف، (بيروت -١٩٧١م) (٨/ ٤)
٢٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور -مكتبة الجعفري - طهران - ١٣٧٧ هـ (بدون طبعة).(١/ ١١٥-١١٦)
٢٣- الدر المنثور للسيوطى (٦/ ٤٤٤) البداية والنهاية (٨/ ٥).
٢٤- الكاندهلوي، محمَّد يوسف، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢ م، حياة الصحابة، ط١، بيروت، لبنان، دار المعرفة.. ج ٢ ص ٩٣٨.
٢٥- الكاندهلوي: ج ٢، ص ٣٨ -١٣٩.
٢٦- عائلهم: أي محتاجهم، وفقيرهم، ابن منظور، لسان العرب ١١/ ٤٨٨.
٢٧- طمريه: الطمر، الثوب البالي، ابن منظور، لسان العرب ٤/ ٥٠٣.
٢٨- القد: بالكسر، سير من الجلد غير مدبوغ. أي لما تطلب أكله ولا تحده، ابن منظور ٣/ ٣٤٤.
٢٩- المرسلة: أي السائحة المطلقة، لسان العرب ١١/ ٢٨١
٣٠- الخطيب، عبدالكريم (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م) علي بن أبي طالب بقيَّة النبوة- وخاتم الخلافة، ط٢، بيروت، لبنان، دار المعرفة. (٤٣٦) .
٣١- الخطيب: ٣٧٦-٣٧٧
٣٢- م.ن.: ٣٧٧-٣٧٩ .
٣٣- المعور: كمجرم من أمكن نفسه، وعجز عن حمايتها، كما كان من اصر عمرو وبسر بن ارطأة، وقد تركهما الإمام حين سقطا، لسان العرب ٤/ ٦١٢
٣٤- الخطيب، نفسه من ٤٦١ .
٣٥- أي ما يفضل منهم ويزيد عن حاجتهم
٣٦- (ابن الأثور، ج ١ ص ١٨٠).
٣٧- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمَّد الأندلسي (ت٣٤٩ هـ/ ٩٣٩ م)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، (القاهرة، ١٩٦٧م) (ج ا ص ٣٠٢).
٣٨- الكاندهلوي: ج ٣، ص ٤١٨ .
٣٩- الخطيب ص ٣٣٠
٤٠- إبراهيم العمري، عبدالعزيز إبراهيم العمري، ١٤٠٥ ه، ١٩٨٥ م، أبعاد إداريَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة في السيرة النبويَّة، ط١ مكتبة الرياض، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
٤١- المحافظ: ج ٢، ص ١٠٩

٤٢- الكاندهلوي: ج ٢، ص ١٠٧
٤٣- م.ن. ج ٢ ص ١٣٨٤-
٤٤- الفتنة الكبرى، ج٢، فصل ٣٨، ص٦٧
٤٥- العمري: ص ٢٦١.
٤٦- البخاري ١٣٧٩ هـ/ ج ١١، ص ١٨، حديث رقم ٦٢٣٥.
٤٧- (البخاري فيه . ج ١، ص ٤٤١) حديث رقم ٦٠١٤.
٤٨- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٨٩٢هـ)، أنساب الأشراف، ط١ دار المعرفة، لبنان بيروت ج ٢ ص ٣٧٣.
٤٩- البلاذري: ج ٢، ص ٣٧٣.
٥٠- م.ن.، ج ٢، ص ٣٧٣
٥١- الطلاء: ما صبغ من عصير العنب حتَّى ذهب ثلثاه.
٥٢- الورس: شيء أصغر مثل القطح يخرج على الرفت بين آخر الصيف وأوَّل الشتاء إذا أصاب التوب لونه، و ابن منظور، ج ١، ص ٢٥٤) .
٥٣- البلاذري: ج ٢ ص ٣٧٣.
٥٤- الكاندهلوي ١٤١٣هـ ح ا ص ٤١٧)
٥٥- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مكتبة نور، ط٢، القاهرة، مصر ١٣٤٢
٥٦- الزبيدي ١٣٩٦ هـ، خاص ٦٩.
٥٧- إبراهيم العمري: ص ٥٠
٥٨- عبد الوهاب ١٩٨٠م، ص ١٩ - ٢٠
٥٩- الأديب، علي محمَّد الحسين، ١٣٩٩ ه، ١٩٧٩ م. منهج التربية عند الإمام علي، ط٢، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي ص ١٧٠.
٦٠- جابر قميحة، غرة ذي الحجة ١٤٠٤هـ، ٢٨ اغسطس ١٩٨٤م، أدب الخلفاء الراشدين، القاهرة، دار الكتب الإسلاميَّة، دار الكتاب المصري.ص ٣٠٨-٣٠٧
٦١- قميحة: ص٣٠٥.
٦٢- المسعودى، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م)، التنبيه والأشراف، تحقيق، يوسف أسعد مظفر، دار الأندلس للطباعه والنشر، (بيروت -١٩٨٤م)ج ٢ ص ٤٢٢.
٦٣- الكاندهلوي: ج ٢ ص ٢٣٨ .
٦٤- الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، ط ٤، مطبعة دار المعارف، (القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٢م) ج ٢ ص ٢١٤) .

٦٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ- ٨٦٨م)، البيان والتبين ط١، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ج ١، ص ٨٣

٦٦- العمري: ص ٢٦٤

٦٧- ابن حمدون، محمَّد بن الحسن بن علي ١٩٩٦م، التذكرة الحمدونية، ط١، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.ج ١، ٢٥٤.

٦٨- البلاذري: ج ٢، ص ٣٧٠ .

٦٩- الكاندهلوي ١٤١٣هـ، ص ٩

٧٠- قنبر: هو غلام الإمام علي عليه السلام

٧١- ابن سلام ص٢٨٤.

٧٢- الخطيب ١٣٩٥ هام ٤٣٧

٧٣- م.ن: ص ٤٣

٧٤- العمري: ص ٢٥٤ .

٧٥- مسلم: حديث رقم ٢٥٦٤

٧٦- الكرباس: ثوب غليظ من القطن، والجمع كرايس. ابن منظور، ١٩٣/ ٦ .

٧٧- ابن حنبل: ص ١٣٠ .

٧٨- م.ن: ص ١٣٣ .

٧٩- ابن عبد البر: ج ٣ ص ١١١٢

٨٠- الكاندهلوي: ج ٢ ص ٤١٩

٨١- اين حنيل: ص ١٢٠

المصادر والمراجع

إبراهيم العمري، عبدالعزيز إبراهيم العمري، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، أبعاد إداريَّة واقتصاديَّة واجتمعاعيَّة في السيرة النبويَّة، ط ا مكتبة الرياض.

ابن الأثير، علي بن أبي مكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمَّد بن إبراهيم البنا وآخرون، ط٢، دار الشعب، (لا.م-لا.ت)

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمَّد (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م)، صفوة الصفوة، ط١، حيدر اباد الدكن، (الهند -١٩٣٦م)، .

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلميَّة، (بيروت لا . ت).

ابن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمَّد البغدادي (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م)، مختصر التاريخ من أوَّل الزمان إلى دولة بني العباس، حققه وعلق عليه: مصطفى جواد، وضع فهارسه وأشرف على طبعه: سالم الآلوسي، المؤسَّسة العامَّة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، (بغداد - ١٩٧٠م).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م)، تاريخ ابن الوردي، ط٢، (النجف- ١٩٦٩م)

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م)، تهذيب التهذيب، ط١، مطبعة حيدر أباد الدكن، (الهند - لا.ت).

ابن حمدون، محمَّد بن الحسن بن علي ١٩٩٦م، التذكرة الحمدونيَّة، ط١، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ / ٨٥٥ م)، فضائل الصحابة، ط١، تحقيق: وصي الله محمود عباس، مؤسَّسة الرِّساله، (بيروت - ١٩٨٣).

ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن منيع (ت٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م)، الطبقات الكبرى، (دار صادر / بيروت _١٩٨٥)

ابن سلام، أبو عبيد القاسم، ١٤٠٦ ه، ١٩٨٦م، كتاب الأموال، ط١، بيروت-لبنان، دار الكتب العلميَّة.

ابن عبد ربِّه، أبو عمر أحمد بن محمَّد الأندلسي (ت٣٤٩ هـ/ ٩٣٩ م)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، (القاهرة، ١٩٦٧م)

ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله، بن محمَّد، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط١، تحقيق علي محمَّد البيجاوي، بيروت، دار الجيل.

ابن عنبة، جمال الدين بن علي بن الحسين (ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م)، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، ط٢، (النجف -١٩٨٨م).

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ط٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة

دار المعارف، (بيروت –١٩٧١م).
ابن ماجة، محمَّد ناصر الدين (ت٢٧٥هـ / ٨٨٨ م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، ط٢، الرياض-شركة الطباعة السعوديَّة، (الرياض-١٩٨٤م).
ابن منظور، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، لسان العرب، ط٣، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
ابن هشام، محمَّد بن عبد الملك (ت٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م)، السيرة النبويَّة، ط٢، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، (لا.م –١٩٥٥م)
الأديب، علي محمَّد الحسين، ١٣٩٩ ه، ١٩٧٩ م. منهج التربية عند الإمام علي، ط٢، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، مطبعة السعادة، (لا . م، ١٩٣٥م)
البخاري، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)، التاريخ الكبير، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (لا. م- ١٩٤٠م) .
البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٨٩٢هـ)، أنساب الأشراف، ط١ دار المعرفة، لبنان بيروت.
الترمذي، محمَّد عيسى الترمذي سنن الترمذي المسماة بـ (الجامع الصحيح) – تحقيق: أحمد محمَّد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون طبعة ولا سنة طباعة).
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ-٨٦٨م)، البيان والتبين، ط١، مطبعة دار المعارف، القاهرة
الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مكتبة نور، ط٢، القاهرة، مصر.
الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ط١، دار المعرفة، بيروت.
حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية.
الخطيب، عبدالكريم (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م) علي بن أبي طالب بقيَّة النبوَّة- وخاتم الخلافة، ط٢، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – مكتبة الجعفري – طهران – ١٣٧٧ هـ (من دون طبعة).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمَّد أبو الفضل، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (القاهرة- لا.ت)
الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، ط٤، مطبعة دار المعارف، (القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٢م).
العاملي، السيِّد محسن عبد الكريم (ت ١٣٧٢هـ/ ٣١٩٤ م)، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت-١٤٠٧هـ).
القرشي، أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد القرشي، كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب، مخطوط محفوظ في دار المخطوطات

العراقيَّة تحت الرقم (٣٨، ١١).

قميحة، جابر قميحة، غرة ذي الحجة ١٤٠٤هـ، ٢٨ اغسطس ١٩٨٤م، أدب الخلفاء الراشدين، القاهرة، دار الكتب الإسلاميَّة، دار الكتاب المصري.

الكاندهلوي، محمَّد يوسف، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢ م، حياة الصحابة، ط١، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

المسعودى، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م)، التنبيه والأشراف، تحقيق، يوسف أسعد مظفر، دار الأندلس للطباعه والنشر، (بيروت -١٩٨٤م).

مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (من دون طبعة و لا سنة طباعة).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، (ت ١٣٣٣هـ)، نهاية الأرب، نشر دار الكتب والوثائق القوميَّة، مصر.

الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤ م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، (القاهرة / بيروت - ١٤٠٧هـ).

مفهوم الأسرة في فكر الإمام علي عليه السلام دراسة تحليليَّة

م.م. زهراء فرحان عباس

مديريَّة تربية الكرخ الثالثة

أ.د. ساجد صبري نعمان

الجامعة العراقيَّة / كليَّة العلوم الإسلاميَّة /

قسم الأديان

ملخَّص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم الأسرة في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بوصفها النواة الأولى في بناء المجتمع الإنساني، والأساس الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعيَّة والتربويَّة والأخلاقيَّة. يهدف البحث إلى إبراز مكانة الأسرة في الفكر العلوي، وبيان دورها في تكوين الإنسان الصالح وبناء مجتمع متماسك قائم على القيم الإيمانيَّة والأخلاقيَّة.

يُظهر الإمام علي عليه السلام في أقواله وحكمه عمق نظرته إلى الأسرة بوصفها مدرسة القيم الأولى؛ إذ دعا إلى ترسيخ العلاقات الأسريَّة على أسس من الرحمة، والعدل، والتكافل، والاحترام المتبادل، مؤكِّدًا أنَّ تربية الأبناء وحفظ حقوق الآباء والأمَّهات هي مسؤوليَّة دينيَّة وإنسانيَّة. ويشير البحث أيضًا إلى أنَّ الإمام عليه السلام وضع منظومة تربويَّة متكاملة تُعنى بتنشئة الفرد في جوّ من الوعي والتقوى والمعرفة؛ ليكون عضوًا فاعلًا في إصلاح المجتمع.

وتخلص الدراسة إلى أنَّ حكمة الإمام علي عليه السلام في إدارة شؤون الأسرة تمثِّل منهجًا قيميًّا متجدِّدًا يمكن أن يُسهم في مواجهة التحدِّيات الاجتماعيَّة المعاصرة، من خلال استلهام مبادئه التربويَّة في دعم بناء الأسرة الصالحة والمجتمع المتوازن.

وقد توصَّل البحث إلى النتائج التالية:

١-أنَّ الاقتداء بأثر أهل البيت عليهم السلام هو القاعدة الصحيحة لبناء الأسرة.

٢-أنَّ تربية الأولاد من أسمى أعمال البر والتقوى.

٣-تعد الأسرة نواة المجتمع فبصلاحها يتمُّ إصلاح المجتمع

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، الأسرة، التربية، القيم الأخلاقيَّة، المجتمع، الفكر الإسلامي.

Abstract

The research aims to show the importance of the family and the role the family plays in building society in thought.

Imam Ali (peace be upon him) points out in his speech the necessity of educating people on how to preserve Imam Ali (peace be upon him) points out in his speech the necessity of educating people on how to preserve mutual rights in society and in the family, which is a type of education, such as the rights of parents over Children and the rights of children over their parents. He (peace be upon him) sets foundations and standards for how to seek guidance in correct human educational matters, which aim to rescue man from the abyss of ignorance. and the research also aims to show the impact of the wisdom of Imam Ali (peace be upon him) in building the family and raising it to build an ideal society that follows the approach of the Ahl al-Bayt (peace be upon them). Keywords (the impact of the Imam (peace be upon him) on the family, the concept of the family).

المقدمة

الحمدُ لله الذي قدَّمَ من شاء بفضله، وأخَّر من شاء بعدله، لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن علَّة فعله، وأستعينه استعانة من فوض أمره إليه، وأقرَّ واعترف أنَّه لا ملجأ ولا منجى منه إلَّا إليه، وأستغفره استغفار مقرٍّ بذنبه، معترفٍ بخطيئته، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّه ورسولِهِ، أمينه على وحيه، أشرف من وطأ الحصى بنعله، وعلى آله المنتجبين، وأصحابه الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فتُعدّ الأسرة النواةَ الأولى في بناء المجتمع الإنساني، واللبنةَ الأساس التي تتشكّل فيها ملامح الشخصية الإنسانية من حيث القيم والسلوكيات والتوجّهات الفكرية، ومن ثمّ فإنّ أيّ خللٍ يصيب بنية الأسرة ينعكس بالضرورة على استقرار المجتمع وتماسكه. ولأجل ذلك، حظي موضوع الأسرة بعنايةٍ بالغة في الفكر الإسلامي، إذ جاء هذا الفكر بمنظومةٍ متكاملة تنظّم العلاقات داخل الأسرة، وتحدّد الحقوق والواجبات، وتؤسس لمبدأ التكامل والتراحم بين أفرادها.

وفي هذا السياق، يبرز فكر الإمام علي بن أبي طالب بوصفه من أهمّ النماذج الفكرية والتربوية في الإسلام، لما اشتمل عليه من عمقٍ معرفيّ، وشمولٍ أخلاقيّ، وتوازنٍ تشريعيّ في معالجة شؤون الحياة الإنسانية، ومن بينها شؤون الأسرة. فقد تناول الإمام علي مفهوم الأسرة من خلال نصوصه وخطبه ووصاياه – ولا سيما ما ورد في نهج البلاغة – معالجةً دقيقةً تجمع بين البعد القيمي والبعد العملي، حيث ركّز على أسس بناء الأسرة الصالحة، كالمودّة والرحمة، وحسن التربية، والعدل بين الأبناء، وتحقيق المسؤولية المشتركة بين الزوجين.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى الكشف عن التصوّر الأسري في فكر الإمام علي، وتحليل مرتكزاته العقدية والتربوية والأخلاقية، في ظلّ التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة المسلمة، والتي تستدعي العودة إلى الأصول الفكرية الإسلامية الراسخة لاستلهام الحلول والمعالجات.

وعليه، يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الأسرة في فكر الإمام علي دراسة تحليلية، من خلال تتبّع نصوصه، واستقراء مضامينها، وبيان دلالاتها، مع ربطها بالواقع المعاصر، لإبراز ما يمتاز به هذا الفكر من عمقٍ ومرونةٍ وقدرةٍ على الإسهام في بناء الأسرة المسلمة على أسسٍ سليمة.

"يضع أمير المؤمنين عليه السلام في طليعة اهتمامه على ما يبدو في فكره مسألة توثيق العلاقة الروحيَّة في أجواء الأسرة من وجهة نظر إسلاميَّة، موازنة بين المطالب الدنيويَّة والمطالب الأخرويَّة طبقًا لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ* وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.[1] وهذا التوازن يقتضي بطبيعة الحال العمل في أولويَّات الواجبات التي تناط بالأسرة".

فيرى الإمام عليه السلام من الواجب على الآباء أن يراعوا أبنائهم في كلِّ مرحلةٍ من مراحل نموِّهم ويغذيهم بما يحتاجونه من زاد ثقافي وأخلاقي بما يتناسب وكل مرحلة، وبصدد هذه المراحل ونمو العلاقة التربويَّة يقول .

أهميَّة البحث: تكمن أهميَّة هذا البحث في الاطلاع على شخصيَّة الإمام علي عليه السلام وسيرته العطرة، وبيان مكانته في الإسلام ودوره في تربية الأسرة وتنظيم شؤونها الاجتماعيَّة والشرعيَّة.

أهداف البحث:

١- يهدف البحث إلى إظهار دور الإمام علي عليه السلام في حياة الفرد والمجتمع.

٢- بيان أثر الطيبة في بناء سلوك أفراد الأسرة .

٣- على المجتمع الاقتداء بسلوك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والسير على منهجه النبوي الطاهر المنهج القرآني.

٤- بيان أهميَّة الأسرة ودورها الرائد في بناء المجتمع .

مشكلة البحث: يعالج مشكلة المجتمع الذي يريد إلغاء دور المرأة في المجتمع، الذي

ينظر لها كسلعة تباع وتشترى في الأسواق، فالزهراء عليها السلام رسمت لنا أروع الصور في قيادة المرأة للأسرة التي هي نواة المجتمع .

منهج البحث: منهجيَّة البحث هو المنهج الاستقرائي الوصفي.

خطَّة البحث: يقوم البحث على مقدِّمة ومبحثين لكلٍّ منها مطالبه الخاصَّة به التي تبيِّن محتوى البحث، ثمَّ بعد ذلك الخاتمة وأهم النتائج، وتليها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل

الإمام علي عليه السلام حياته وعصره

المطلب: حياته الشخصيَّة

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الهاشمي القرشي، أوَّل أئمَّة الشيعة ورابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنَّة. كان والده أبو طالب من أبرز الشخصيَّات القرشيَّة والمعروف بسخائه وعدله ومنزلته السامية عند القبائل العربيَّة. وهو عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وألطف أعمامه به، ولمَّا أظهرت قريش عداوته نصره ودافع عنه. توفي في السنة العاشرة للبعثة مؤمنًا برسالة ابن أخيه. أمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[٢].

أخوته: "من الذكور طالب، عقيل، جعفر، ومن الإناث هند المعروفة بأمِّ هاني، جمانة، ريطة المكنات بأمِّ طالب وأسماء. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المعروف بأمير المؤمنين، (١٣ رجب سنة ٢٣ قبل الهجرة ــ ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ)، هو الإمام الأوَّل عند مذاهب الشيعة". صحابي، وراوي، وكاتب للوحي، ورابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنة. ابن عم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصهره. زوج السيِّدة فاطمة عليها السلام، "وأبو الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وجدّ تسعة آخرين من أئمَّة الشيعة. والده أبو طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد. ذكر علماء الشيعة ومعظم علماء السنَّة أنَّه ولد في الكعبة، وهو أوَّل رجل آمن بالنبي صلى الله عليه وآله، وترى الشيعة أنَّ الإمام علي عليه السلام" وبأمر من الله ونصٍّ من

النبي صلى الله عليه وآله هو الخليفة المباشر وبلا فصل بعد الرسول الأعظم[٣] صلى الله عليه وآله، ومن كُناه عليه السلام: أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب، وأبو الأئمَّة.

ومن ألقابه: "أمير المؤمنين، يعسوب الدين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولى المؤمنين، وشبيه هارون، وحيدر، والمرتضى، ونفس الرسول، وأخو الرسول، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنَّة والنار، وصاحب اللواء، والصديق الأكبر، والفاروق، وباب المدينة، والوصي، وقاضي دَين رسول الله، ومنجز وعده، والنبأ العظيم، والصراط المستقيم، والأنزع البطين"[٤].

ولد عليه السلام بمكَّة في الكعبة المشرَّفة يوم الجمعة ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل[٥].

نصّ على ولادته في الكعبة المشرفة من علماء الشيعة كلّ من: "السيِّد الرضي، الشيخ المفيد، القطب الراوندي، ابن شهر آشوب بالإضافة إلى الكثير من علماء أهل السنَّة كالحاكم النيشابوري، الحافظ الكنجي الشافعي، ابن الجوزي الحنفي، ابن الصبَّاغ المالكي، وقال بتواتر ذلك الحلبي والمسعودي[٦]، وكانت وفاته عليه السلام ليلة الجمعة ليلة ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ من الهجرة بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي في مسجد الكوفة ليلة تسع عشرة من نفس الشهر، ودفن في الغريّ من نجف الكوفة سرًّا"[٧].

مرحلة الطفولة:

ذكرت بعض المصادر التأريخيَّة أنَّ قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعبَّاس عمّه: "يا عباس، إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه؛ لنخفِّف عنه من عياله... فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه". فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى بعثه الله للنبوَّة[٨]، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يصف تلك المدَّة بقوله: "ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمُّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه،

ويمسّني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء، ثمَّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل"[٩].

أوصافه البدنيَّة وقواه الجسميَّة

وُصِف عليه السلام بأنّه: "ربعة من الرجال، إلى القصر أقرب، وإلى السمن، هو أدعج العينين، أنجل، في عينه لين، أزج الحاجبين، حسن الوجه، من أحسن الناس وجهًا، يميل إلى السمرة، كثير التبسّم، أنزع (وهو انحسار الشَّعر من جانبي الجبهة)، ناتئ الجبهة، له خفاف من خلفه، كأنَّه إكليل، وكأنَّ عنقه إبريق فضة، كثّ اللحية، لحيته زانت صدره، لا يغيّر شيبه. كان أرقب، عريض ما بين المنكبين، لمنكبيه مشاش كمشاش السبع الضاري، (وفي رواية) عظيم المشاش كمشاش السبع الضاري، لا يبيِّن عضده من ساعده أدمجت إدماجًا، عبل الذراعين شئن الكفين"، (وفي رواية) رقيق الأصابع، شديد ساعد اليد لا يمسك بذراع رجل قط إلّا أمسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفَّس، ضخم البطن، أقرى الظهر، عريض الصدر، كثير شعره ضخم الكسور، عظيم الكراديس، غليظ العضلات، حمش الساقين، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقّها، إذا مشى تكفَّأ (أي مال إلى الإمام)[١٠].

روى ابن قتيبة أنَّه: "لم يصارع قط أحدًا إلَّا صرعه[١١]، ووصفه ابن أبي الحديد بقوله: أمَّا القوَّة والأيد: فبه يضرب المثل فيهما، وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبة من النَّاس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيمًا جدًا، وألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيَّام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، واستخرج الماء من تحتها"[١٢].

زوجاته وأولاده:

أولى زوجات عليها السلام فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله[١٣]، وكان قد خطبها قبله كل من أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف فردّهم صلى الله عليه وآله قائلًا: "إنَّ أمرها إلى ربِّها إن شاء أن يزوّجها زوَّجها"[١٤].

وقد اختلفت كلمة المؤرخين في تاريخ زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام، فمنهم من ذهب إلى القول إنَّه وقع في أوائل ذي الحجّة من السنة الثانية للهجرة[١٥]، ومنهم من قال إنَّه كان في شهر شوال من السنة نفسها، ورأي ثالث ذهب إلى القول بوقوعه في الحادي والعشرين من شهر محرم[١٦]، أنجبت فاطمة عليها السلام ثلاثة من الذكور هم: "الحسن، والحسين، والمحسن[١٧]، وابنتين هما: زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى. وبعد شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام تزوّج (أُمامة) بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس، وأُمّها زينب بنت النبي[١٨] صلى الله عليه وآله.

ثمَّ تزوّج أُم البنين بنت حزام بن دارم الكلابيَّة التي أنجبت له أبا الفضل العباس عليه السلام، وجعفرًا، وعثمان وعبد الله، وجميعهم استشهدوا يوم الطف – في كربلاء- في نصرة الحسين عليه السلام. ثمَّ تزوج من ليلى بنت مسعود بن خالد النهشليَّة الدارميَّة التميميَّة"[١٩].

ومن زوجاته أسماء بنت عميس الخثعميَّة التي أنجبت له ولديه عون ويحيى؛ ومن زوجاته أُمّ حبيب بنت ربيعة التغلبيَّة، واسمها الصهباء؛ وخولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفيَّة. وقيل خولة بنت أياس- التي أنجبت ولده محمَّدا المعروف بابن الحنفيَّة؛ ومن زوجاته أيضًا أُم سعد أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفيَّة، ومخباة بنت إمرئ القيس بن عدي الكلبيَّة[٢٠].

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: "فأولاد أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرون ولدًا بين ذكر وأنثى، هم":

"الحسن-الحسين- زينب الكبرى- زينب الصغرى المكناة بأمِّ كلثوم، أمُّهم فاطمة البتول (عليها السلام)- محمَّد المكنَّى بأبي القاسم، أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية-عمر- رقية، كانا توأمين، أمهما أم حبيب بنت ربيعة-العباس-جعفر- عثمان- عبدالله، وهؤلاء الأربعة أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم - محمَّد الأصغر المكنَّى بأبي بكر- عبيد الله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف، أمهما ليلى

بنت مسعود الدارميَّة - يحيى، أمّه أسماء بنت عميس الخثعميَّة- أم الحسن- رملة، أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي- فاطمة - نفيسة-زينب الصغرى- رقية الصغرى- أم هاني- أم الكرام- جمانة المكناة أم جعفر- أمامة- أم سلمة- ميمونة- خديجة. لأمهات شتَّى"[٢١].

أهم أحداث حياة الإمام علي عليه السلام ودوره في غزوات النبي صلى الله عليه وآله

كان لأمير المؤمنين عليه السلام دور بارز في جميع الوقائع والحروب التي حصلت في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد أكّد المؤرخون اشتراكه في جميع الغزوات والسرايا إلَّا في تبوك حيث لم يشترك فيها[٢٢]، ومن هنا كان يعدّ القائد العسكري الثاني والشخصيَّة المتميزة بعد رسول الله.

المقالة الرئيسة: معركة بدر الكبرى

وهي المعركة الأولى التي خاضها المسلمون ضد المشركين يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة عند آبار بدر، التي هزم فيها المشركون بعد أن قتل منهم سبعون رجلًا على رأسهم رؤساء القوم وقادتهم كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية.

"وكان التقليد المتَّبع عند العرب في الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفرديّة، ثمَّ تقع بعدها الحملاتُ الجماعيَّة، وانطلاقًا من هذه العادة خرج ثلاثة من الفرسان -من معسكر قريش- المعروفين من صفوف الجيش ودعوا إلى المبارزة، وهم: عتبة وشيبة وهما ابنا ربيعة بن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة، فأخذوا يجولون في ميدان القتال ويدعون إلى المبارزة، ثمَّ نادى مناديهم: يا محمَّد، أخرج إلينا أكفَّاءنا من قومنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "قم يا عبيدَةَ بن الحارث وقم يا حمزة، وقم يا عليّ". فقاموا، وخرجوا للمبارزة، فبارز عليٌّ عليه السلام الوليدَ، وبارز حمزة عتبة، وبارز عبيدة شيبة، فقتل علي وحمزة خصميهما في الحال، ثمَّ ساعدا عبيدة على قتل خصمه[٢٣].

وكان لعلي عليه السلام الدور الرئيسي في هذه المعركة؛ إذ قتل على يديه ما يقرب من عشرين من جيش المشركين منهم: حنظلة بن أبي سفيان والعاص بن سعيد وطعيمة بن عدي[٢٤].

عدله عليه السلام اتَّخذ عليه السلام وفي الأيَّام الأولى لحكومته موقفًا صارمًا من الفساد المالي والبذل غير المشروع للثروة؛ مؤكِّدًا على العدالة في التوزيع التي تقوم على السبق إلى الإسلام والجهاد في سبيله، وغير ذلك من المعايير الحقة، وقد أكد على منهجه هذا حينما أكد على المساواة في العطاء قائلًا: "إنِّي قرأت ما بين دفتي المصحف، فلم أجد فيه لبني إسماعيل على بني إسحاق فضلًا"[٢٥]، وعندما ولَّى بيت مال المدينة عمَّارَ بن ياسر وأبا الهيثم بن التيهان كَتب إليهما: العربيُّ والقرشيُّ والأَنصاريُّ والعجميُّ وكُلُّ من

في الإسلام منْ قبائلِ العرب وأَجناس العجم سواء.[٢٦]، وكذلك اتخذ موقفًا قاطعًا في ضرورة استرجاع ما أقطعه عثمان لبني أميَّة والمقربين منه وأصدر في ذلك مرسومًا قال فيه: "ألا إنَّ كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنَّ الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق"[٢٧].

خصائصه الأخلاقيَّة

١- جوده وسخاؤه

يقول ابن أبي الحديد: "وأمَّا السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾[٢٨]. وروى المفسرِّون أنّه لم يكن يملك إلَّا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلًا، وبدرهم نهارًا، وبدرهم سرًا، وبدرهم علانيةً، فأنزل فيه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً ﴾[٢٩]. وروي عنه أنَّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتَّى مجلت - أي: ثخن جلده وتعجز وظهر فيه ما يشبه البثر - يده، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجرًا. وما قال: "لا" لسائل قط. وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لَّما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: "ويحك! كيف تقول إنَّه أبخل الناس، لو ملك بيتًا من تبر (الذهب) وبيتًا من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه"[٣٠].

٢- حلمه وصفحه

وصفه ذلك ابن أبي الحديد قائلًا: كان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحَّة ما قلناه يوم الجمل؛ إذ ظفر بمروان بن الحكم - وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضًا - فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس

الأشهاد، وخطب يوم البصرة- أساء فيها إلى الإمام كثيرًا وتكلم بأقبح الألفاظ - وكان علي عليه السلام يقول: "ما زال الزبير رجلًا منَّا أهل البيت حتَّى شبّ عبد الله - فظفر به الإمام يوم الجمل، فأخذه أسيرًا، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان له عدوًا، فأعرض عنه، ولم يقل له شيئًا"(٣١).

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمَّا ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمَّمهن بالعمائم، وقلَّدهنَّ بالسيوف، فلمَّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: "هتك ستري برجاله وجنده الذين وكّلهم بي فلمَّا وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنَّ، وقلن لها: إنَّما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلمَّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يتبع مولّ، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيَّز إلى عسكر الإمام فهو آمن"(٣٢).

ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئًا من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنَّه أبى إلَّا الصفح والعفو وتقليد سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني

الأسرة في فكر الإمام علي عليه السلام

المطلب الأوَّل: مفهوم الأسرة في فكر الإمام علي عليه السلام

المطلب الأوَّل: بناء الأسرة عند الإمام علي عليه السلام:

وهي من أكثر الروابط فعاليَّة بني أفراد الأسرة، فالعاطفة "نظام يتألف من عدَّة ميول وجدانيَّة مركزة حول شيء ما (شخص أو جماعة أو فكرة مجردة) تكيف الشخص لاتخاذ اتِّجاه معين في شعوره وتأملاته وسلوكه الخارجي"[٣٣]، وهي من هذا المنطلق، تتميَّز عن الميول الفطريَّة، وعلى الرغم من أنَّها ولدت منها، كذلك فإنَّها تتأثَّر بالعوامل الاجتماعيَّة وتنمو وتتهذَّب بالتفكير والتأمُّل والتجارب الانفعاليَّة المختلفة، ولها أثرها في تنظيم الحياة الانفعاليَّة للفرد، "وتوجيه السلوك والدوافع الفطريَّة توجيهًا حسنًا بحيث تصبح أكثر ثباتًا واستقرارًا ممَّا يساعد على التنبؤ بسلوكه. والعاطفة، وإن كانت من الروابط الهامَّة بين أفراد الأسرة الواحدة إلَّا أنَّه لا ينبغي أن تصل إلى حد الإفراط أو التفريط؛ لأنَّ كلاهما مضر ومفسد لنفسيَّة الإنسان كما يقول عليه السلام: "فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد"[٣٤].

الأسس القيمية للأسرة في فكره عليه السلام

يرتكز مفهوم الأسرة عند الإمام علي عليه السلام على مجموعة من القيم الأساسية، من أبرزها[٣٥]:

١ - المودّة والرحمة:

يرى الإمام أنّ العلاقة بين الزوجين ينبغي أن تقوم على الرحمة والتراحم، وهو ما يتوافق مع التصور القرآني، ويظهر في وصاياه التي تؤكد حسن العشرة والرفق بالزوجة.

٢- المسؤولية المشتركة:

يؤكد الإمام على تحمّل كلّ فردٍ في الأسرة لمسؤوليته، فالزوج راعٍ، والزوجة شريكة في بناء الأسرة، والأبناء أمانة يجب رعايتها، وقد ورد عنه عليه السلام [٣٦]:

"إنّ الله سبحانه يسأل العباد عن الصغير من أعمالهم والكبير"، وهو يشمل مسؤوليات الأسرة.

٣- العدل داخل الأسرة[٣٧]:

شدد الإمام على ضرورة العدل، وخاصة بين الأبناء، لما له من أثر في تحقيق الاستقرار النفسي، وقد عُرف عنه رفض التمييز بينهم.

تحتلّ التربية مكانةً محورية في بناء الأسرة عند الإمام علي عليه السلام، إذ يرى أنّ صلاح المجتمع يبدأ من صلاح الأبناء، وقد ورد عنه قوله: "إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته".

وهذا النص يدل على أهمية التربية المبكرة، وضرورة غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس الأبناء منذ الصغر، مع التركيز على:

التربية الإيمانية

التربية الأخلاقية

التربية العقلية

"إنَّ عدم رعاية الطفل والاهتمام به وحرمانه من المحبَّة والعاطفة يؤدِّي إلى تبرمه بأسرته وانعزاله عنها وسوء الظنِّ بها، ومن ثمَّ التطرف في أقواله وأفعاله، وأنَّ إحاطته بجو من العطف المفرط المشوب بالقلق واللهفة يجبره على الارتكاس إلى طفولته الأولى؛ إذ كان يجد لذته ويجعله اتِّكاليًا في شتَّى أموره، ويبذر بذور القلق في نفسه. فالعلاقة العاطفيَّة التي تسود جو الأسرة، لها أثرها في سلامة الطفل النفسيَّة وفي تحديد سلوكه الاجتماعي المقبل"[٣٨]. أمَّا إذا ألف الطفل من والديه قدرًا كافيًا من الحبِّ المتزن، فإنَّه لن يتوانى عن المشاركة في شتَّى أمور الأسرة، ومن ثمَّ يصبح من العناصر المقبولة اجتماعيًا بسبب هذه العاطفة المتوازنة التي كفلت الأمن والطمأنينة له، ذلك لأنَّ "الحب الوحيد الكفيل بإشاعة الأمن في نفس الطفل هو الحب الثابت المتزن، وهو وحده الذي يطبع علاقات الطفل الاجتماعيَّة المقبلة بطابع الثقة"[٣٩]. هذا الجو المتسم بالمحبة الصادقة والعواطف النبيلة المتزنة، هو ما يدعو إليه الإمام عليه السلام على أن يكون الطابع الذي يطبع علاقة الآباء بباقي أفراد أسرتهم. لقد كانت الروح الحاكمة في الأسرة التي تكلم عنها، هي روح التواضع والمحبة والصداقة والاحترام المتبادل. فالعاطفة الأبويَّة التي تربط بين الآباء والأبناء، "ينبغي أن تتأكَّد بتقديم النصائح والتوجهات والمعاملة الحسنة"[٤٠]؛ لذا كان من الواجب على الأبوين أن يخلقا في البيت جوًا عائليًا مشبعًا بروح المودة والحب". فإذا ما درج الأولاد على هذه الروح في حياتهم البيتيَّة، سهل عليهم نقلها إلى حياتهم الاجتماعيَّة الواسعة، كذلك فإن الرباط العاطفي بين الآباء له أثره على الأبناء، لأن السعادة العائلية تبعث الطمأنينة في نفس الطفل، في حين أن عدم الاستقرار العائلي له ضرره في تعقيد نفسيته وهروبه من الواقع المؤلم الذي يعيشه ممّا يسهم في سوء تكيفه الاجتماعي. فإذا عجز الآباء عن تأمين هذا الجو العاطفي، فلا مجال للتحدث عن أطفال أسوياء. لذا كانت (مودة الآباء قرابة بين الأبناء)[٤١].

لقد دخلت كلمات الإمام عليه السلام إلى أعماق النفس البشرية وسبرت أغوارها وكشفت عن مكنون أسرارها، ووقفت على ما يلائمها من الفضائل والمعارف والعواطف والانفعالات ودعت إلى تنشئتها عليها حتَّى يستقيم نهجها وتسمو في مدارج العلم والأخلاق.

المطلب الثاني: آداب الأسرة عند الإمام علي عليه السلام

تتجلَّى آداب الأسرة في مفهوم الإمام علي عليه السلام وهي على النحو الآتي:

١- الحقوق والواجبات: "إنَّ العيش ضمن نطاق الأسرة يفرض جملة من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء، حيث لا يمكن بدونها حفظ كيان الأسرة وضمان استمرارها. فالآباء الذين لا يكترثون بأبنائهم ولا يعبؤون برعايتهم وتربيتهم، وكذلك الأبناء الذين يظلمون آباءهم ولا يحترمونهم ولا يقدمون يد المساعدة لهم، إنما يقترفون خطأ فادحًا في ضمير الإنسانيَّة وشرحًا واسعًا في كيان الدين والمجتمع. وكم نحن بحاجة اليوم إلى تدعيم الأسرة وتمتين وشائجها في عصر طغت على أبنائه المادية الهدامة وقل أثر الدين في النفوس، فتنكر الابن لأبيه وشغل الأب عن ابنه"(٤٢).

ولقد أدرك الإمام عليه السلام هذا العصر ومنذ آلاف السنين وكشف عما يعتوره من رذائل ومفاسد فيقول: "يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلَّا الماحل ولا يظرف فيه إلَّا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يعدون الصدقة فيه غرمًا، وصلة الرحم منًّا، والعبادة استطالة على الناس"(٤٣). ونظرًا لأهميَّة الأسرة كإحدى الركائز الثابتة في بناء المجتمعات وتقدمها فإنَّ ما تحدث به الإمام عليه السلام يدعو إلى تدعيمها وتوثيق الصلة بين أفرادها من خلال ربطها بحقوق وواجبات تكفل لها الاستمرار والتقدم فجعل للأبناء حقًا على الآباء، وكذلك للآباء على الأبناء، وألزم كلًا منهما واجبات تجاه الآخر. وإذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام أفضلهم بذلك. إنَّ طاعة الوالدين وبرهما من علامات المؤمن لقوله تعالى: ﴿إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا﴾[٤٤]، ولقد أوصى سبحانه ببر الوالدين وصلتهما في قوله الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ﴾[٤٥] ومعاملتهما في الدنيا بالمعروف حتَّى وإن خالفا قول الحق لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفًا﴾[٤٦].

أمَّا حق الأبناء على الآباء فيتجلَّى في أمور ثلاثة:

أ- في تحسين الاسم: "إنَّ للاسم أثرًا على نفسيَّة الطفل في مستقبل حياته، فبعض الأطفال يخجلون من ذكر أسمائهم ويرفضون مناداتهم بها، وقد يفتعلون المشاكل بسبب ذلك، وربما يحاولون تغييرها بأسماء يرتاحون إليها. في حين أنَّ البعض الآخر يطربون لسماعها وقد يعتزون بها ويشمخون. من هنا وجب الحرص والتمهل والاعتناء في اختيار الأسماء حفظًا على سلامة الطفل النفسيَّة وحسن تكيفه الاجتماعي[٤٧]".

ومن حق الولد على والديه أيضًا حسن اختيار مرضعته. ويرى الإمام علي عليه السلام أنَّ لبن الأم هو أكثر فائدة للصبي من لبن أية مرضعة أخرى كما يقول الإمام علي عليه السلام: (ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه)[٤٨]، وإذا تعذر ذلك فإنه يوجب النظر في اختيار المرضعة فيقول الإمام علي عليه السلام: "انظروا من يرضع أولادكم فإن الولد يشب عليه"[٤٩]. ولذا فقد استبعد الحمقاء عن الرضاعة؛ لأنَّ لبنها يؤثر على طباع الطفل، "ولا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يغلب الطباع"[٥٠]. وقد عبر عن ذلك ابن سينا في قوله: "إنَّ من حق الولد على والديه إحسان تسميته، ثمَّ اختيار ظئرة؛ كي لا تكون حمقاء ولا ردهاء ولا ذات عاهة فإنَّ اللبن يعدي كما قيل"[٥١].

ب- في تحسين الأدب: "والطفل أمانة والديه، ونفسه جوهرة نقية خالية من كل نقش، لذلك وجب أخذه بالآداب الصالحة والأخلاق النبيلة والعلوم النافعة، لما لها من مردود خير عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك قبل أن تستفحل فيه الأخلاق والآداب الذميمة"[٥٢]. وعلى كاهل الأسرة يقع عبء تعهد الطفل بالرعاية

والتثقيف والتأديب والتهذيب وتمكينه من ممارسة الفضائل الخلقية والأدبية. وهذا ما أثبته ابن سينا بقوله: "فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدئ بتأديبه، ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فإنَّ الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنثال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعا"(٥٣).

ج- في تعليمهم القرآن: وما ذلك إلا لأنَّ القرآن يأمر بالخير، وينهى عن الشر ويجنب قبائح الأخلاق ويدعو إلى محاسن الفضائل والآداب، وفيه شفاء من النفاق وهداية من الضلال. وقد عبر الإمام ﷺ عن فضل القرآن بقوله: "واعلموا أنَّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى"(٥٤). واعلموا أنَّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لإوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء. وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه وإنَّه ما توجَّه العباد إلى الله تعالى بمثله(٥٥). ولقد ذكر ﷺ هذه الحقوق المتبادلة بين الآباء والأبناء فقال: "إنَّ للوالد على الولد حقًا، وإنَّ للولد على الوالد حقًا، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كلِّ شيء إلَّا في معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن"(٥٦). ولا شك من أن المسؤوليَّة الأولى في تربية الطفل إنَّما تقع على عاتق الأسرة فإذا كان العقل، كما يقول جون لوك: "صفحة بيضاء أو لوحة شمع خالية من النقش عند الميلاد"(٥٧) مع استعداده لتقبل ما يلقى إليه، استطعنا أن نبلغ به ما نريد بتسليط المؤثرات الملائمة عليه. ولقد أظهرت الأبحاث والدراسات تأثر الطفل بصفات آبائه الخلقيَّة والعقلية، بوصفه مطبوعًا على الاقتداء بهم والسيرة على نهجهم. ذلك لأنَّ "أكثر أخلاق الطفل وسجاياه يأخذها

من الوسط الذي يعيش فيه، فتنمو فيه وتترسَّخ لكثرة استعمالها والمداومة عليها، فترة طويلة، إلى أن تصبح عادة متأصِّلة في طبعه"[٥٨].

ونظرًا لهذه المسؤوليَّة الكبيرة الملقاة على عاتق الأسرة، فلا عجب أن يمتدحها الإمام عليه السلام ويوصي بها خيرًا فيقول: "وأكرم عشيرتك فإنَّهم جناحيك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول"[٥٩]. ويدعو إلى حسن معاملة كل فرد من أفرادها.

٢- سياسة الأسرة: وتتضمَّن أسلوب الرجل في تعامله مع زوجته وولده وخدمه بوصفه سيِّد الأسرة ومدبرها ومنظم شؤونها.

أ. سياسة المرأة: وفي ذلك نشير إلى موقف الإمام علي عليه السلام من المرأة وقضاياها وحقوقها وكيفيَّة التعامل معها. إنَّ موقف الإمام عليه السلام من المرأة هو موقف الإسلام بالذات. يقول محمَّد جواد مغنية "إنَّ أقوال الإمام وآراءه، وواقعه هو واقع الإسلام وأقواله هي أقوال القرآن، لا يفترقان أبدًا، حتَّى يردا الحوض على رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في الحديث الشريف. وبالتالي فإنَّ الإمام لم يخلق لنفسه، وإنَّما وجد وخلق ليمثِّل الإسلام على حقيقته، فإذا فكَّر، أو قال، أو فعل فلا يخرج في جميع ذلك عن دائرة الإسلام"[٦٠].

لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل على الرغم من اختلافهما بيولوجيًّا، ولم يفاضل بينهما إلَّا بالتقوى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[٦١]. وضمن للمرأة حقوقًا ورتَّب عليها واجبات لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٦٢] فكفل لها حق العم والكسب والعشرة الحسنة، والملكيَّة وحق اختيار الزوج... وهاجم الذين يفضلون الرجل على المرأة ويتشاءمون من الأنثى لقوله تعالى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾[٦٣]. لكن المرأة

هي العنصر الأضعف وكونها إنسانًا لها مثل الذي عليها فإنَّ هذا لا يمنع من أن تكون سائرة في فلك الرجل، ولقد وصفها الإسلام من خلال تصرفاتها التي تصدر عن طبيعتها وفطرتها. قال تعالى: ﴿الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَبِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ﴾(٦٤). ولا ينقص هذا من شخصيَّة المرأة لأنَّ "حق القوامة مستمد من التفوق الطبيعي في استعداد الرجل، ومستمد كذلك من نهوض الرجل بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة الأسرية"(٦٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾(٦٦)، وحتَّى إنَّه تعالى جعل كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لقوله سبحانه: ﴿فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفًا﴾(٦٧). تلك هي طبيعة المرأة كما عبرَّ عنها الإسلام في كتابه الكريم، ولم يتخلَّف الإمام علي عليه السلام عن هذه الصورة التي وضعها القرآن للمرأة. فقد حصلت على كامل حقوقها التي أقرَّها لها الإسلام، ولم يذكر التاريخ حادثة واحدة أهان بها الإمام المرأة أو غمط بعض حقوقها حتَّى اللواتي أضمرن له العداوة عملًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال موصيًا ولده الحسن عليه السلام: "الله الله في النساء وما ملكت أيمانكم، فإنَّ آخر ما تكلَّم به نبيكم" أن قال: "أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم"(٦٨). وليس أدل على ذلك من معاملته لعائشة التي ألّبت عليه الرجال وحشدت ضده الجيوش ودخلت معه في حرب ضروس كانت الأشد خطرًا على الإسلام والمسلمين، ومع ذلك، لم يتصرَّف معها بما يشين كرامتها ويعدو شرفها؛ بل أذن لها بالرحيل وجهزها بما تحتاجه من مركب وزاد ومتاع وسار في وداعها أميال عدَّة، وهو يدعو لها بالمغفرة(٦٩). أمَّا كلماته عليه السلام في حقِّ المرأة، فهي تتراوح بين الاهتمام بها، وعدم الإساءة إليها أو التعرُّض لها بأذى، والكشف عن طبيعتها فيقول: (... ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنَّهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول)(٧٠)، وليس هذا قدحًا في شخصيَّة المرأة بقدر ما هو دليل على طبيعتها. لذلك فهو يحذر منهنَّ بقوله: (فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنَّ على حذر، ولا تطيعوهنَّ في المعروف حتَّى لا يطمعن في المنكر)(٧١). فإذا عملنا

على تثقيف المرأة وتهذيب غرائزها وتزويدها بالفضائل الخلقيَّة والاجتماعيَّة، لم يعد هناك من مبرر لحصرها في المنزل دون الانتفاع بمواهبها ومؤهلاتها شرط أن لا يتعارض ذلك مع واجبها المنزلي. ففي هذه الحالة يكون ضررها أكثر من الفائدة المرجوة منها، ويكون احتجابها في البيت، وقيامها على راحة زوجها وأولادها أفضل بكثير من اندماجها في المجتمع، وهذا هو جهاد المرأة الحقيقي الذي عبر عنه الإمام عليه السلام بقوله: (جهاد المرأة حسن التبعّل)[٧٢].

٣- سياسة الولد: أمَّا الولد فهو أمانة والديه، ونفسه الطاهرة خالية من كلِّ نقش وقابلة لكلِّ نقش، فإن عُوّد الخير نشأ عليه وإن عوّد الشر مال إليه؛ لذلك وجب أخذه بالتربية قبل أن تهجم عليه الأخلاق الذميمة وتستحكم منه. ونظرًا لضعف قواه العقلية والجسديَّة فإنَّ الشفقة واجبة عليه، فلا ينبغي الإسراف في معاقبته: (حصّن عقوبتك من الإفراط)[٧٣] كما قال عليه السلام. أمَّا في مجال الحياة العامَّة، فإنَّ الإمام عليه السلام يوصي بعدم تنشئة الولد على الرفاهيَّة والسخاء؛ لأنَّ من شأن هذه التربية أن تفسده وتسبِّب له الهلاك لحرصه عليها. فالسخاء صفة جميلة يحمد عليها الإنسان؛ لكنَّها تصبح عادة مهلكة إذا اعتادها وتجاوزت الحد المعقول، فيقول: (لا تحمدن الصبي إذا كان سخيًا، فإنَّه لا يعرف فضيلة السخاء، وإنَّما يعطي ما في يده ضعفًا)[٧٤].

٤- سياسة العبيد: "الرقيق ظاهرة اجتماعيَّة عرفتها مختلف الأمم والشعوب منذ أقدم العصور، فكان اتِّخاذ الخدم منتشرًا عند اليهود والنصارى والمسلمين، ولقد واجه الإمام عليه السلام سوء معاملة الخدم وأكَّد على حقِّهم في الرعاية والرفق والمعاملة الحسنة، فإذا كانت ظروف الحياة وليس الطبع قد أجبرتهم على العيش معنا، يؤدُّون لنا من الأعمال والخدمات الكثيرة، إنَّ هذا لا يعني الحط من أقدارهم وهدر إنسانيتهم"[٧٥]. لقد آمن عليه السلام بإنسانيَّة الإنسان، وألقى في نفسه وهو أنَّ طبيعة الكون جعلته حرًّا؛ لذلك فهو يتوجه إليه بقوله: "لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا"[٧٦].

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد الله الذي بفضله تتمُّ الصالحات، ويمكن القول إنَّ الأسرة في فكر الإمام ﷺ هي التي عزَّزت القيم الأخلاقيَّة في نفوس المسلمين، ولا يمكن أن تكتمل تربية الأسرة على الوجه الأكمل إلا بوجود القدوة واتباع أثرهم للوقوف بها في وجه أعداء الإسلام والمسلمين، فنحن أمَّة الدليل التي تميل أينما يميل الدليل. وفي ختام هذ البحث، فيما يأتي خلاصة لما جاء فيه متضمِّنة أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج:

٤- أنَّ الاقتداء بأثر أهل البيت ﷺ هو القاعدة الصحيحة لبناء الأسرة.

٥- أنَّ تربية الأولاد من أسمى أعمال البر والتقوى.

٦- تعد الأسرة نواة المجتمع فبصلاحها يتم اصلاح المجتمع.

الهوامش

١- سورة القصص: الآية ٧٧ .

٢- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمَّد تقي المجلسي، لبنان، بيروت،١٩٨٠م، ١٣ / ٨٢ .

٣- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت،١٩٨٩م، ٢/ ١٠٢-١٠٣؛ المجلسي، الفخر الرازي، محمَّد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت. ١٩٩٠م، ص١٩- ٥٩.

٤- المفيد، الجمل، ص ٢٦٥؛ ابن مزاحم، ص ٤١٠؛ ابن أبي الحديد، المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان، الأمالي، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المفيد، د.ت. ٢/ ٢٧٣ و ٦/ ٢٩٣.

٥- الفخر الرازي، ج ٥، ٢٢٣؛ الحاكم الحسكاني، ١/ ٩٦؛ علي بن إبراهيم، ص ٦١؛ الطباطبائي، الطباطبائي، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ. ٢/ ١٥٠.

٦- الإسكافي، ابن عبد البرِّ، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ١/ ٦٠.

٧- الصدوق، عيون أخبار الرضا، للصدوق، محمَّد بن علي بن الحسين، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ. ١/ ٧٠.

٨- ميزان الحكمة، ٢/ ١١٧٨.

٩- ابن عبد البر، الاستيعاب ١ / ٣٣٨، نقلا عن: الأمين، أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٨ق./ ١٩٩٨م.، ٢/ ٢٧.

١٠- شرح نهج البلاغة: المحمودي، محمَّد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، مؤسَّسة الأعلمي، د.ت. بن أبي الحديد، ١/ ٢٤-٢٢.

١١- المناقب للخوارزمي، ١، ص ١٥٥.

١٢- نهج البلاغة، ترجمه دشتي، مؤسَّسة نشر شهر، طهران. خطب الإمام علي (عليه السلام)، ٣ / ٤٠ .

١٣- تاريخ اليعقوبي: نهج البلاغة، صبحي صالح، اليعقوبي، ٢/ ١٧٩.

١٤- ابن الأثير، أسد الغابة، نهج البلاغة، ترجمه دشتي، مؤسَّسة نشر شهر، طهران، ٣، / ٢٠.

١٥- الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجلَّة برسمان، اسفند ١٣٨٠، العدد التجريبي٧. ١/ ٢٨٩.

١٦- إبراهيم بن محمَّد، ١/ ٢٢٤ و٢٨٥؛ الزركلي، رشيد رضا، محمَّد، تفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، د.ت. ٦/ ٢٢٠.

١٧- المفيد، الجمل، ص ٢٦٥؛ ابن مزاحم، ٤١٠ ذاكري، علي أكبر، سيماي كاركزاران إمام علي عليه السلام، قم، انتشارات دفتر تبليغات، د.ت. ؛ ابن أبي الحديد، ٢/ ٢٧٣ و، ٦/ ٢٩٣.

١٨ الشيخ الصدوق، من لقى الله، المكتبة العلمية، بيروت،١٩٩٠م،ص٥٧.

١٩ محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، دار الشروق، بيروت،٢٠٠٩م، ١/ ١٧٦.

٢٠- عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، فرحة الغري، ص ٩٣؛ المجلسي، البحار، ٤٢/ ٢٢٢؛ نقلا عن المقدسي، يد الله، بازبژوهي تاريخ ولادت وشهادت معصومانg، قم: المعهد العالي العلوم والثقافة الإسلاميَّة، ١٣٩١هـ ش، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٢١- الطبرسي، أبو القاسم، الخصائص الكبرى، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٧٩م، ص٨٠.

٢٢- المفيد، محمَّد بن محمَّد بن نعمان، الإرشاد، قم، سعيد بن جبير، ١٤٢٨هـ.ق، ٢٧-٢٨.

٢٣- الكليني، ١/ ١٨٩؛ الصدوق، الهداية، ص ٣١؛ الصدوق، كمال الدين، ص ٢٤؛ الحلّي، ١/ ٤٥٣؛ المجلسي، ٢٣/ ٨٩؛ الفيض الكاشاني، الحق المبين، ص ٤؛ الطبرسي، جوامع الجامع، ١/ ٤١٠؛ الحويزي، ٢/ ١٥٨؛ الطباطبائي، ٤/ ٤١١.

٢٤- ابن قتيبة، ١/ ٢٩-٣٠؛ المجلسي، ٤٣/ ٧٠ الشهرستاني، ١/ ٥٧.

٢٥- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، ٣/ ١٤.

٢٦- الشهرستاني، الملل والنحل، تخريج: محمَّد بن فتح الله بدران، القاهرة، الطبعة الثانية، القسم الأوَّل، ١٠٦-١٠٧.

٢٧- كزيده حيات سياسي وفكري إمامان شيعه: جعفريان، رسول،، قم: دفتر نشر معارف، ١٣٩١ هـ ش، ص ٥٤-٥٣.

٢٨- سورة الإنسان: الآية ٨ .

٢٩- سورة البقرة: ٢٧٤ .

٣٠- ترجمة سيد جعفر شهيدي: نهج البلاغة، خطبه ١٩٢م، ٢٢٢.

٣١- وسائل الشيعة، ٢٠/ ١٤.

٣٢- المفيد، الارشاد، ١/ ٩.

٣٣- المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ١/ ٩.

٣٤- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمَّد تقي المجلسي (الأوَّل)، ١٣ / ٨٢ .

٣٥- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، بيروت: دار الهجرة، ص ٤٤٢.

٣٦- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٤٢.

٣٧- المصدر نفسه، ص٤٤٢.

٣٨- محمد رضا الشيرازي، دور المرأة المسلمة في التربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٦٥.

٣٩- الديمقراطية والتربية، ١/ ٢٠.

٤٠- المصدر نفسه .

٤١- المقدمة، ص١٢٨.

٤٢- علم النفس المعاصر، ص١١٥.
٤٣- المصدر نفسه، ص١١٥.
٤٤- سورة البقرة: الآية ٣٨٥ .
٤٥- سورة العنكبوت، الآية ٨ .
٤٦- سورة لقمان: الآية ١٥ .
٤٧- النمو النفسي، عبد المنعم وحلمي المليجي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٤، ص٢٢٤.
٤٨- تاريخ اليعقوبي: نهج البلاغة، صبحي صالح، اليعقوبي، مؤسَّسة نشر شهر، طهران، ١٩٨١م
٤٩- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٤٢.
٥٠- تحف العقول، ص١٤٠.
٥١- إحياء علوم الدين، ٢/ ١٥٧.
٥٢ تحف العقول، مصدر سابق، ص ١٤١
٥٣- المصدر نفسه.
٥٤- السياسة، ابن سينا، نشرة الأب لويس معلوف اليسوعي، ص١٠٧٣.
٥٥- المصدر نفسه، ص١٠٧٤ .
٥٦- أخوان الصفاء وآراؤهم السياسة، مصدر سابق، ص٢٣.
٥٧- إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ٢/ ١٥٧.
٥٨- تحف العقول، مصدر سابق، ص١٤٠.
٥٩- ذخائر العقبى، ص٥٠.
٦٠- مرآة العقول، المجلسي، مصدر سابق، ٥/ ٣٢٠.
٦١- سورة الحجرات: الآية ١٣ .
٦٢- سورة البقرة: الآية ٢٢٨.
٦٣- سورة النحل: الآية ٥٨ .
٦٤- سورة النساء: الآية ٣٤.
٦٥- وسائل الشيعة: ٥ / ١٢٨، باب أنَّ الولد يلحق بالزوج.
٦٦- المصدر، نفسه.
٦٧ - سورة يوسف: الآية ٢٨ .
٦٨- غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١٤.
٦٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، حيدر آباد الدكن، الهند، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، ١/ ٩٠ .
٧٠- المصدر نفسه.

٧١- وسائل الشيعة، مصدر سابق، ٥/ ١٢٩ .

٧٢- مكارم الأخلاق: ص١١٤

٧٣- المصدر نفسه .

٧٤- غرر الحكم: ص٤٨١ حرف العين، من لا يحضره الفقيه، ٣/ ٣٨٣.

٧٥ ميزان الحكمة، ٢/ ١١٧٨.

٧٦- المصدر نفسه، ٢/ ١١٧٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* ابن أبي الحديد، المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان، الأمالي، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المفيد، ١٩٩٧م.
* أبو الفضل نصر بن مزاحم بن يسار المنقري التميمي، عين الوردة، ط١، ١٩٨٦م.
* إحياء علوم الدين، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت،١٩٨٥م.
* أخوان الصفاء وآراؤهم السياسة، أ.م.د. أحمد عدنان عزيز، كليَّة العموم السياسيَّة- جامعة بغداد، ١٩٩٠م.
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الإسكافي، بن عبد البر، يوسف بن عبد الله، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
* أصول الكافي، الكليني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٢٠٤هـ-١٩٨٦م.
* أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٨ق./١٩٩٨م.
* تاريخ اليعقوبي: نهج البلاغة، صبحي صالح، اليعقوبي، مؤسَّسة نشر شهر، طهران، ١٩٨١م.
* تحف العقول عن آل الرسول الكاتب: ابن شعبة، الحسن بن علي. مكان النشر: النجف: الناشر: المطبعة الحيدرية ومكتبتها، تاريخ النشر: ١٩٦٣م.
* التفسير الكبير، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
* تفسير المنار، رشيد رضا، محمَّد، بيروت، دار المعرفة، د.ت،١٩٩٠م.
* تلخيص المرام في معرفة الأحكام، الحسن بن يوسف بن علي بن محمَّد بن مُطهّر الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ).
* جوامع الجامع، الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط١، المطبعة: الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٨هـ.
* الحق المبين، الفيض الكاشاني، مؤسَّسة نشر شهر، طهران، ط،١٩٨٠١م.
* روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمَّد تقي المجلسي دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م .
* روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمَّد تقي المجلسي، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م.
* السياسة، ابن سينا، نشرة الأب لويس معلوف اليسوعي، عالم الكتب، القاهرة، ط ١٩٩٢،١م.
* سير أعلام النبلاء ابن الأثير، أسد الغابة، نهج البلاغة، ترجمه دشتي، مؤسَّسة نشر

شهر، طهران، ط١٩٨٠،١م.
* شرح نهج البلاغة، المحمودي، محمَّد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، مؤسَّسة الأعلمي، د.ت. ابن أبي الحديد، ١٩٩١م.
* شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
* علي والفلسفة، محمَّد حسين الطبطبائي، دار النشر: الدار الإسلاميَّة، ١٩٩٦م.
* عيون أخبار الرضا، لصدوق، محمَّد بن علي بن الحسين، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ.
* الفخر الرازي، محمَّد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت. ١٩٩٠م.
* فرحة الغري، عبد الكريم بن احمد بن طاووس، قم: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلاميَّة، ١٣٩١هـ .
* الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت،١٩٨٩م.
* كتاب البحار، جَمَعه محمَّد باقر المجلسي (١٠٣٧ هـ-١١١١ هـ)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٤م.
* كتاب الهداية، كمال الدين الصدوق، قم: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلاميَّة، ١٣٩٢هـ .
* كزيده حيات سياسي وفكري امامان شيعه: جعفريان، رسول، قم: دفتر نشر معارف، ١٣٩١ هـ.
* الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.
* مرآة العقول، محمَّد باقر المجلسي، دار القلم، لبنان ١٠٣٧ هـ.
* المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
* المفيد، محمَّد بن محمَّد بن نعمان، الإرشاد، قم، الجمل، قم: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلاميَّة، ١٣٩١هـ.
* المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
* الملل والنحل، الشهرستاني، محمَّد بن فتح الله بدران، القاهرة، ط٢، بيروت،١٩٨٢م.
* المناقب، الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ.
* الميزان في تفسير القرآن، محمَّد علي بن إبراهيم حسين الطبطبائي، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
* النمو النفسي، عبد المنعم وحلمي المليجي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.
* نهج البلاغة، ترجمه دشتي، مؤسَّسة نشر شهر، طهران. خطب الإمام علي ﷺ، ١٩٧٠م .

أثر العلم في التربية الأسريَّة الصالحة
(منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنموذجًا)

أ.د. حيدر عبد الحسين زوين

جامعة الكوفة / كلية الآداب

ملخَّص البحث

يُعدُّ العلم من أعظم النعم الإلهيَّة التي اختصّ الله تعالى بها الإنسان وميَّزه بها عن سائر المخلوقات؛ إذ جعله أداة للتكليف والتمييز بين الخطأ والصواب، ومنطلقًا لبناء الوعي الإنساني الرشيد. ويهدف هذا البحث إلى بيان أثر العلم في ترسيخ التربية الأسريَّة الصالحة، من خلال دراسة فكر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ بوصفه أنموذجًا متكاملًا للتربية الإسلاميَّة التي تجمع بين العلم والعمل، والعقل والإيمان.

يركّز البحث على أنَّ منهج الإمام عليه السلام يُعدّ نظامًا تربويًّا متكاملًا يجعل من العلم وسيلةً لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، لا مجرد تحصيلٍ معرفيٍّ نظري؛ إذ يؤكِّد على توظيف العلم في خدمة القيم الإلهيَّة والإنسانيَّة، وفي بناء الأسرة على أسس الوعي والمسؤوليَّة. كما يُظهر البحث أنَّ الإمام علي عليه السلام جعل من العلم غذاءً للعقل يقوّمه ويهذّبه، ويُعدّ الطعام غذاءً للجسد، وأنَّ صلاح المجتمع مرهون بصلاح الأسرة، وصلاح الأسرة متوقف على تربية علميَّة قائمة على المعرفة والحكمة.

اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي في استقراء أقوال الإمام عليه السلام وحِكمه الواردة في نهج البلاغة، للكشف عن القيمة التربويَّة للعلم ودوره في بناء الإنسان الصالح والأسرة المستقرة والمجتمع الراشد.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، التربية الأسريَّة، العلم، القيم الإسلاميَّة، بناء الإنسان، نهج البلاغة.

Abstract

The method of (knowledge) is one of the many blessings that God Almighty has bestowed upon man, and this blessing with which God Almighty has distinguished man from all other beings (creatures), and it is one of the blessings of divine honor for man, which makes man legally responsible for rational people; because the basis of the idea of responsibility is represented in spreading this method, which is knowledge and building sound minds, and differentiating between right and wrong, that is, between wrong behavior and correct behavior, and this matter needs further study.

The true Muhammadan Islam and the hadiths of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) have emphasized the great role of knowledge in the correct upbringing of the Muslim family and the sound foundations of individuals and subsequently society, and the importance of this method in building societies and people. The Imams of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) have emphasized the necessity of employing this method in pleasing and obeying God Almighty, and that the progress of peoples and societies lies in the fundamental role of this great theme. The methodology of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) includes sayings and wisdom that emphasize the importance of knowledge as a successful family method and its impact on raising and bringing up a person in a correct manner, which in turn leads to a successful and prosperous future. Just as food is the food of the human body, knowledge is the food of the mind, which strengthens and helps it in the afterlife. We will discuss this method in the methodology of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) and its role in proper family upbringing. The research is divided into the following topics:

The first topic: The impact of the method of knowledge on proper family upbringing from an Islamic perspective

The second topic: The impact of the method of knowledge on proper family upbringing (the methodology of Imam Ali bin Abi Talib as a model)

مقدمة البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمَّد، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وبعد فيعدُّ أسلوب (العلم) من النعم الكثيرة التي أنعم بها الله عز وجل على الإنسان، وهذه النعمة التي ميَّز الله عز وجل بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى (المخلوقات)، وهي من نعم التكريم الإلهي للإنسان، التي تجعل الإنسان مكلّفًا تكليفًا شرعيًّا على العقلاء من البشر؛ لأنَّ أساس فكرة التكليف تتمثَّل في نشر هذا الأسلوب ألا وهو العلم وبناء العقول السليمة، والتفريق بين الخطأ والصواب، أي ما بين التصرف الخاطئ والتصرف الصحيح، وهذا الأمر بحاجة إلى مزيد من الدراسة.

لقد أكَّد الإسلام المحمَّدي الحنيف وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، على الدور الكبير للعلم في التربية الصحيحة للأسرة المسلمة والأسس السليمة للأفراد وبالآتي المجتمع، وأهميَّة هذا الأسلوب في بناء المجتمعات والإنسان، وقد أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام على ضرورة أن يتمَّ توظيف هذا الأسلوب في رضا الله عز وجل وطاعتهِ، وأنَّ تقدم الشعوب والمجتمعات يكمن في الدور الأساس لهذه الثيمة العظيمة.

لقد وردت في منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أقوال وحكم تؤكِّد على أهميَّة العلم وأثرها في تربية الإنسان وتنشئته النشأة الصحيحة، وهذه بدورها تؤدِّي إلى المستقبل الناجح الزاهر، فكما أنَّ الطعام هو غذاء الجسد البشري فإنَّ العلم هو غذاء العقل، الذي يقويه ويعينه في الآخرة، وسوف نتناول هذا الأسلوب، في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودوره في التربية الأسريَّة الصالحة، وقد قسم البحث على المباحث الآتية:

المبحث الأوَّل: أثر أسلوب العلم في التربية الأسرية الصالحة من المنظور الإسلامي

المبحث الثاني: أثر أسلوب العلم في التربية الأسريَّة الصالحة (منهج الإمام أمير المؤمنين أنموذجًا)

وقد استعان الباحث بمجموعة من المصادر: (التاريخيَّة، والدينيَّة، والعقائديَّة، واللغويَّة) عبر استعمال المنهج الوصفي التحليلي

المبحث الأوَّل:

أثر أسلوب العلم في التربية الأسريَّة الناجحة من المنظور الإسلامي

لقد أكَّد القرآن الكريم في آيات كثيرة على فضل العلم على الإنسان والإسهام بدوره في تربيته وتنشئته النشأة الصحيحة التي تؤدِّي به إلى السمو والرفعة والسداد، إذ أوجب طلبه أفضل العلم عند الله تعالى والعلوم الشرعيَّة والعلوم الإنسانيَّة الأخرى؛ إذ قال تعالى في فضله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١]؛ إذ حصر التذكر والتدبر بأصحاب العقول، وفي موضع آخر يصف منازل العلماء أنَّها أفضل المنازل؛ فرفع درجاتهم؛ لما ينمازون به من صفات وخصائص عن الأشخاص الآخرين إذ يقول الباري عزّ وجل: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢].

وقد أكَّد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام على أهميَّة العلم النافع ودوره في تهذيب الإنسان وتربيته التربية الصالحة؛ إذ قال الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله: ((سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله من علمٍ لا ينفع))[٣]؛ إذ يجب على كلِّ مسلم ومؤمن أن يطلب العلم خالصًا لوجه الله، لا لمنصب أو جاه أو مال، وهي أغراض دنيويَّة مصيرها الزوال؛ إذ يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ((من تعلّم علمًا ممَّا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلَّا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة (اي ريحها) يوم القيامة))[٤]

إنَّ تهذيب النفس الإنسانيَّة وتربيتها وتنشئتها النشأة الصالحة لا يكون إلَّا بالعلم، وهو من أسمى المقامات الإنسانيَّة الشامخة، والكمالات الرفيعة، وهو طريق الوصول إلى السعادة الأبدية، وهو ترويض النفس على الأخلاق النبيلة، والصفات الحميدة، فضلًا عن التقوى وطاعة رب العزة، وهو السبيل الأسلم لتطوير النفس لأمر الحق والابتعاد عن الباطل؛ ولكن تحقق ما ذكرناه في أعلاه، يتوقف على المقصد الشريف المبني على المعرفة الصحيحة، والإصلاح النفسي، وبالعلم والعقل يمكن تثقيف المجتمع على الإسلام تثقيفًا واعيًا وبناءً للشخصيَّة الإسلاميَّة العقائديَّة في كلِّ المواطن لتكوين القاعدة الفكريَّة الراسخة.(٥)

إنَّ الالتزام بشرع الله وسنة رسوله وأهل بيتهعليهم السلام، يتم من خلال العلم وهو باب من خلاله يعرف المؤمن دينه، ومعرفة الدين مقدمةً للإيمان الحقيقي الصادق، والعمل المقبول الصحيح، لذا كان طلب العلم واجبًا على كل مسلم كما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)).(٦)

لقد رفع الله تعالى منزلة العلم في كتابه العزيز فكانت أول آية قد صرّحت بالفعل(اقْرَأْ) وهو فعل أمر طلبي؛ إذ علَّم الله الإنسان بالقلم ما لم يعلم، وأعطى قدسيَّة كبيرة للحرف (ن)، فأقسَمَ الله بالقلم وما يسطرون، وفي الآية أخرى قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٧) .

ومن هنا وجّه الإسلام المحمَّدي الأصيل في بداية دعوتهِ إلى إلزاميَّة التعلُّم وجعله من الفرائض، بدلالة أسلوب الطلب المتمثِّل بفعلي الأمر: (قل، وزد) وجعلَ الرسول فداء فك أسرى المشركين تعليم المسلمين الأميين الكتابة والقراءة، وجعل مهر المرأة المتزوجة تعليمها قسمًا من آيات القرآن الكريم(٨)، يقول الشاعر:

فتعلّموا فالعلمُ مفتاحُ العلى لم يبقَ بابًا للتعلمِ مغلقًا(٩)

لقد علَّمنا الإسلام المحمَّدي ومنهج آل البيت عليهم السلام أهميَّة طلب العلم والتعلم، وهي وسيلة لتطبيق شرع الله وفرائضه؛ فديننا الإسلامي الحنيف يمتلك أحكامًا شاملةً لكل حادثةٍ في الحياة، ولا يمكن أن تتحقق طاعة خالق الأكوان إلا باتِّباع الشريعة والعمل بأركانها، وهذا الاتّباع يحتاج إلى معرفة أحكامها وقوانينها؛ لكي يسهل تطبيقها والالتزام بها، فالفروض هي أحكامٌ فرضها الله تعالى علينا وأمرنا بالالتزام بها؛ لأنَّها منبع كل خير وصلاح وأصل كل سعادة ومن هنا تأتي أهميَّة طلب العلم وتعلّم معرفة هذه الأحكام والمسائل الشرعيَّة، والالتزام بها، لنحظ بفرصة التقرب والدنوّ منه كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: ((ما تقرب إليّ عبدٌ بشيءٍ أحب إلي ممَّا افترضت عليه)).[١٠]

لقد وضع إسلامنا المحمَّدي ومنهج أهل البيت عليهم السلام للعلم شروطًا وأحكامًا دعا إلى تطبيقها؛ كي تحصل الثمرة الطيّبة المرجوّة من العلم التي تسهم في التربية الصالحة والنشأة الصحيحة للفرد والمجتمع، فليس كل من سلك طريق العلم والمعرفة نجا من الهلاك، لذلك وضع على طالب العلم والمعرفة مجموعةً من الآداب والشروط، قد أوجبوا مراعاتها؛ لكي لا تزلّ قدم طالب العلم، ومن أهم هذه الضوابط: التوكل على الله فلا علم من دون ايمان بالله وبنيّة سليمة، ويجب أن يبتعد طالب العلم عن الذنوب؛ لأنَّها توقعه في المزالق الدنيويّة بدلًا عن الهداية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: ((توقّوا الذنوب فما من بليَّة ولا نقص رزق إلاّ بذنب حتَّى الخدش والكبوة والمصيبة))[١١] ويجب على طالب العلم التواضع وعدم الاستعلاء، والتحلي بالأخلاق الكريمة الصالحة فهي الأساس في التربية الأسريَّة الصالحة.

إنَّ من متطلبات التربية الأسريَّة الصالحة التي يجب أن يتحلَّى بها طلبة العلم هي الصبر وتحمل المشقّات والضنك، ولا يمكن للإنسان أن ينال شرف العلم إلَّا بالصبر والتحمُّل، والدليل على ذلك كله قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من لم يصبر على ذلِّ التعلم ساعة بقي في ذلِّ الجهل أبدًا))[١٢]. ويقول الإمام أمير المؤمنين في هذا الجانب: ((الصبر

أحسن خلل الإيمان وأشرف خلائق الإنسان))[١٣]، وقوله في موضع ثانٍ ((أيُّها الناس عليكم بالصبر فإنَّه لا دين لمن لا صبر له))[١٤].

إنَّ العلم والمعرفة عنصران مهمَّان؛ إذ يعدّان من أكبر نعم الله على عباده، وهما أحسن المكاسب، وإذا توافر للإنسان قدرٌ أعلى من العلم فقد يصاب بالغرور، ويأخذه التعالي على أصحابه، وقد يصاب بالأنانيّة والزهو، وقد يبخل بعلمه على الآخرين، خدمةً لذاته ومصلحته الخاصَّة. لذا جاءت التعاليم الدينيَّة ومنهج أهل البيت؛ ليؤكدان على أهميَّة العلم تجاه الناس، ويتوجب على ذلك بذل المسلم علمه للآخرين والمنتفعين به، وبذل العلم هي زكاته، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ((زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه)).[١٥]

لقد علّمنا إسلامنا المحمَّدي ومنهج أهل البيت عليهم السلام، بوجوب تحلي حامل العلم بالبساطة ولين العريكة، ويجب أن يخاطب المتعلم الآخرين بمستويات مختلفة تبعًا لمستوى الثقافات التي يتمتعون بها، وهذه خصيصة فعالة تسهم في التربية الأسريَّة الصالحة، فضلًا عن ذلك ينبغي مراعاة اختلاف: (قبائلهم، وشعوبهم، وتباين بطونهم وأفخاذهم، وفصائلهم)؛ إذ يجب على المتعلم أن يحدِّثهم بما يفهمون، ويحادثهم بما يعلمون، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟! حدِّثوا الناس بما يعرفون، وأمسكوا عمَّا ينكرون))[١٦]

فالغاية المبتغاة من (العلم) بوصفه جزءًا لا يتجزأ من التربية الإنسانيَّة والأسرية الصالحة للفرد والمجتمع هو الإيمان بربِّ العزَّة، ويجب أن يكون العلم ملازمًا للدين حتَّى لا يفترقا، وأنَّ العلم، والعقل هما أساس الإيمان وبه نفهم ونعي أحكامه ونعرف الخالق، وبه أكمل الله الحجج للناس، وأتمّ الطاعة له والإيمان به[١٧].

وقد تمتَّع أهل البيت عليهم السلام بخصوصيَّةٍ لاتعد، ومزيةٍ لا تفتقد ألا وهي حق تعريفهما وبيَّنوا وظائفهما، وأوضحوا ماهيَّتهما، فقد وصفهم الله بأوصاف شتَّى منها: (عِدْل

القرآن، وأرباب العقول، وأولوا الأبصار)[١٨] الذين أخذ الناس عنهم وفضَّلهم على جميع الخلائق، وأمرنا الله بالأخذ منهم، والعمل بسنَّتهم وأقوالهم، والعمل بعلمهم والإفادة من عقولهم؛ لأنَّهم علماء الأمَّة وحكماؤها، يقول الإمام الرضا عليه السلام: ((بالعقول يعتقد التصديق بالله))[١٩].

المبحث الثاني:

أثر العلم في التربية الأسريَّة الصالحة، منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنموذجًا .

مدخل

لقد مثَّل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، سائر أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، الذين عرفوا بعلمهم اللدني الغزير العميق، وقد ميَّزهم رب العزَّة عن سائر البشر، وقد أشار الله تعالى إلى العلم وفضل العلماء في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٢٠]، وقد نهل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من علوم ابن عمِّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صغير؛ إذ يقول الرسول الأعظم في ذلك: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب))[٢١]، وقال صلى الله عليه وآله في موضع آخر: ((أنا دار الحكمة وعلي بابها))[٢٢]، وقال في موضع آخر: ((أنا مدينة الحكمة وعلي بابها))[٢٣].

إنَّ العلم والمعرفة في شرع الله ومنهج أمير المؤمنين عليه السلام بوصفهما عنصرين من عناصر التربية الصالحة والنشأة السليمة، هما أهم وسيلة من الوسائل التي تهذّب النفس وتشخّص عيوبها، ومن خلالهما يمكن التعرُّف على الأفعال القبيحة وكشفها، والصفات الذميمة؛ ليتمكن الإنسان من معالجتها، فبالعلم والمعرفة نتعلم الأخلاق الفاضلة، ونكتشف الصفات الرذيلة وآثارها، وطرق معالجتها واكتشاف عيوبنا الأخلاقيَّة، وباكتشاف المشكلة يسهل علينا اكتشاف الحلول، فمن خلال العلم، يمكن تهذيب النفس، ومعالجة العلل والأمراض النفسيَّة، ومن هنا يكون طريق العلم طريق الحق والمجاهدة، وهو السبيل إلى معرفة الشوائب، والأدران

والعوائق التي تحول بين الإنسان وربه وبين العلم والجهل، فالعلم كالطبيب الذي يعالج الداء ويصف علاجه؛ إذ من المتعذِّر على الطبيب أن يعطي الدواء المناسب إذا لم يكن على علمٍ ودرايةٍ بالمرض ونوعه ليحدِّد بعد ذلك كيفيَّة معالجته، فالجهل بالنفس منشأ كل المفاسد والشرور، وأنَّ تهذيب النفس وتشخيص عيوبها من واجبات الأمور، وأنَّ ضياع العلم يضاعف عيوب الإنسان من حيث لا يعلم قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((كفى بالمرء جهلًا أن يجهل نفسه))[٢٤].

لقد ورد في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أقوال كثيرة تمجِّد العلم ودوره الريادي المهم في التربية الأسريَّة الناجعة، والتنشئة الصحيحة للفرد والمجتمع منها قوله:

١- التأكيد على اكتساب العلم والمعرفة منذ الصغر قال: ((من لم يتعلَّم في الصغر لم يتقدَّم في الكبر))[٢٥].

لقد أكَّد إسلامنا المحمَّدي ومذهب آل البيت عليهم السلام، على حقِّ الأولاد منذ الصغر في اكتساب العلم والمعرفة التي تعدُّ من الأسس العمليَّة التربويَّة المثاليَّة والناجحة، وفاءً بالحقِّ الشرعي الملقى على عاتق الأسرة المسلمة، ولاسيَّما أنَّ الإسلام ومنهج أهل البيت عليهم السلام يعدُّ العلم فريضةً على كلِّ مسلم ومسلمة، وهذه الفريضة ليست حكرًا على الأب أو على الأم فحسب؛ بل ينسحب ذلك على الأولاد الصغار جميعًا . يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((العلم من الصغر كالنقش في الحجر))[٢٦]. وقوله في موضع آخر: ((من تعلَّم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر، ومن تعلَّم وهو كبير كان بمنزلة الكتاب على وجه الماء))[٢٧].

وقد تحدَّث رسول الإنسانيَّة محمَّد وأهل بيته عليهم السلام عن مكانة العلم وآثاره في تربية النفس وتهذيبها، وصيانتها من الخطأ إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنَّة))[٢٨]، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله في أهميَّة العلم كعنصر مهم ورئيس من عناصر تربية الفرد المسلم التربية الأسريَّة الصالحة؛ إذ يقول:

((كفى بالعلم شرفًا أن يدَّعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يبرأ منه من هو فيه))[٢٩].

ومن أراد أن يعيش عيشةً كريمةً، وأن يكون ذا مكانة بين الناس عليه أن يتعلم كي لا يندرج في الصنف الثالث، وهم الهمج وما أكثرهم، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إنَّما النَّاس عالم ومتعلم، وما سواهما فهمج))[٣٠].

٢- تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أهميَّة طلب العلم من خلال السؤال؛ لأنَّ السؤال كما وصفه عليه السلام أنَّه نصف العلم: ((حُسن السؤال نصف العلم)).[٣١]

لقد حفَّزنا منهج الإمام علي عليه السلام، على السؤال والاستفسار من أولي الذكر حتَّى نتعلم، وقد قالت العرب إذا كان العلم سؤالًا وجوابًا، فإنَّ حسنُ الاستماع هو نصف العلم، وإنَّ حسن السؤال هي وسيلة لتعلُّم العلم النافع، لذا أمر الله الناس بالسؤال فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٢]، ولطرح السؤال آدابٌ عامَّة يجب مراعاتها من قبل من كان له عقلٌ راجحٌ، فإذا كان سؤالك راجحًا، فلا بدَّ من أنَّك ستجد جوابًا مائزًا، وإن أسأتَ السؤال فقد تصاب بالحرمان، وكان المسلمون يسألون ابن عباس كثيرًا؛ لأنَّه حبر الأمَّة قال أبو سلمة: ((لو رافقتُ ابنَ عباس، لاستخرجتُ منه علمًا كثيرًا))[٣٣]، وفي منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شواهد ناطقة على حبّ تعليم الناس وإرشادهم ووعظهم، ومن الشواهد على ذلك استعماله لفعل الطلب وأسلوب الأمر سلوني دلالة على اهتمامه بهذا الأسلوب التربوي: ((روي أنَّ عليًا عليه السلام قال على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فما من آية إلا وأعلم حيث نزلت، بحضيض جبل أو سهل أرض، وسلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمتُ كونها، ومن يقتل فيها))[٣٤]. وروى أحمد بن حنبل عن سعيد قال: ((لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يقول: سلوني إلَّا علي بن أبي طالب))[٣٥].

يؤكِّـد الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام في هـذا السـلوك التربـوي المثـالي عـلى أهميَّـة مجالـس العلـم في الجامـع بوصفـه مكانًـا مـن أماكـن العلـم والعبـادة، وكذلـك مجالسـة العلـماء؛ لأنَّهـم هيبـة ووقـار، وفي مقولـة أخـرى لـه يقـول عليه السلام قـال: ((جالـس العلـماء يـزدد علمـك، ويحسـن أدبـك، وتـزك نفسـك))[٣٦]، وقولـه: ((جالـس الحكـماء يكمـل عقلـك، وتـشرف نفسـك، وينتـف عنـك جهلـك))[٣٧]. وقولـه في موضـع ثالـث: ((العقـل ولادة والعلـم إفـادة ومجالسـة العلـماء زيـادة))[٣٨].

٤- تأكيـد الإمـام أمـير المؤمنـين عـلى أنَّ منزلـة العلـم أفضـل مـن منزلـة المـال؛ بـل إنَّ العلـم يسـمو والمـال يقـل تدريجيًّـا، ويفنـى فضـلًا عـن ذلـك أنَّ العلـم هـو الـذي يرعـاك ويحرسـك في حـين أنَّ الفـرد منَّـا هـو الـذي يحـرس المـال ويخـاف عليـه مـن الضيـاع والفقـدان، وقـد جـاء ذلـك في قولـه عليه السلام: ((يَـا كُمَيْـلُ، الْعِلْـمُ خَـيْرٌ مِـنَ الْمَـالِ، الْعِلْـمُ يَحْرُسُـكَ وَأَنْـتَ تَحْـرُسُ الْمَـالَ. وَالْمَـالُ تَنْقُصُـهُ النَّفَقَـةُ، وَالْعِلْـمُ يَزْكُـو عَـلَى الْإِنْفَـاقِ، وَصَنِيـعُ الْمَـالِ يَـزُولُ بِزَوَالِـهِ))[٣٩]، وفي موضـع آخـر يقـول: ((يـا كميـل هلـك خـزان الأمـوال وهـم أحيـاء، والعلـماء باقـون مـا بقـي الدهـر. أعيانهـم مفقـودة، وأمثالهـم في القلـوب موجـودة))[٤٠].

٥- أكَّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أهميَّة نشر العلم من خلال تعليم الآخرين فقال: ((علِّم الناس، وتعلَّم عِلمَ غيرك، فتكون قد أتقنتَ علمك، وعلمتَ ما لمْ تَعلم))[٤١]

يؤكِّـد الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام عـلى أهميَّـة نـشر العلـم، وأهـم وسـائل نـشر العلـم هـي الأسرة، فهـي المحيـط التربـوي الخصـب المسـؤول عـن تربيَّـة الأبنـاء تربيـة صالحـةً سـليمةً وناجعـةً؛ ليصبحـوا أبنـاء فعالـين في خدمـة المجتمـع الإسـلامي، كـما يجـب عـلى كلِّ مسـلم أن يعلـم أبنـاء أسرة أصحابـه والمجاوريـن لـه، ونتيجـة هـذه الأهميَّـة، قـال الإمـام السـجاد عـلي بـن الحسـين عليه السلام: ((وأمَّـا حـق ولـدك فتعلـم أنَّـه منـك ومضـاف إليـك في عاجـل الدنيـا بخـيره وشره، وأنَّـك مسـؤول عـمَّا وليتـه مـن حسـن الأدب))[٤٢]

٥- يؤكِّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أهميَّة العلم كسلاح للمتعلم بقوله: ((قَطعَ العلم عُذر المتعلِّمين))[٤٣]، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي أكَّد على تعلُّم الأحكام الشاملة، لكلِّ شأنٍ أو حادثةٍ في الحياة، ولا يمكن تعلم هذه الأحكام من دون علم، والعلم أيضًا يعلِّمنا حاجاتنا وشؤوننا كلّها، والعلم فضلًا عن كونه سلاح فهو أصل كل سعادة ومنبع كل خير، ولهذا كانت الحاجة إلى طلب العلم وتعلّم الأحكام والمسائل الواجبة؛ لأنَّ العلم هو الباب الذي من خلاله نتقرَّب إلى الله؛ إذ نلتزم بفرائض الله علينا، أمَّا الإنسان الجاهل الذي جهل بأحكام الله فلا عذر له، وسيكون رب العزة خصيمه يوم القيامة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنَّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنتَ عالمًا؟ فإن قالَ: نعم، قال: أفَلا عمِلتَ بما علمتْ؟ وإن قالَ: كنتُ جاهلًا، قال: أفلا تعلّمت حتَّى تعملَ، فيخصمهُ وتلكَ الحجّة البالغة))[٤٤]. وعلى هذا الأساس؛ فإنَّ تبرير عدم الفهم وعدم القراءة والكتابة لا يرفع المسؤولية عن الإنسان. نتيجةٌ لسيره في الطريق الخاطئ مع كلِّ تلك الهدايات.

٦- دعا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهميَّة نشر العلم ونقله إلى الأبناء والأعقاب، وقال في خطبة له: ((لقد دعوت الله تعالى أن يجعل العلم، والحكمة في عقبي وعقب عقبي))[٤٥].

إنَّ الإسلام المحمَّدي ومنهج أهل البيت عليهم السلام، مصابيح مضيئة في دياجير الظلام، وفي حياة الإنسانيَّة، وهم منار شامخ لا يستطيع أي شخص أن ينكر دوره؛ لأنَّهم أعلام الهدى وقدوة للناس كافة؛ إذ عرفوا بالعلم والتقوى، والحكمة والإخلاص لله ولرسوله، وهم رواد حركة الإصلاح، من خلال الطريق الذي رسموه للنَّاس، بأقوالهم وأفعالهم التي أصبحت منهجًا تربويًّا سليمًا، ولهذا وجب اتِّباعهم؛ لأنَّهم لم يتكلموا عن هوىً، فكلامهم منقول عن جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والأئمَّة المعصومين عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((لَو أنَّا حَدَّثنا بِرَأيِنا ضَلَلنا كَما ضَلَّ مَن كانَ قَبلَنا، ولكِنَّا حَدَّثنا بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّنا بَيَّنَها لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَبَيَّنَها لَنا))[٤٦].

٧-ضرورة أن يكون الإنسان وعاءً لكل العلوم، وجامعًا لكلِّ المعلومات حتَّى يكون

منارًا يستضيئ الناس به، وقال الإمام أمير المؤمنين في هذا الموضع: ((كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى))[٤٧]، وقوله في موضع آخر: ((يا كميل إنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها))[٤٨].

وهذه التجربة خير برهان جسَّدها أمام المتقين أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((كُلُّ وِعَاء يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلاَّ وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ))[٤٩].

لقد أثنى القرآن الكريم على العلم والعلماء وخصَّهم بالثواب، وقد عدّ العلم قضيَّة مصيريَّة وضروريَّة للإنسان وهي بدورها تسهم في تربيته وتنشئته النشأة الأسريَّة الصالحة، فهو وعاء ينهل منه الإنسان ويتعلم منه، وهو ضالة المسلم متى أراد الارتقاء، وقد روى ابن عبد البرِّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: ((العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممَّن سمعها منه)).[٥٠]

فإذا أراد العالم الإسلامي أن يتطور ويعيش حياة أسريَّة سعيدة وصالحة، عليه أن يتبنَّى أطاريح علميَّة جديدة أساسها العلم؛ لكي يتحرَّر من رق غيره، ويكون للعلم والفكر استقلال تعليمي؛ لأنَّنا بأمسِّ الحاجة إلى التفكير العميق الذي يكون على أساسه العلم، الذي هو حجر الزاوية وبيضة القبَّان في المشروع الإنساني، فهو متشبع بروح الإسلام والإيمان، الراسخ بتعاليمه وأهدافه؛ إذ يتمثَّل فضل الفكر الإسلامي في إدارة البلاد، وتنظيم شؤون المجتمع، وبالعلم تحل مشاكل المجتمع الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، فالعلم قبَّان هو محمَّد صلى الله عليه وآله، وكفتاه الإمام علي عليه السلام، بمعنى أنَّ الإسلام وأهل بيته عليهم السلام قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ((أَنَا مِيْزَانُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ كَفَّتَاهُ))[٥١].

النتائج والتوصيات

١- لقد أكَّد القران الكريم في كثير من آياته الكريمة على العلم بوصفه أسلوبًا حيويًّا وفعال في تحقيق الحياة الأسريَّة الصالحة والناجعة .

٢-أنَّ منهج أهل البيت عليهم السلام مليء بالأحاديث والأقوال التي تؤكِّد على أسلوب العلم، وهو أحد أساليب التربية الصالحة في المجتمع الإسلامي .

٣-لقد كان منهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أوائل المناهج التي أكَّدت على وجوب تبنِّي العلم بوصفه أسلوبًا نافعًا من أساليب تحقيق الحياة الأسريَّة الصالحة.

٤- عرض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث عن العلم بأقواله وحكمه المبثوثة في تراثه المكتوب؛ فضلًا عن المراجع التاريخيَّة الحديثة التي عرضها البحث .

٥-أنَّ العلم سلاح مهم في ترسيخ الإسلام ووحدة الأسرة الصالحة، وبالتالي وحدة المجتمع الإسلامي.

٦-للعلم دور بارز في إرساء الحياة الحرة الكريمة للأسرة الصالحة، وإرساء قيم السعادة والتعاون بين أبنائها، وبالتالي يؤدِّي ذلك إلى وحدة المجتمع الإسلامي.

٧- يجب أن يؤخذ بالنظر أسلوب العلم ودوره في بناء الأسرة، والمجتمع بوصفه منهجًا دراسيًّا في الجامعات والمعاهد العراقيَّة، ويتَّخذ من منهج أئمَّة أهل البيت عليهم السلام بوصفها موضوعات تدريسيَّة مهمَّة .

٨-وضع مناهج دراسيَّة وتربويَّة للمدارس على اختلاف مراحلها تشتمل دراسات عن العلم من ضمن مناهج التربية الأخلاقيَّة؛ إذ توظّف لدراسة أقوال الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في العلم، وتوظيف هذه الأقوال والحكم في الحياة الأسريَّة الصالحة وبشكل عملي من أجل أن تسود العدالة والسعادة هذا المجتمع.

٩-التسامح مع الآخر ونشر العلم وتنمية العقول صمام أمان لا يمكن الاستغناء عنه من أجل بناء أسرة صالحة ومجتمع إنساني متكامل.

الهوامش

١- سورة الزمر، الآية ٩

٢- (سورة المجادلة، الآية ١١)

٣- موسوعة العقائد الإسلاميَّة في الكتاب والسنة، الشيخ محمَّد الريشهري، ج٢، ص٤٣٠.

٤- مشكاة المصابيح، محمَّد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ج١،ص٢٢٧.

٥- الإسلام يقود الحياة، الشهيد محمَّد باقر الصدر، ص٢٣.

٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، محمَّد باقر المجلسي، ج١، ص١٧٢.

٧- (سورة طه: الآية ١١٤).

٨- الزواج في ظل الإسلام: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ٧٦.

٩- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ٢/ ١٧٩.

١٠- أصول الكافي: ثقة الإسلام أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ج٢، ص٣٥٢.

١١- الخصال: الشيخ الصدوق، ٢/ ٦١٦.

١٢- أصول الكافي: الكليني،ج١،ص٤٩.

١٣- ميزان الحكمة - محمَّد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٥٥٦.

١٤- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - الصفحة ٩٢

١٥- عُدَّةُ الدَّاعي ونَجاحُ السّاعي، جمال الدين أحمد بن محمَّد بن فهد الحلي، ص٦٨

١٦- بحار الأنوار: العلاَّمة المجلسي، ج ٢، ص٧٧.

١٧- التربية الإسلاميَّة أصولها وتطورها في البلاد العربية: محمَّد منير مرسي، ٣٤٧.

١٨- التوحيد: الشيخ الصدوق، ص ٤٠

١٩- الاحتجاج: العلامة أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ج٢،ص٣٦٤

٢٠- (سورة فاطر، الآية ٢٨)

٢١- فيض القدير، الشوكاني، ج ٣: ص ٤٦، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج ٥: ص ٦٠٠.

٢٢- المصدران نفسهما والصحيفتان نفسهما.

٢٣- كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر: الشيخ أبو القاسم علي بن محمَّد بن علي الخزّاز القمي الرازي، ص٨٩.

٢٤- غُرَرُ الحِكم ودُرَرُ الكلِم: الشيخ عبد الواحد بن محمَّد التميمي الآمدي، ص٢٣٣.

٢٥- الفصول المهمة في معرفة الأئمَّة: علي بن محمَّد أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ، ص١٤٢، وغرر الحكم ودرر الكلم: ٩٩.

٢٦- أمالي الطوسي: الشيخ الطوسي، محمَّد بن الحسن بن علي بن الحسن، ص٤٢. وميزان الحكمة: محمَّد الريشهري، ٢/ ١٤٠٠.

٢٧- ميزان الحكمة: محمَّد الريشهري، ج ٢ / الصفحة ١٤٠٠.
٢٨- سنن الترمذي: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، ٥/ ٢٨ .
٢٩- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ج١، ص٦٦.
٣٠- غرر الحكم ودرر الكلم، ٨٢.
٣١- نور الأبصار في مناقب الأئمَّة الأطهار: مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، ص١١٠.
٣٢- (سورة النحل، الآية ٤٣).
٣٣- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر،ج١،ص٢٠٩.
٣٤- بحار الأنوار: المجلسي، ٤٠ / ١٩٠ .
٣٥- فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ٦٤٦ .
٣٦- ميزان الحكمة: محمَّد الريشهري، ج ١ / ٤٠٢ .
٣٧- مستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي ج٨، ص٣٢٨ .
٣٨- بحار الأنوار: العلاَّمة المجلسي،ج ١، ص١٦٠ (مصدر سابق)
٣٩- موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي، ج ١٢/ ص٦٠
٤٠- نهج البلاغة (خطب الإمام علي)عليه السلام، ج ٤/ ص ٣٦ .
٤١- الأئمَّة الاثنا عشر، السيِّد محسن الحكيم، مؤسَّسة الإمام الحسين وحدة البحوث والكتابات، النجف الأشرف، ٢٠١٢م، ص٣٧.
٤٢- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ج٤، ص٤٠٩.
٤٣- تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمَّد الحسن بن علي بن شعبة الحراني، ص١٧٠.
٤٤- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، ج١،ص١٧٨، مصدر سابق
٤٥- جامع أحاديث الشيعة: السيِّد البروجردي، ج ١، ص ٧٥
٤٦- الاختصاص: الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي، ص٢٨١.
٤٧- أعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ص٢٢٣.
٤٨- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥، الصفحة ٧٦
٤٩- أصول الكافي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٦
٥٠- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر،ج٢،ص١٧٧
٥١- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، ص٧٧٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الاحتجاج: العلامة أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،٢٠١٦م.

الاختصاص: الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، ومحمود الزرندي، دار المفيد، بيروت،١٩٩٣م.

الإسلام يقود الحياة، الشهيد محمَّد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر انتشارات دار الصدر، قم المقدسة،١٤٢٩هـ.

أصول الكافي: ثقة الاسلام أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ)، شرحه، وصححه، وعلق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات: دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٨هـ.

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،٢٠١١م.

أعيان الشيعة، العالم الكبير السيِّد محسن الأمين العاملي المتوفى سنة١٣٧١هـ، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت،١٩٨٣م.

أمالي الطوسي: الشيخ الطوسي: محمَّد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة ت٤٦٠هـ، منشورات: مؤسَّسة البعثة، قم المقدسة،١٤١٤هـ.

الأئمَّة الاثنا عشر، السيِّد محسن الحكيم، مؤسَّسة الإمام الحسين -وحدة البحوث والدراسات، النجف الاشرف، ٢٠١٢م .

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: محمَّد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، منشورات:مؤسَّسةالوفاء،بيروت،٢٠١٧م.

تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمَّد الحسن بن علي بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع الهجري، منشورات: مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- ١٩٦٩م.

التربية الإسلاميَّة أصولها وتطورها في البلاد العربية: محمَّد منير مرسي، منشورات: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة: السيد حسين البروجودي، والحاج الشيخ إسماعيل المعزي الملايري، منشورات مطبعة المهر – قم، تاريخ الطبع: ١٣٧٣ هـ ش - ١٤١٥ هـ.

جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، منشورات: دار ابن الجوزي، الرياض،١٩٩٤م.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق محمَّد عجاج الخطيب، منشورات: مؤسَّسة الرسالة، بيروت،١٩٩٦م، الجزء الأول.

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه:

لجنة من الجامعيين، منشورات: مؤسَّسة المعارف، بيروت.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت٦٩٤هـ)، منشورات: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

الزواج في ظل الإسلام: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، منشورات: دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

سنن الترمذي: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الجزءان: (ج ٤، و٥)، منشورات: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي المدائني (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل ابراهيم، منشورات: دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

عُدَّةُ الدَّاعي ونَجاحُ السَّاعي، جمال الدين أحمد بن محمَّد بن فهد الحلي (ت٨١٤ هـ) ـ، منشورات: دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٥م.

غُرَرُ الحِكَم ودُرَرُ الكلِم: الشيخ عبد الواحد بن محمَّد التميمي الآمدي (ت٥١٠هـ)، منشورات: دار الهادي، بيروت، ٢٠١٥م.

الفصول المهمة في معرفة الأئمَّة، علي بن محمَّد أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ، حققه ووثق أصوله وعلق عليه سامي الغريري، منشورات: دار الحديث، قم المقدسة، ١٣٧٩هـ.

فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمَّد عباس، منشورات: مؤسَّسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، منشورات: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر: الشيخ أبو القاسم علي بن محمَّد بن علي الخزّاز القمي الرازي، تحقيق وتعليق: الشيخ محمَّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق بكري أمين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

مستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، منشورات: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ.

مشكاة المصابيح، محمَّد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألباني، منشورات: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، منشورات: دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٣م.

من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، منشورات: مؤسَّسة الأعلمي، بيروت،٢٠١٣م.

موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي، شبكة الفكر، منشورات: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ، الجزء: الثاني عشر.

موسوعة العقائد الإسلاميَّة في الكتاب والسنة: الشيخ محمَّد الريشهري، منشورات: مؤسَّسة دار الحديث العلميَّة الثقافية مركز الطباعة والنشر، قم المقدسة١٤٢٥هـ.

ميزان الحكمة: محمَّد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، منشورات: قم المقدَّسة، الطبعة: الأولى (د.ت).

الميزان في تفسير القرآن: السيد محمَّد حسين الطباطبائي، منشورات: مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٤١٧هـ.

نهج البلاغة (خطب الإمام علي)، تعليق: السيد محمَّد الحسيني الشيرازي، إعداد: عبد الحسن دهيني، منشورات: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع- بيروت (د.ت)، الجزء: الرابع.

نور الأبصار في مناقب الأئمَّة الاطهار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي (ت١٨٩٠م)، منشورات: مؤسَّسة البلاغ المبين، قم المقدسة،١٩٨٧م.

القيم الإنسانيَّة
في فكر الإمام علي عليه السلام

أ.د. عهود حسين جبر

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

ملخَّص البحث

يُعدّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أعظم الشخصيات التي تركت أثرًا إنسانيًّا خالدًا في تاريخ البشريَّة، لما تميّز به من منظومة فكريَّة وأخلاقيَّة جمعت بين العلم والشجاعة والعدل والرحمة. وقد حظيت شخصيَّته باهتمام الأدباء والمفكِّرين والعلماء من مختلف الأديان والثقافات، لما جسَّده من قيمٍ إنسانيَّة عالميَّة تتجاوز الزمان والمكان.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الإنسانيَّة في فكر الإمام علي عليه السلام، وبيان كيف شكّلت رؤيته للإنسان محورًا في مشروعه التربوي والاجتماعي والسياسي؛ إذ نظر إلى الإنسان بوصفه قيمة عليا مكرّمة من الله تعالى، بغضّ النظر عن العرق أو الدين أو الانتماء.

يتناول البحث أبرز القيم الإنسانيَّة التي دعا إليها الإمام عليه السلام، ومنها العدل، والمساواة، والحريَّة، وكرامة الإنسان، وحفظ الدماء والأموال والأعراض، والرحمة بالفقراء والضعفاء. ويؤكِّد كذلك على أنَّ نهجه الإنساني ينبع من تربيته النبوية ووعيه العميق برسالة الإسلام؛ إذ جعل من العدالة الاجتماعيَّة والرحمة أساسًا لبناء مجتمع متوازن تسوده الأخوَّة والمحبَّة.

وتخلص الدراسة إلى أنَّ فكر الإمام علي عليه السلام يمثِّل أنموذجًا أخلاقيًّا عالميًّا يستلهم منه الإنسان المعاصر قيم التعايش والسلام والإنصاف، ويقدِّم حلولًا واقعيَّة لأزمات الإنسانيَّة الراهنة.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، القيم الإنسانيَّة، العدالة، المساواة، الحريَّة، الكرامة، الفكر الإسلامي، الأخلاق.

Abstract

Imam Ali (peace be upon him) holds a distinguished position both in ancient times and in our present era. He has been the subject of significant attention, with writers, thinkers, and scholars from various religions -Muslims and Christians, Arabs and non-Arabs - having written about him This reflects the extent of his influence and the humanistic dimension of his personality.

His character was marked by unparalleled qualities. He possessed attributes and characteristics that defy description. Alongside his eloquence, rhetoric and intelligence, he possessed a courage that surpassed all imagination. He feared no blame in the cause of truth. He believed in the Messenger of Allah, Muhammad (peace and blessings be upon him and his family), from a young age and supported him in all stages of his mission. Our noble Prophet (peace and blessings be upon him and his family) had unwavering faith in the personality of Imam Ali (peace be upon him), confident in his talents and bravery. Thus, he entrusted him with the most challenging tasks, certain of the Imam's ability to accomplish them to the fullest When discussing Imam Ali (peace be upon him), it is imperative to consider the humanistic values that characterized his personality, including ethics,-justice, and noble human principles that the Imam (peace be upon him) derived from the Prophet (peace and blessings be upon him and his family).

This research explores the concept of humanity in the thought of Imam Ali(peace be upon him). It examines the features of Imam Ali's (peace be upon him) personality and the most important milestones of his life The second section of the research focuses on his humanistic thought clarifying the principles of Imam Ali (peace be upon him) and how he viewed humanity as a supreme value, believing in human rights. These rights, particularly the right to freedom of belief and religion, are evident in his teachings.

المقدمة:

عند الحديث عن الأمام علي عليه السلام لابد أن نقف عند المعاني الانسانية التي لازمت شخصيته من أخلاق وعدل وقواعد انسانية نبيلة استقاها الإمام عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله .

وقد تميز بميزات قل نظيرها بين الخلق، فهو يملك من الصفات والخصال ما تعجز عن وصفها الالسن فهو الى جانب فصاحته وبلاغته وذكائه يملك شجاعة فاقت كل تصور، فهو لا يخاف في الحق لومة لائم، آمن برسول الله محمد صغيرا، وسانده في كل مراحل رسالته، وقد كان رسولنا الكريم مؤمن بشخصية الامام علي عليه السلام واثقا بمواهبه وشجاعته

هذا البحث يتناول القيم الانسانية في فكر الإمام علي عليه السلام وقد وقف البحث عند فكره الانساني مبينا مبادئ الامام علي عليه السلام وكيف نظر الى الانسان كقيمة عليا يؤمن بحقوقه، التمس هذه الحقوق في حريته فهو حر في معتقده ودينه ويشكّل الانسان المسلم وغير المسلم قيمة عليا عند الامام عليه السلام، إذ نجده يوجه بتنقية النفس البشرية من كل شرورها واطماعها ويدعو الى حرمة دم الانسان وماله وعرضه، وقد كان دم الأنسان وعرضه وماله محرم بغض النظر عن انتمائه وعرقه، وحقوقه المالية مكفولة وله الحق في التعليم، وكانت لبعض فئات المجتمع خصوصية في الحقوق كالجند والنساء وكبار السن والمرضى ولو عددنا الحقوق المكفولة عند الامام علي عليه السلام لطال بنا المقام .

كانت العدالة والمساواة بين جميع الافراد في مقدمة الحقوق التي أولاها الامام اهمية قصوى

تناولت في المبحث الاول: ملامح شخصية الامام علي عليه السلام وأهم محطات حياته ومكانته .

أما المبحث الثاني:

فقد تناول شخصية الامام علي عليه السلام وأثرها في بناء الانسان والمجتمع .

أمّا المبحث الثالث فقد اختص في دراسة حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام واقتضت الدراسة أن يقسم على مباحث فرعية هي:

أـ العدل والمساواة.

ب ـ التعايش السلمي مع الاخر والتسامح:

جـ حق الانسان في الحياة وحرمتها عند الامام عليه السلام د ـ حق الرعية على الحاكم .

هـ ـ حقوق الانسان في الحروب .

وقد ذكرت القيم الانسانية التي نادى بها الامام عليه السلام ودعا الى تطبيقها مقتصرة على بعض هذه القيم من دون تفصيلها لضيق مساحة البحث .

وفي آخر المطاف نقول: ربنا لا تحاسبنا ان نسينا او أخطأنا وأعفو عنا واغفر لنا، ارجو ان يكون هذا العمل في ميزان اعمالنا لخدمة النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الكرام عليهم السلام ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المبحث الاول

الامام علي عليه السلام ومكانته:

يحتل الامام علي عليه السلام مكانة متميزة في تاريخ الاسلام، في القديم وفي عصرنا الحاضر، لقد كان موضع اهتمام كبير وقد كتب عنه الادباء والمفكرون والعلماء من مختلف الأديان من المسلمين والمسيحين، من العرب والاجانب مما يعكس مدى أثره والبعد الانساني في شخصيته .

عاش الامام في كنف النبي عليه الصلاة والسلام وتشرب من صفاته وأخلاقه، وربما كانت لله سبحانه وتعالى حكمة في ان يقتبس الامام من النور المحمدي ليبقى هذا النور مشعا على مر العصور .

قال الامام مبينا أثر شخصية النبي بشخصيته وكيف انه استمد منه الاخلاق والعلم وقد كان ملازما للنبي صلى الله عليه وآله لا يفارقه أبدا .

فقد كلف النبي صلى الله عليه وآله الإمام بأصعب المهام، وكان على يقين من قدرته على تنفيذها بكفاءة عالية.

في اليوم الذي قرر فيه الرسول الكريم الهجرة إلى يثرب، اجتمع زعماء قريش في دار الندوة وتوافقوا على خطته لاغتياله. قاموا بتجميع شاب قوي من كل قبيلة وأمروا هؤلاء بالانتظار أمام باب بيته لضربه ضربة واحدة، لتتوزع دمه بين القبائل حينها، نزل المَلَك جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله ليخبره بمؤامرة قريش لقتله[1]

طلب الرسول صلى الله عليه وآله من الإمام علي عليه السلام أن ينام في فراشه ويغطي نفسه ببرده الأخضر وبذلك كان مصير خطة قريش الفشل والاحباط، وقد ذكر ابن الاثير ذلك في كتابه الكامل، فقال ابن الاثير قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (نم على فراشي واتشح ببردي الاخضر)[2]

ورغم هذه المكانة والقرب من النبي الا ان أعداءه حاولوا تشويه سمعة الامام وتشويش صورته

وهذه من البديهيات التي يعرفها كل باحث منصف وذي بصيرة، وعملية تشويه لتجربة الإمام علي بن أبي طالب الانسانية من خلال عدة طرق ولعدة اغراض، فمن جهة سعى خصومه السياسيون الى طمس حقيقة شخصية الإمام، وخصوصا ما ارتكبه معاوية بن أبي سفيان وانصاره وولاته[٣] وقد استمر هذا التشويه الى وقتنا الحاضر بصورة ممنهجة في السر والعلن .

المبحث الثاني

شخصية الامام علي عليه السلام وأثرها في بناء الانسان والمجتمع:

الامام علي عليه السلام شخصية فريدة ومتميزة في التاريخ الاسلامي ولا يمكن مقارنتها بشخصية اخرى بعد النبي صلى الله عليه وآله، .وقد تركت أثرا كبيرا وعميقا في الفكر الانساني، (وقد استأثر الامام علي عليه السلام بقسط كبير من اهتمام المؤرخين والباحثين في شتى صنوف المعرفة.. ولم يكن هذا الاهتمام الكبير الا انعكاسا لما تركه من آثار ومعطيات على صعيد مادي ومعنوي)[٤] كان الامام عليه السلام فيلسوفا وحكيما يملك رؤية شاملة للحياة اذ كان يدرك اسرار الكون وأحوال البشر ويقدم فهما عميقا للقرآن الكريم واكتشف أسراره وخفاياه فكانت افكاره ورؤاه تعكس روح القرآن وتعلياته و قد لزم الامام عليه السلام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فكان منبعا ثانيا للمعرفة والفهم، يقول الامام عليه السلام: **(فما نسيت حديثا أو شيئا سمعته من رسول الله)**[٥]

وبذلك، كانت جميع أقوال الإمام وأفعاله مستندة إلى الشريعة الإسلامية ومبادئها السامية وتعاليم القرآن والسنة النبوية الكريمة. لقد تجلت هذه العناصر مجتمعة في شخصه، مما أسهم في تشكيل نظام معرفي متكامل في فكر الإمام عليه السلام .[٦]

كل هذه المعرفة والفهم كانت مقرونة بذكاء فائق ورؤية ثاقبة، فكان يستحق ان يقال عنه إمام البلاغة والفصاحة فن تجسيدا لمفهوم الاسلام في جميع جوانبه اذ كان يمع بين العلم والعمل والتقوى والرحمة، وقد كان الامام عليه السلام يؤمن بأهمية التطبيق العملي للقيم

والمبادئ حيث كان يطبق ما يؤمن به في حياته الشخصية ويقدم قدوة صالحة للآخرين :(**من نصب نفسه على الناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه**)[٧] وحث عليه السلام الى كل ما يرتقي بالإنسان بدءا بتنوير عقله بالعلم والمعرفة، والى بذله وإفادة الناس منه فزكاة العلم نشره، وبهذه الاقوال والوصايا الثمينة، يسعى الامام الى إصلاح الناس وإرشادهم الى الطريق الصحيح.

(إنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يمتلك تصورًا فريدًا حول حقوق الإنسان، يتميز بالعمق والشمولية. يمكن تطبيق هذا التصور بشكل عملي، مما يتيح الاستفادة منه في معالجة قضايا حقوق الإنسان في واقعنا المعاصر.)[٨]

لقد حرص الامام علي في كل اقواله وافعاله الى تقويم الانسان وسيره على الطريق الصحيح اذ كان يعتبر ان صلاح المجتمع يعتمد على صلاح ابنائه ومن ثم كان يركز على تصحيح مسار المجتمع ككل من خلال تعليم وتوجيه الافراد (وقد أراد الامام عليه السلام إصلاح أمور المجتمع وفق المعايير الشرعية والضوابط الدينية في علاقات الناس ببعضهم ولذلك اتبع أسلوبه الاسلامي الاخلاقي الخاص فهو لا يقدم على أمر خارج حدوده)[٩]

كان الامام عليه السلام يؤكد على ان الابتعاد عن الانانية وحب الذات هو اساس علاقة صحية بين الافراد وبالتالي كان يؤكد على أهمية التخلي عن هذه الصفات لتحقيق التضامن والتعاون بين الافراد وأن يضع نفسه في مكان الاخرين فيحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، وقد ذكر ذلك في وصيته لابنه الحسن عليه السلام فقال (**يا بني اجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، واحسن كما تحب أن يحسن اليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه لغيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك**)[١٠] وقال الامام ايضا في في هذا السياق: (**كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك**)[١١] وقال **ايضا**: (**وكفى أدبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك**)[١٢]

المبحث الثالث حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام

أـ العدالة والمساواة:

العدالة هي مبدأ أساسي في فكر الامام علي عليه السلام وتعني توزيع الحقوق والواجبات بشكل عادل بين أبناء المجتمع، وقد طبق الامام العدالة في جميع مفاصل الدولة عندما تولى الحكم، وكان من ضمن شروطه عندما يولي واليا ان يكون من أول صفاته العدالة، من ضمن تحديده مجموعة من الصفات التي تتوافر في شخصية الوالي ومن أهمها (العدل والصدق والامانة)[١٣] وكان منهجه توزيع موارد الامة وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية، وقد اتبع الامام عليه السلام مبدأ المساواة في العطاء من دون النظر الى أية ميزات بين أبناء المجتمع الواحد حتى أنه ألغى إعطاء المجاهدين مع الرسول أكثر من غيرهم إذ (رأى إن التقوى والسابقة في الاسلام والجهاد والصحبة للرسول لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا وإنما لتلك المزايا ثوابها في الاخرة)[١٤]

وقد بذل الامام جهداً كبيراً في هذا المجال (وقد وقف حاملا خطى التصحيح لكل ما فسد على وجه الخصوص في الجانب الاقتصادي بإرجاع كل ما أخذ من خزينة الدولة من دون وجه حق)[١٥] وقد اتخذ خطوات عملية فور توليه الحكم وأول هذه الخطوات استرداد الهبات والاموال التي أعطاها عثمان للناس من دون وجه حق، وقد أوضح ذلك في خطبة له في اليوم التالي لبيعته فقال عليه السلام: (الا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شيء، والله لو وجدته تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق)[١٦]

ولم يكن امير المؤمنين عليه السلام يتنازل عن تطبيق العدالة مهما كانت الصعوبات والنتائج، حتى لوكان على حساب مصالحه الشخصية .

وقد حاول الامام عليه السلام جاهدا أن يغير من تلك الافكار الانتهازية المادية التي سيطرت على عقول بعض الناس في ذلك الوقت مبتعدة عن تلك القيم النبيلة التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف، ومنها ردّه عليه السلام على اولئك الذين يدعونه الى استغلال أموال بيت المال لمصالحه الخاصة وإعطائها لأصحاب النفوذ في ذلك الوقت لتثبيت حكمه وتوطيده فقال عليه السلام: (أتأمروني أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه... و لوكان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله)[١٧]

يتضح أن الامام كان (لا يعطي في غير موضع للعطاء ولا يشتري الطاعة بالمال ولا يحب أن يستقيم أمر المسلمين على الرشوة)[١٨]

ب ـ التعايش السلمي مع الاخر والتسامح:

التعايش السلمي والتسامح هما من القيم الاساسية التي تهف الى تعزيز الفهم المتبادل بين الافراد والمجتمعات المختلفة، من دون وجود صراعات أو عنف، والتسامح هو القدرة على تحمل الآراء والمعتقدات دون ان يؤدي ذلك الى التوتر او الصراع، ومن امثلة التعايش السلمي التعايش بين الاديان ومنها ايضا تقبل الآراء والمعتقدات السياسية المختلفة .

وقد أرسى النبي محمد صلى الله عليه وآله القواعد الاساسية لبناء مجتمع آمن يعمه السلام والتفاهم بين أبنائه، وقد سار الامام علي عليه السلام على نفس الخطى في خدمة المجتمع الاسلامي، وقد كانت (**قراءة الامام علي عليه السلام** للمجتمع قراءة واقعية تتسم بقدرته الفائقة وعمله الدؤوب على خلق حالة الامن الاجتماعي، وعمله الدؤوب على ايجاد التعايش السلمي قبل كل شيء إيماناً منه عليه السلام بأن الانسان يتأثر بالعديد من العوامل المحيطة به خلال حياته، والتي اهمها مجتمعه الذي ينتمي اليه والناس الذين يعيش معهم.[١٩]

إنّ الحريات مصونة، كحرية العقيدة والعبادة وحق الأمن، فحرية الدين مكفولة، للمسلمين دينهم وللآخرين من غير المسلمين دينهم، قال تعالى :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠]

وعندما تولى الامام علي عليه السلام قيادة الدولة الاسلامية أمر ولاته بالتسامح مع الاديان الاخرى والتعامل معهم بالسماحة والرحمة، وقد كانت رسالته الى مالك بن الاشتر وثيقة انسانية رائعة دعا فيها الامام علي عليه السلام الى انبل الصفات الانسانية وأرفعها.

ووقد بيّن الامام عليّ عليه السلام أن التعامل مع الناس في الدولة الاسلامية يجب أن يكون بالرحمة والعفو والتسامح، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في عهده لمالك الأشتَرِ لمّا وَلّاهُ مِصرَ بقوله: (**وأشعِرْ قَلبَكَ الرَّحمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والمَحَبَّةَ لَهُم، واللُّطفَ بِهِم، ولا تَكونَنَّ عليهِم سَبُعاً ضارِياً تَغتَنِمُ أكلَهُم؛ فإنَّهُم صِنفانِ: إمّا أخٌ لَكَ في الدِّينِ، أو نَظيرٌ لَكَ في الخَلقِ، يَفرُطُ مِنهُمُ الزَّلَلُ، وتَعرِضُ لَهُمُ العِلَلُ، ويُؤتى على أيديهِم في العَمدِ والخَطأِ، فأعطِهِم مِن عَفوِكَ وصَفحِكَ مِثلِ الّذي تُحِبُّ وتَرضى أن يُعطِيَكَ اللهُ مِن عَفوِهِ وصَفحِهِ، فإنَّكَ فَوقَهُم، ووالِي الأمرِ علَيكَ فَوقَكَ، واللهُ فَوقَ مَن وَلّاكَ**)[٢١]

ج ـ حق الانسان في الحياة وحرمتها عند الامام عليه السلام:

الانسان افضل ما وجد على وجه الارض كرمه الله سبحانه وتعالى على جميع خلقه، وكانت للأمام رؤية شمولية وعميقة وواقعية للحفاظ على ان يعيش الانسان حياة كريمة، وكان يدرك الابعاد المختلفة لحياة الانسان ويعالجها بمنظور اسلامي متكامل فلم يدعو يوما الى انسحاب الانسان من الحياة بحجة العبادة، او دعا الى ترك العمل بدعوى عدم اهمية الدنيا، فهناك موازنة بين دنيا الانسان وآخرته وافضل كلمة قالها الامام بهذا الصدد) اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)[٢٢]

ووفقا للفكر العلوي، فان الحياة قيمة عليا تتغلب على الموت، وان أي اعتداء لازهاق حياة انسان، وبغض النظر عن ماهية ذلك الانسان، هو اعتداء على الارادة الإلهية الموجدة والمانحة الوحيدة للحياة من جهة وجريمة بحق الإنسانية جمعاء،

وسلب لحق اساسي من حقوق الإنسان الا وهو (حق الحياة) من جهة اخرى، لذا فان الإمام نظر الى القتل بانه جريمة كبرى[٢٣]، فيقول عليه السلام: (ان من الكبائر الكفر بالله، وقتل النفس)[٢٤]

بل ان الإمام وقف بالضد من التهديد باستخدام القتل وما دونه من تعذيب واهانة وما شابه من وسائل انتقاص الانسان وتحت أي ذريعة ليقر بذلك (حق الامن) للمجتمع، فقد اشار عليه السلام، إلى أن من سلبيات مجتمع الجاهلية، قبل عهد الرسالة الإسلامية، هو تفشي ظاهرة انعدام الامن وشيوع سفك الدماء فيتوجه بخطابه الى العقول اين ما كانت او وجدت[٢٥]

فيقول: "آن االله نذيرا للعالمين واميناعلى التنزيل وشهيدا على هذه الامة، وانتم يا معشر العرب على غير دين بعث محمدا وفي شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون اولادكم، وتقطعون ارحامكم"[٢٦]

ولم يفرق الامام عليه السلام بين دماء المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة فهم لديه على حد سواء فقال: (دم المسلم كدم الذمي حرام)[٢٧].

وقد حذر الامام عليه السلام من إراقة الدماء بغير حق ويقول في عهده لمالك بن الاشتر: (إياك وسفك الدماء بغير حلها....ولا عذر عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن)[٢٨]

د ـ حق الرعية على الحاكم

لم يترك الامام علي عليه السلام أي جانب أو تفصيل في حياة المجتمع من دون ان يعالجه بالتنظير ووضع الاسس والقوانين التي تتوافق مع تعاليم الاسلام مما يشكل إطارا شاملا لتنظيم حياة المسلمين، ومنها حقوق الناس على الحاكم ومن أهمها حق المساواة في العطاء بين الناس وقد طبق الامام هذا المبدأ على نفسه قبل غيره، فما ان تسلم الامام عليه السلام السلطة حتى تغيرت الامور، وكان من اولوياته تغيير الواقع الاجتماعي

الجديد والرجوع الى ما أقره النبي الكريم في المساواة بين ابناء المجتمع من المسلمين وغير المسلمين .

(كان الامام علي عليه السلام يحكم بما أنزل الله، وكان يوصي عماله بالحكم بذلك فكان يرى ان الحاكم مقيد بعدد من القيود الشرعية، التي لا يمكنه التنكر لها مهما كانت الظروف)[٢٩]

وقد حرص الامام عليه السلام عندما تولى الخلافة على المساواة بين المسلمين في العطاء ولم يفضل احدا على احد لأي سبب، وقد اتبع الامام عليه السلام مبدأ المساواة في العطاء من دون النظر الى أية ميزات بين أبناء المجتمع الواحد حتى أنه الغى إعطاء المجاهدين مع الرسول أكثر من غيرهم إذ (**رأى إن التقوى والسابقة في الاسلام والجهاد والصحبة للرسول لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا وإنما لتلك المزايا ثوابها في الاخرة**)[٣٠]

و من كلام له عليه السلام لما عاتبوه على التسوية في العطاء و تصييره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات و الشرف قال: (**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ اَلنَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَ اَللَّهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِي اَلسَّمَاءِ نَجْماً وَ لَوْ كَانَ اَلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا اَلْمَالُ مَالُ اَللَّهِ**)[٣١]

ويبدو أن الامام عليه السلام كان يرسل رسالة واضحة الى الناس بأن صاحب السلطة وضع في هذا المنصب من أجل خدمة الناس وتحقيق مصالحهم وليس من اجل التسلط عليهم او تحقيق مصالحه الشخصية وكانت سياسته المساوة بين الجميع، (فلم يكن عليه السلام يفضل شريفا على مشروف، ولا عربيا على أعجمي ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل ولا يستميل أحدا الى نفسه وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس عليا والتحقوا بمعاوية)[٣٢]

إنّ هذا الإصرار على تحقيق العدالة وعدم التمييز بين الناس في سياسة الامام علي عليه السلام وكان الامام يطبق الشريعة بشكل عادل، والمساواة بين الناس في العطاء شق هذا التصرف على بعضهم، ولم يعجب الكثيرين منهم، وهو الذي أثار سخطهم، فتآمروا لا زاحته، وهو ما عبر عنه عبدالله بن عباس الى الحسن بن علي بعد استشهاد الإمام عليه السلام فقال: **(وأعلم أن عليا أباك إنما رغب الناس عنه الى معاوية لأنه آسى بينهم في الفيء وسوى بينهم في العطاء فثقل عليهم ذلك عليهم)**[٣٣]

وهذا الامر بالذات هو الذي ألب الامور على الامام وجعل الناس يخرجون لقتاله بتحريض من أصحاب المصالح الذين تضرروا بسبب عدالة الامام ومساواته بين الناس، فهم يرفضون هذه المساواة ويريدون عطاء متميزا يفرق بينهم وبين الاخرين، الى جانب أطماعهم في السلطة وعلى رأسهم معاوية الذي رفض التنحي عن سلطته في ولاية الشام .

وقد كانت رسائله الى الولاة من الوثائق المهمة التي وضعت الاسس والقوانين التي تنظم العلاقة بين صاحب السلطة والرعية، ومنها رسالة الامام علي عليه السلام الى مالك بن الاشتر، ومن اهم ما جاء بهذه الرسالة، تحميل الحاكم مسؤولية حل مشكلة الفقر فان الحاكم مسؤول أمام الله عن حل هذه المشكلة، وتحقيق حياة كريمة ومستقرة للرعية .

وقد شدد الامام علي عليه السلام على حق الرعية في ان يستمع الحاكم الى حاجاتهم ولاسيما الفقراء والمستضعفين منهم وحل مشاكلهم وتخصيص أموال من بيت أموال المسلمين لهم، موضحا ان الانشغال والتكبر على الفقراء والمستضعفين يؤديان الى ضياع فرصة التواصل معهم . ومن خلال هذا التأكيد يظهر الامام رفضه للنظام المستبد الذي يلازم الحكام في كل زمان ومكان ومما جاء في هذه الرسالة مخاطبا مالك بن الاشتر قوله: (الله الله فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ

الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ)[٣٤]

ومن أهم الموضوعات كذلك التي وضع لها الامام عليه السلام حجر الاساس ووقف عند تفصيلاتها ودقائقها، موضوع العلاقة بين الحاكم والرعية، وتعد السلطة من أخطر الامور التي تؤثر في حياة الناس بصورة مباشرة، فمهم جدا طريقة تعامل صاحب السلطة مع رعاياه، وقد كانت له وقفات مطولة عند الكيفية الي يتعامل بها أصحاب السلطة مع الرعية وقد توزعت أقواله في هذا الموضوع في رسائله الى ولاته وفي خطبه وفي كلامه عموما ما يشكل مصدرا غنيا ومهما لرؤيته الشاملة في هذا الموضوع، وأشد الحالات التي توقف عندها الامام كثيرا وأعطى الحلول لها هي الظلم والجور الذي يمارسه الحكام ضد الرعية، إذ كان الامام يعتبر الظلم والجور من أكبر الاخطار التي تهدد المجتمع ومن ثم كان يبذل قصارى جهده لمنع الظلم و نشر العدل والمساواة في المجتمع وقد وصل الامر الى اعطاء الحق للناس بالثورة والخروج على الحاكم الظالم (في حالة المساس بالشريعة الاسلامية أو ظهور حالة الاستبداد والظلم من قبل الحكام إزاء الأمة وتبديد حقوقها نتيجة ضعف الوعي والأداء السياسي والإداري، فإن الامام يمنح الحق للامة بأفرادها ومجموعها بالتصدي للحكومة واخطائها لحق المعارضة وبصورة تدريجية حتى تصل الى الثورة المسلحة للقضاء على الظلم والطغيان وذلك استناداً الى مبدأ تجسيدا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أولاه الامام أهمية متميزة على الصعيدين النظري والعملي)[٣٥]

امتازت الرؤية العلوية لحقوق الإنسان بإبراز حق ضمانة ضبط الحكام وذلك لأهمية منصب الحاكم وتأثيره الواسع في المجتمع، لاسيما مع عظم المهمات الملقاة على عاتقه والمتمثلة بالواجبات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . لذا دعا الامام الى ضرورة ان يشغل المنصب الانسان الذي يتميز بجملة من الصفات لعل من ابرزها معرفة الاسلام وحسن تطبيقه، والعدالة، والوعي السياسي، والصفات الشخصية الحميدة[٣٦]

هـ ـ حقوق الانسان في الحروب:

لقد تشرب الامام من خلق النبي ﷺ واتخذ خطواته مثالا له في مسيرته، فمن الامور التي درج عليها النبي ﷺ هو استشارة اصحابه في الامور المهمة خاصة في الحروب، ولم يكن الامام علي عليه السلام ببعيد عن هذا السلوك، إذ لم يكن متفردا برأيه وانما كان معتمدا مبدأ التشاور مع أصحابه في اتخاذ القرار وبخاصة المصيرية منها التي تحدد مستقبل الامة، فعندما اراد المسير الى المواجهة مع جيش الشام الذي قاده معاوية دعا اليه من كان معه من أصحابه من المهاجرين والانصار فحمد الله واثنى عليه وقال: **(أما بعد فإنكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مباركو الأمر مقاويل بالحق وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم. فقام هاشم بن عتبة وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن حنيف فصوبوا رأيه وبذلوا إليه نصرته)**[٣٧]

ويعد هذا السلوك مع اصحابه من اهم صفات القائد الناجح فهو من جهة يثق بأتباعه وبرجاحة عقولهم وسداد آرائهم، ومن جهة أخرى يبث فيهم الروح المعنوية العالية ويعزز شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم .

لم يكن الامام عليه السلام متحيزا لاحد او لديه مشاعر سلبية نحو جهة او جماعة، فالمتحكم الوحيد في سلوكه نهج الحق فلم يحكم يوما عواطفه ورؤاه المسبقة في حكمه في اية قضية. وقد استطاع كذلك ان يبتعد عن أي تحيز او انفعال وتطلع الى أن الموضوعية سبيله والحيادية شعاره.

كان الامام حريصا على أمن الناس وحياتهم، وقد وجدنا الامام عليه السلام يقاتل الخوارج – مع كرهه للحرب ـ لأنه وجد فيهم مهددا لأمن البلاد والعباد، وقد اتخذوا نهجا في العبث بأمن البلاد واشاعة الفوضى .

وقدة اباح هؤلاء دماء المسلمين، ومن ابرز تلك الحوادث التي أثارت الامام ضد الخوارج، حادثة مقتل الصحابي ابن خباب وزوجته بطريقة وحشية وبشعة بعد ان طلبوا منه ان يعطي رأيه بالأمام علي عليه السلام، قبل التحكيم وبعده؟ قال: (أقول إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقيا على دينه، وأنفد بصيرة.فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على اسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا فأخذوه وكتفوه)[٣٨] .

إن قتل الصحابي ابن خباب وزوجته، بهذه الطريقة الهمجية جعلت الامام لا يتردد في محاربتهم والقضاء عليهم لأنه وجدهم مفسدين في الارض لا يتورعون في سفك دماء المسلمين، فكان مقتل الصحابي ابن خباب هو الذي اشعل الشرارة الاولى في معركة النهروان التي قضى فيها الامام على معظم الخوارج ولم يبق الا القليل منهم.

والعجب كل العجب من صبره على أعدائه وكيف كان يتعامل معهم وقت السلم ووقت الحرب

إذ كان يفتح ابواب الحوار لا يجاد الحلول السلمية بدل الحرب وسفك الدماء، او لم يجبر الامام أحدا لالتحاق به، وبذلك يكون الامام من اوائل المطبقين للديمقراطية في سياسته، (**فلم يلجأ الى قهر مادي أو معنوي فالقهر مناف لأصول النظرة العلوية الى الحرية**)[٣٩]

كان الامام علي عليه السلام يفضل السلم والسلام على الحرب والقتال، إذ كان يعتبر الحرب آخر خيار بعد ان تفشل جميع محاولات السلام، فإذا نشبت الحرب لم يتخل الامام عن أخلاقه وقيمه، أخلاق الفارس النبيل ـ رغم القسوة في الحروب والشراسة وكان في جميع حروبه يلزم جنده واتباعه في المعاملة الانسانية والاخلاقية مع اعدائه بعد الانتصار عليهم، وبخاصة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه من الجرحى والضعفاء

والذي لا يريد القتال ويغادر ساحة المعركة، قال الامام علي عليه السلام: (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح)[٤٠]، وبهذا اسس الامام عليه السلام قاعدة اساسية في العدالة الانسانية وهو عدم استعمال القوة ضد من يعجز في الدفاع عن نفسه مما يعكس تقديره العالي لحرمة الدماء وكرامة الانسان .

ونهى ايضا عن سب الاعداء وشتمهم لا نها ليست من صفات المسلمين، وقد نهى اصحابه سب الجنود الشاميين في معركة صفين وقد اوجد لهم الذي هو افضل من السب وهو الدعاء ليحقن الله دماءهم ودماء اعداءهم وعودة الصلح والسلام بينهم بدلا من العداء .

قال الامام عليه السلام: (إني أكره لكم ان تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم)[٤١]

الخاتمة:

- الانسان ابن بيئته التي يعيش فيها، فالإمام تربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله استقى من علمه وخلقه فلا نعجب اذا رأينا الامام علي عليه السلام بهذه الصفات الفريدة وهذا العلم الواسع وهذه الشجاعة الفائقة التي لا نظير لها .
- وكان لابد للباحثين من أنّ يقفوا متأملين فكر الامام علي عليه السلام الذي يصلح لكل عصر والافادة منه بما يتلاءم مع قضايا عصرهم وما يجري في وقتهم الراهن من أمور، ولاسيما بعد الهجمة الشرسة ضد الدين الاسلامي و ما وفد الينا من أفكار هدامة تحاول أن تسيء اليه .
- كان الامام علي عليه السلام يهدف من خلال تعاليمه وأقواله الى بناء شخصية الانسان المسلم الصالحة، ومن ثم انشاء طبقة ومسؤولة في المجتمع تقوم بدور إيجابي في تحقيق العدالة والاستقرار .
- لم يكن الامام علي ليبدأ قتالا، فقد كان يكره ان تراق دماء الناس، الافي حال تهديد حياة الرعية وأمنهم، وقد أجبر في المعارك التي خاضها على ولاسيما معركته في النهروان ضد الخوارج على قتالهم بما أظهروه من سلوك مشين وعدوانية اتجاه المسلمين .
- يختلف الامام علي عليه السلام عن بقية أصحاب السلطة في توجهه وأهدافه، فليست السلطة هي أول همه ولكن مصلحة الرعية ومداراتها كان يحتل اوليات تفكيره .
- لقد كان الامام علي عليه السلام منطلقا من تعاليم وأحكام إلهية كان يطبقها في أثناء حياته وفي حكمه، فالأمام علي عليه السلام كان امينا في تنفيذ الرسالة المحمدية المنزلة من السماء.
- ويمكن الاستفادة من هذه رؤية الامام للقيم الانسانية لمعالجة اشكالية حقوق الانسان في وقتنا الحاضر الذي تفاقمت فيه الاشكالات بمختلف اصنافها وغمطت الحقوق، واختلطت الامور فما أحوجنا اليوم الى عدالة الامام وحزمه .

الهوامش

١- ينظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٨٢

٢- الكامل في التاريخ: ١/ ٦٩٥

٣- ينظر: معاوية بن أبي سفيان (في الكتاب والسنة والتاريخ): ٢٢٠ - ٣٨

٤- علي كما وصف نفسه: ٥.

٥- أنساب الاشراف: ١/ ١٢١.

٦- ينظر الامن الفكري في نهج البلاغة: ١٥١ .

٧- قصار الحكم: ٧٣.

٨- حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام: ٧

٩- الامام علي والقيم الانسانية لكوثر شاهين: ٢٥٦.

١٠- نهج البلاغة:٤٢٢.

١١- المصدر نفسه: ٥٥٤.

١٢- قصار الحكم: ٣٦٥ .

١٣- المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام عليه السلام لمالك بن الاشتر : ٣٧

١٤- المصدر نفسه: ٢٩

١٥- الانسكلوبيديا العلوية: ١/ ١٣٩.

١٦- نهج البلاغة: ٦٥. .

١٧ - شرح نهج البلاغة: ٨ / ٨٧ .

١٨- المنطلقات الانسانية : ٢٢

١٩- مبادئ التعايش السلمي عند الإمام علي عليه السلام (رؤية تربوية اجتماعية، د . نجم الموسوي

٢٠- البقرة: ٢٥٦

٢١- شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٣٦

٢٢- غرر الحكم للأمام علي عليه السلام، الحديث ٣٣١١.

٢٣- حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام: ٤١.

٢٤- منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان: ٢/ ٣٥٢.

٢٥- حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام: ٥٧

٢٦- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ١ / ١٧٤ .

٢٧- نهج البلاغة: ٥١٥

٢٨- المصدر نفسه: ٤٦٣.

٢٩- الامام علي عليه السلام ومشكلة الحكم: ١١٠.

٣٠- المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام عليه السلام لمالك بن الاشتر : ٢٩ .
٣١- نهج البلاغة: ٢١٤.
٣٢- شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٥٧
٣٣- نهج البلاغة: ٤١٢.
٣٤- شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٥ـ ٦٧.
٣٥- حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام: ٤٨٠
٣٦- المصدر نفسه: ٤٧٩
٣٧- الكامل في التاريخ لابن الاثير: ٣/ ٣٤٢.
٣٨- تاريخ الرسل والملوك للطبري: ٥/ ٨١.
٣٩- الامام علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية: ١٥٣.
٤٠- شرح نهج البلاغة: ٨/ ٧٣.
٤١- المصدر نفسه: ٦/ ١٦

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

الامام علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية، تأليف جورج جرداق، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط١، ١٤٢٤هـ .

الإمام علي عليه السلام والقيم الانسانية، تأليف كوثر شاهين، دار التعارف للمطبوعات ـ لبنان، ٢٠٠٤ م .

الامام علي عليه السلام ومشكلة نظام الحكم، د. محمد طي، مؤسسة دار الفقه الاسلامي ـ الجمهورية الاسلامية الايرانية ـ ط٣، ٢٠٠٥م.

بحار الأنوار، العلامة المجلسيّ، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ

حقوق الانسان عند الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، د. غسان السعد ط٢، بغداد، ٢٠٠٨م .

السيرة النبوية المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا إبراهيم الأبياري،، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر، ط٢، ١٩٥٥ م

شرح نهج البلاغة، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ٢٠٠٩م .

علي كما وصف نفسه للسيد طاهر عيسى درويش، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان ط١ ٢٠٠٤م .

غرر الحكم ودرر الكلم، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، مكتب الاعلام الاسلامي ـ قم، ١٩٨٧م.

الكامل في التاريخ لابن الاثير، دار الكتاب العربي، لبنان ـ بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

معاوية بن أبي سفيان (في الكتاب والسنة والتاريخ)، صاحب يونس، ط٢، بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٢م .

منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان، جمال الدين ابي المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد،، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري، (قم، جامعة المدرسين، د. ت) .

المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي عليه السلام الى مالك بن الاشتر، تأليف د خميس غربي حسين، العراق ـ كربلاء، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط ١،٢٠١٧ م

نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين لجامعه الشريف الرضي محمد ابن الحسين، تحقيق هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٠م .

مقالات على شبكة المعلومات:

مبادئ التعايش السلمي عند الإمام علي عليه السلام رؤية تربوية اجتماعية، د نجم

https://alhikmeh.org/yana-beemag/?p=3156 ا

التربية الأسريَّة في تراث آل البيت عليهم السلام وصيَّة الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام أنموذجًا

أ.م.د. غصون مزهر حسين

الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب

ملخَّص البحث

تُعدّ التربية الأسريَّة الركيزة الأساسيَّة لبناء المجتمعات السليمة، إذ تُسهم في تكوين شخصيَّة الفرد وغرس القيم الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة فيه منذ المراحل الأولى من حياته. وقد أولى آل البيت عليهم السلام عنايةً فائقة بهذا الجانب التربوي، فكان تراثهم زاخرًا بالتوجيهات والمبادئ التي تُجسّد منهج الإسلام في بناء الأسرة الصالحة. ويأتي تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا سيما وصيته لابنه الحسن عليه السلام، مثالًا ناصعًا للتربية الواعية المتكاملة التي تجمع بين العقل والوجدان والإيمان.

يهدف البحث إلى تحليل وصيَّة الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام من منظور تربوي، لاستخلاص المبادئ والقيم التي أرساها في مجالات العقيدة والأخلاق والسلوك الإنساني، مثل الاعتدال، والصبر، والصدق، وحسن المعاملة، وتحمل المسؤوليَّة. ويسعى أيضًا إلى بيان أثر هذه القيم في بناء الأسرة المتماسكة، وتربية الأبناء على الأسس الإسلاميَّة الصحيحة.

اعتمد البحث المنهج التحليلي الاستنباطي في دراسة النصوص التربويَّة الواردة في الوصيَّة، مبرزًا شموليَّة الرؤية التربويَّة في فكر الإمام علي عليه السلام، وملاءمتها لمتطلبات التربية الحديثة. وتخلص الدراسة إلى أنَّ وصيَّة الإمام عليه السلام تُعدّ منهجًا تربويًّا خالدًا يصلح لتنشئة الأجيال في كل زمان ومكان؛ لما تتضمنه من مبادئ إنسانيَّة وروحيَّة متوازنة تجمع بين عبادة الله وإعمار الأرض.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، الإمام الحسن عليه السلام، التربية الأسريَّة، آل البيت عليهم السلام، القيم التربويَّة، الأخلاق الإسلاميَّة

Abstract

Family education is regarded as the fundamental cornerstone for building sound and cohesive societies, as it plays a pivotal role in shaping the individual's personality and instilling moral and social values from the earliest stages of life. The Ahl al-Bayt (peace be upon them) devoted profound attention to this educational dimension, leaving behind a rich legacy of guidance and principles that embody the Islamic approach to constructing a righteous family. The legacy of Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), particularly his testament to his son al-Hasan (peace be upon him), stands as a remarkable model of conscious and integrated education that harmoniously combines intellect, emotion, and faith.

This study aims to analyze Imam Ali's (peace be upon him) testament to his son al-Hasan (peace be upon him) from an educational perspective, with the objective of extracting the key principles and values he established in the domains of belief, ethics, and human conduct. These include moderation, patience, honesty, good treatment of others, and the assumption of responsibility. The study also seeks to demonstrate the impact of these values in fostering cohesive families and in raising children upon sound Islamic foundations.

The research adopts an analytical and inferential methodology in examining the educational texts contained within the testament, highlighting the comprehensiveness of the educational vision in the thought of Imam Ali (peace be upon him) and its relevance to the requirements of modern education. The study concludes that Imam Ali's testament represents an enduring educational framework suitable for nurturing generations across time and place, given its balanced integration of spiritual and human values that unite devotion to God with the cultivation of life on earth.

Keywords: Imam Ali (peace be upon him), Imam al-Hasan (peace be upon him), family education, Ahl al-Bayt (peace be upon them), educational values, Islamic ethics.

المقدمة

الأبناء يشكلون الوجود المستمر للإنسان، والإنسان يبقى ببقاء أبنائه وذريَّته، وكل إنسان يحاول جادًا أن يُخلد، ويبقى ذكره الحسن والمحمود بين الناس. إنَّ البقاء والدوام لله تبارك وتعالى، ولكن الله تبارك وتعالى منح الإنسان ما يجعله خالدًا، وما يجعل الإنسان خالدًا هو أمران: الأمر الأول هو العمل الصالح، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف:٤٦)، و الأمر الآخر هو الذريَّة، لأنَّ ذريَّة الإنسان توجب له البقاء والخلود، والله تبارك وتعالى منح الإنسان غريزة حب البقاء من ناحية، وحبه لأولاده من ناحية أخرى، إلا أنَّ كثيرًا من الناس لا يفقه هذه النّعمة العظيمة، ولا يُحسن العناية بأولاده لكي يوصلهم إلى الكمال المنشود، الذي يُهيئهم للرقي بمجتمعهم إلى مستوى عالٍ من الرفاه والأمن والسلامة، وبالتالي يُؤهلهم لنيل السعادة الدنيويَّة والأخرويَّة، وهذا ما ركّز عليه آل البيت عليهم السلام في أحاديثهم بدءًا من الرسول الكريم وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمَّة من ولده عليهم السلام، التي تؤكِّد على أهميَّة إعطاء الأبناء عناية فائقة لتربيتهم التربية الإسلاميَّة القويمة، لتعود على الأسرة والمجتمع بالخير الوفير.

تعد التربية الأسريَّة من أهمِّ الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع؛ إذ تؤثِّر في تشكيل شخصيَّة الفرد وقيمه الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، وقد أولى آل البيت عليهم السلام اهتمامًا بالغًا بالتربية الأسريَّة؛ إذ نجد في وصاياهم وتعاليمهم مبادئ تربويَّة قيِّمة، ويمثِّل تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مصدرًا ثريًّا للتربية والأخلاق، ولا سيَّما في وصيَّته لابنه الحسن عليه السلام.

من هنا يتناول بحثنا المتواضع بعض خصائص المنهج التربوي لدى مدرسة آل البيت عليهم السلام، وفي فكر الإمام علي عليه السلام لأهميَّة هذا المنهج عند تطبيقه في بناء أسرة مسلمة قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة التي يتعرَّض لها الفرد المسلم في الوقت الحاضر.

أوَّلًا: التربية الأسريَّة

تربيـة الإنسـان وتعليمـه، عمليَّـة أساسـيَّة اضطلعـت بهـا الأسرة أوَّلًا، وتولَّـت مهمَّـة القيـام عليهـا منـذ نعومـة أظفـار هـذا الكائـن الحـي، ثـمَّ تتـوالى عـلى ممارسـتها مؤسَّسـات مختلفـة لهـذه الغايـة، ولقـد اختلفـت الآراء حـول مضمـون هـذه العمليَّـة، وذلـك لاختـلاف الأنـماط الثقافيَّـة والحضاريَّـة والتربويَّـة لـكلِّ أمَّـة مـن الأمـم، لكنَّهـا اتفقـت جميعهـا عـلى كونهـا طريقـة إعـداد للحيـاة، كـما اختلفـت في معنـى كل مـن التربيـة والتعليـم، فمنهـم مـن اسـتعملها بمعنـى واحـد، ومنهـم مـن ميَّـز بينهـما، والواقـع أنَّ مفهـوم التربيـة يختلـف عـن مفهـوم التعليـم. وعـدم التمييـز بينهـما يـؤدِّي إلى تفـكُّك الأسـاليب التربويَّـة وتشـويش شـخصيَّة الطفـل؛ لأنَّ تزويـده بأنـواع العلـوم والثقافـات قبـل تهيئـة التربـة الصالحـة لهـا، إنَّـما معنـاه البنيـان عـلى الرمـال.

الأسرة هـي المحيـط التربـوي الأسـاسي المسـؤول عـن إعـداد الطفـل للدخـول في الحيـاة الاجتماعيَّـة، ليكـون عنصرًا صالحًا فعَّـالًا في إدامتهـا عـلى أسـاس الصـلاح والخـير والبنـاء الفعّـال، والأسرة نقطـة البـدء التـي تـزاول إنشـاء وتنشـئة العنصر الإنسـاني، وتؤثِّـر في كلّ مراحـل الحيـاة إيجابًـا وسـلبًا، وهـي مسـؤولة بالدرجـة الأولى عن النشـأة والتربيـة، وهي التي تحـدد مسـار الإنسـان السـلوكي إن كانـت التنشـئة الاجتماعيَّـة خارجهـا ملائمَّـة ومتشـابهة.

ولأهميَّة الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت عليهم السلام أهميَّة خاصَّة بها، وكانت إرشاداتهم تؤكِّد على اختيار شريك الحياة الصالح والمتدين ليقوم بالتعاون مع شريكه في إعداد الأطفال إعدادًا ينسجم مع المنهج السلوكي في الإسلام، وحثّ أهل البيت الوالدين على القيام بمسؤوليتهما في التربية وخصوصًا الوالد حيث تقع عليه كامل المسؤوليَّة.

فتربيـة الولـد تقـوم عـلى تهذيـب سـجاياه الخلقيـة وتعليمـه المبـادئ الأساسـيَّة الثابتـة التـي يعـترف بهـا الإنسـان في كل البلـدان، وإنـماء الكرامـة الإنسـانيَّة فيـه منـذ نعومـة أظفـاره، أمـا تعليمـه فهـو تغذيتـه بالمدنيـة التـي جمعهـا الإنسـان في مختلـف الحقـول، والتربيـة تصـوب

أعماله وتوحي إليه سلوكه في علاقاته مع الناس، وتساعده على تملك زمام نزواته. أما التعليم فيوفِّر له عناصر نشاطه الفكري ويعرفه بحالة التمدن الحديث. تعطيه التربية أسس الحياة التي لا تتبدل.(١)

فتربية الطفل إذن تبدأ قبل تعليمه، ولا يخفى أثر هذه التربية الأولى على شخصيَّته؛ إذ على مبادئها ومعطياتها يدرج وينمو ويبني كيانًا مستقبلًا فاعلًا. وهذا ما يفسِّر ضخامة البناء الفكري الذي يشيده خلال سنيه الأولى؛ إذ تعمد التربية إلى كشف ما يتمتع به من ميول ومواهب وقدرات وأهداف وإبرازها؛ ليمارسها فيما بعد .

تعد السنوات الأولى من عمر الطفل، هي أهم مراحل حياته، ومن هذا المنطلق يؤكِّد الأئمَّة المعصومين من آل البيت عليهم السلام على ضرورة الاهتمام الزائد بالطفل، وأهميَّة تأديبه بالآداب الحسنة؛ إذ قال الإمام علي عليه السلام: **"خير ما ورَث الآباء الأبناء الأدب"**، وقال عليه السلام: **" إنَّ الناس إلى صالح الأدب، أحوج منهم إلى الفضة والذهب"**. (٢)

وقال الإمام الصادق عليه السلام:**" إنَّ خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال، فإنَّ المال يذهب والأدب يبقى"**.

لقد أهتم العظماء من الفلاسفة والعلماء بمفهوم التربية، وجهدوا في الكشف عن مضامينها العلميَّة وأوجدوا لها عددًا من التفسيرات، ومن هؤلاء العظماء الإمام علي عليه السلام، فهو يرى أنَّ الإنسان هو غاية الوجود، لذا جاء بعد أن خلق الله الكون ورتَّبه ونظَّمه من أجله؛ ليكون خليفته في الأرض من دون أن يزيغ عن جادة الحق والصراط المستقيم، وأنَّ التربية الحقة تجعله بعيدًا عن مخالفة أوامر الله تعالى، ويبقى أسيرًا لأوهامه وشهواته الدنيويَّة؛ بل ملتزمًا بأخلاقية المجتمع السليم.(٣)

إنَّ التوجه العلوي الرصين يدعو إلى منهج في التفكير العلمي القائم على الثقة بالنفس وجرأة في التعامل والتفاعل مع أيِّ نتاج فكري أنتجه الإنسان بغضِّ النظر عن عقيدته عندما قال عليه السلام: **"اعقلوا الخبر إذا سمعتموه، عقل رعاية لا عقل رواية فإنَّ رواة**

العلم كثير ورعاته قليل"، وهذا هو المنهاج الذي يدعم التقدم والتطور في المجتمعات الإسلاميَّة، فالعلم مقرون بالعمل ومن أي مصدر كان؛ إذ لا خير في علم بلا عمل، والعلم والعمل لا جنسيَّة لهما ولا دين.(٤)

إنَّ التربية التي تعتمد الكميَّة في أساليبها ليست مقبولة ما دامت لا تستند إلى الكيفيَّة والنوعيَّة .إلَّا أنَّ هذه النوعيَّة من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام لا فائدة منها إذا لم تقترن بالفاعليَّة، فالعلم لا يراد لذاته؛ بل لأجل التغيير والنمو في شخصيَّة الفرد والمجتمع حين يقول عليه السلام: **"لا تجعلوا علمكم جهلًا ويقينكم شكًا، إذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فأقدموا"**، من هذا التوجه الصحيح فإنَّ العمل قد يجر الويل على المجتمع، إذا لم يستند إلى أساس روحي وخلقي، وما نراه اليوم في عالمنا دليلًا على ذلك، فالذرة قد تستعمل للبناء وقد تستعمل للفناء والدمار، الذي ينحو بهذا المنحى هو الإنسان ذاته الذي اكتشفها، لذلك كانت التربية الروحيَّة الخلقيَّة لابدَّ منها في صياغة الفرد وتفكيره وخلقه.(٥)

ولقد جمع الإسلام بين التربية الدينيَّة والدنيويَّة بقوله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.(القصص: ٧٧)

إنَّ النظريَّة التربويَّة التي انفرد بها الإمام عليه السلام هي أكثر شمولًا وعمقًا من تلك التي أوحى بها علماء وفلاسفة الحضارات بسبب شموليَّتها لكلِّ الجوانب من دون اقتصارها على جوانب معيَّنة، وهذا يثبت أنَّ نهج البلاغة هو الكتاب الذي كان ومازال في صميم المعرفة التي تحدث عنها الفلاسفة والعلماء في كل عصر وجيل كما جاء في رسالة الإمام عليه السلام التي وجهها إلى مالك الاشتر(رضوان الله تعالى عنه) عندما ولاه على مصر: **"وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم اكلهم، فأنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق"**.(٦)

يظهر من النصوص الواردة عن أئمَّة آل البيت عليهم السلام، أنَّهم اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالأسرة ودورها في تربية الطفل، فقد جاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله "**وأمَّا حق ولدك فإنَّك تعلم منه أنَّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنَّك مسؤول عمَّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربِّه عز وجل، والمعونة على طاعته، فأعمل في أمره عمل من يعلم أنَّه مثاب على الاحسان وإليه، ومعاقب على الإساءة إليه**"، وجاء عنه أيضًا "**وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه، والستر عليه والرفق به والمعونة له**".(٧)

وانطلاقًا من هذا أقام الإسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وحاجات الناس وسلوكياتهم، ولهذا يسعى الإسلام دائمًا إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفَّر فيها عناصر القيادة الرشيدة في تربية أبنائها، قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ (الفرقان: ٧٤)، وممَّا روي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قوله: "**خَيرَكم خيرَكم لأهله وأنا خيرَكم لأهلي**"، الذي يحفز نحو حالة تسعد وترضي كل الأطراف وتبعث على ارتياح النفوس؛ لأنَّ الإنسان المسؤول عن إدارة البيت يسعى لمعاملة عياله – سواء الزوجة أو الأولاد ذكورًا وإناثًا – معاملة طيِّبة وحسنة، سيحصل على مبادلة مرضيَّة، وإذا حققنا هذا العامل المهم في حياة الرجل ضمنًا حالات تقدم في مسيرة الحياة كثيرة، الاستقرار النفسي وارتياحه العائلي فيكافح من أجل تحقيق الأفضل لأسرته، وأهم قاعدة من قواعد التربية الإسلاميَّة أن توجد عملياتها التربويَّة القدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح، وفي ذلك يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "**ويجب للولد على والده ثلاثة خصال، اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغة في تأديبه**".(٨)

ثانيًا: المنهج التربوي لدى آل البيت

يمتاز منهج أهل البيت عليهم السلام التربوي بالشمول، فهو يراعي الإنسان في جميع مقوماته، وينظر إليه من جميع جوانبه، فهو مخلوق مزدوج الطبيعة روح وعقل وغرائز، وجسد متعدد الجوارح، وهو موضوع للإنسان ككل فلا انفصال بين حاجات الجسد وحاجات الروح، فهو يدعو إلى إشباع حاجات الإنسان؛ لكي يتقبل ما يلقى إليه من قواعد وأسس تربويَّة وتوجيهيَّة وإرشاديَّة.

والمنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام يواكب حركة الإنسان في جميع مراحلها ابتداءً باختيار شريك الحياة المناسب مرورًا بمرحلة الاقتران وانعقاد الجنين ومراحل الطفولة الأخرى، ويضع لكل مرحلة تعاليم وتوجيهات منسجمة مع عمر الطفل الزمني والعقلي، ومع حاجاته الماديَّة والروحيَّة، ثمَّ تأتي التكاليف حينما يصل الطفل إلى مرحلة من النضج الجسدي والعقلي؛ لتكون هي الموجهة له في حركته الواقعيَّة في الحياة.(٩)

والمنهج لا يقتصر على تعاليم وإرشادات خاصَّة في مجال معيَّن؛ بل إنَّها شاملة لجميع المجالات، وكل ما يسهم في تربية الإنسان بشكل أو بآخر؛ إذ يبدأ المنهج بربط الإنسان وخصوصًا في مرحلة الطفولة بالمفاهيم والتصورات الإسلاميَّة الأساسيَّة، كالإيمان بالله تعالى، وبالثواب والعقاب، وذكر الله عن طريق قراءة القرآن والدعاء والعبادة، وذكر الموت، والرضا بالقضاء.

والمنهج يتدخل في جميع المؤثرات التربويَّة، فيدعو إلى اصلاح المحيط التربوي المتمثل بالأسرة والأصدقاء وحلقات الذكر والمسجد والعلماء وأجهزة الدولة، ولا يقتصر المنهج على إلقاء التعاليم والإرشادات؛ بل يدعو إلى خلق الأجواء السليمة التي تسهم في تطبيق تفاصيل المنهج، وهي تعميق المودة داخل الأسرة، ومراعاة الحقوق والواجبات، وتجنّب المشاكل والخلافات، وإشباع حاجات الطفل إلى الحب والحنان والتكريم وإشعاره بذاته، وإشباع حاجاته إلى الرفاهيَّة وإلى اللعب وإلى الحريَّة وإلى السلطة الضاغطة الموجهة.(١٠)

والمنهج التربوي شامل في استخدام أساليب اللين والشدة ومراعاة الحقوق والواجبات، وهو شامل لمعرفة الأفكار وتنميتها، وتنمية العواطف، وتنمية الإرادة، وتربية السلوك، ويتصاعد المنهج التربوي بتكثيف التربية والتمرين على الطاعات المختلفة بحسب القدرة ودرجة التلقي وتفاوت الأعمار.(١١)

لذا الأسرة أوَّل مؤسَّسة اجتماعيَّة تربويَّة من حيث إنَّها بيئة اجتماعيَّة تضم عددًا من الأفراد وتسعى لتحقيق أهداف تربويَّة، وهي يمكن أن تؤدِّي دورًا بارزًا في تنمية المجتمع وتقدمه من خلال التعاون والتكامل مع بقيَّة مؤسَّساته في إطار المبادئ والقيم الإنسانيَّة الإسلاميَّة، فبجانب تميُّز الأسرة بنائيًّا ووظيفيًّا فهي تعدُّ مؤسَّسة ذات عمل مشترك لتحقيق المنهج التربوي للمجتمع.(١٢)

يمكن لمؤسَّسة الأسرة المسلمة أن تؤدِّي وظائف تربويَّة تنمويَّة هامَّة، ودورًا بارزًا في تنمية المجتمع الشاملة على وفق تعاليم الإسلام وتوجيهات آل البيت الأطهار عليهم السلام، متى ما تحققت في أفرادها غاية التربية الإسلاميَّة وأهدافها، وتم العناية بأسس تكوينها والحفاظ عليه صالحة مستقرة مع الاستقرار على تحسين نوعيَّة الحياة فيها وتنميتها بشكل هادف ومخطط له.(١٣)

وحينما تصطدم حاجات الإنسان بالواقع ويحرم من تحقيق بعضها بسبب الظروف النفسيَّة أو الاجتماعيَّة، يضع المنهج التربوي برنامجًا لمقاومة حالات التصدع النفسي في شخصيَّة الإنسان، ومعالجة الأمراض النفسيَّة والروحيَّة وهي في مهدها، ومن مصاديق هذا البرنامج الدعوة إلى الصبر؛ لأنَّه سلاح المؤمن في مقاومة العقبات والهموم والآلام، وبه يتغلَّب على جميع أثقال الحياة من جوع ومرض وفقر وحرمان ومن اضطهاد وظلم، والصبر له تأثيرات إيجابيَّة على الصحَّة النفسيَّة، والإنسان الذي يقابل الحرمان والهموم والآلام بالصبر والثبات سيكون مطمئنًا مستقرًا؛ لإيمانه أنَّ الله معه يحرسه ويرعاه ويتلطَّف عليه، ويفرّج عنه الضيق والشدّة.(١٤)

والصابر يكون في أعلى قمم الصحَّة النفسيَّة حينما يشعر أنَّ الله يعوضه عن صبره بالحب واللطف، فلا شقاء مع حبِّ الله له، ولا قيمة لشيء أمامه وهو داخل في دائرة الحب الإلهي، ومن مصاديقه أيضًا التفكير بالجزاء والثواب الخالد، فإنَّ لهذا التفكير تأثيرًا إيجابيًا على من يعيش الحرمان والمصائب والآلام؛ لأنَّ التفكير بالجزاء والعوض الإلهي عمَّا فقده في الدنيا يجعله يعيش الأمل في نيل ذلك الجزاء، وهذا الأمل يخفِّف من معاناته، ويجعله موصولًا بالسعادة في الدنيا التي يؤمن بزوالها وفنائها.(١٥)

وفي تناولنا موضوعيَّة مهمَّة لمحور يعدُّ من أهمِّ المحاور التي تشغل اهتمام العلماء والمفكِّرين في مجال التربية والتعليم والتحديث الحاصل بمناهجها العلميَّة في عصرنا الحالي، نجدها لا تتعدَّى حدود كلمة قالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام- في جمع من المؤمنين- من أجل أن يبني الأمَّة الإسلاميَّة، حينما أصر على تغيير البنية التعليميَّة وتحديث منهجيَّتها في إشارة صريحة إلى ضرورة التطور في الحياة **"لا تقصروا أولادكم على تربيتكم - أو أخلاقكم- فإنَّهم خلقوا لزمان غير زمانكم"**، وهنا إرادة إلى أن يُحمل الناس على الإيمان بالتطور؛ إذ لو جمد الأبناء على سيرة الآباء لكانوا إيَّاهم (خلقًا وخُلُقًا)، وهذا مغاير لسنن الطبيعة في التطور المفروض طبعًا على كل كائن.(١٦)

وليس بالجديد ولا بالغريب أن نُفاجئ بفحوى تلك الاقتباسة من روائع أمام البلغاء؛ إذ عودنا على التنبؤ في المغيبات، وعلمنا كيف نستقبل الحياة الجديدة، ونتدبرها قديمة، فهو المجدد في عهده مع صلابة في التمسك بمبدئه والاحتفاظ بعقيدته، وهنا ينبُع التوافق بين المقولة أعلاه والنظرة العالميَّة لتحديث منهجيَّة التعليم بما يتلاءم وروح العصر وبيئته؛ مع عدم الفصال عن روح الإسلام، إذ إنَّ التغيير هنا يكون في الأدوات لا المضامين الرئيسة التي تحكمه، خصوصًا وإنَّ العالم يعيش حرجًا كبيرًا اتَّسعت فيه الهوَّة بين ما وصل إليه الغرب من تطور في مجال التربية والتعليم، وما بقينا نتأمله من مواكبة هذا التطور، للأمر الذي جعلنا بما نمتلكه من مضامين إنسانيَّة نعيش على قتار ما يُهيَّأ لنا بروح مفرغة تبتعد عن فحوى الإسلام وتطلعاته.

ثالثًا: الحياة الأسريَّة في فكر الإمام عليعليه السلام

عند الاطلاع والقراءة المعمَّقة لمنهج ووصايا الإمام علي**عليه السلام** يتَّضح مدى الاهتمام الذي أولاه الإمام لنواة وأساس المجتمع وهي الأسرة؛ إذ اهتمَّ بهذه المؤسَّسة من طريق تبيان هدفها الأسمى وهو إعداد بناء أخلاقي رصين للعائلة؛ إذ يرسم صورة تشبيهيَّة متمثِّلة بالحنو الغريزي الأبوي على الأبناء وبالعكس؛ لكي تصل الفكرة التي يطرحها الإمام**عليه السلام** لأذن المتلقي؛ إذ يقول**عليه السلام**: **"إنَّ للوالد على الولد حقًا، وإنَّ للولد على الوالد حقًّا، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كلِّ شيء إلَّا في معصية الله سبحانه وتعالى، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن"، وهنا توضيح لدور الوالد وواجباته في حسن معاملة الأبناء من خلال تعليم الآداب الواجبة وحسن اختيار اسم الولد؛ إذ إنَّ للاسم علاقة وثيقة في حياة الإنسان المستقبليَّة وارتباطه بالجانب النفسي والأثر في المحبَّة والكره وغيرها، والجانب الأهم في عمليَّة التربية هي تعاليم الدين وأحكام القرآن لأنَّها المنهاج للحياة".**(١٧)

ويتبع الإمام علي**عليه السلام** خطى النبي الكريم (صلوات الله عليه) في إعداد الأسرة التي تتراحم فيما بين أفرادها وتتواصل بالود والأدب والتعاون؛ إذ يقول صلوات الله عليه **"رحم الله والدًا أعان ولده على البر"**، وذلك أنَّ يعدَّ الآباء أبنائهم بما ينسجم مع الشرائع لذا يقول الإمام**عليه السلام**: **"يا معشر الصبيان حصنوا أعراضكم بالآداب، واتخاذ الأدب هي رياضة النفس في الحث عن مساوئ الأخلاق والتحلي بمكارمها".**(١٨)

وكان الإمام علي**عليه السلام** يوظف التعاليم والوصايا التي تهم الأسرة في الوالدين؛ ليؤكِّد عظمة الاحترام والاهتمام بالوالدين، وقد توجه الإمام علي**عليه السلام** للمجتمع والناس بكلِّ خطبه وأحاديثه وحثهم على النهج القويم، كما كان يخاطب أبنائه عن المنهج الإسلامي التربوي الذي لم يبتعد عن النهج القرآني والسنة النبوية في الاهتمام بالأسرة؛ إذ حمل خطابه توجيهات ونصائح ومبادئ سامية للتربية الأسريَّة بكلِّ زمان ومكان؛ وذلك

لغرض الإفادة من هذا الخطاب في أن يكون المجتمع الأسري الصغير والكبير؛ لكي يعيش متألِّفًا ومحبًّا فيقول الإمام عليه السلام: **"أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي"**، وأنَّه يوجه خطابه إلى عامَّة الناس بالروح نفسها التي تهدف إلى التوعية والاهتمام؛ إذ يقول عليه السلام: **"لتيأس صغيركم بكبيركم، ويرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية، لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون"**، كان خطابه يمثِّل البعد الوقائي والإصلاحي للأسرة، وهي نظرة مستقبليَّة تحاكي المجتمع وتطوره عبر حث الأسرة على العطف والتودد بينهم.(١٩)

لقد أوردت إلينا الكتب والدراسات التي تتناول كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي مهما كانت كثيرة وموسَّعة إلَّا أنَّها لم تفِ خطب الأمير وأحاديثه حقها، فهي الدرر النادرة التي تصلح لكلِّ زمان ومكان فهي كما يقولون: **"ولو تدبرتها لرأيت منها كونًا معنويًّا دقيقًا قائمًا لصاحبها الأعظم، كما يقوم هذا الكون الكبير بسننه وأصول الحكمة فيه، ولأيقنت أنَّها معجم علمي ألَّفته الحكمة الإلهيَّة بعلم مَن علَّمها، وقوَّة من قوَّتها؛ لتتخرج به الأمَّة التي تبدع العالم إبداعًا جديدًا، وتنشؤه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله"**.(٢٠)

والوصيَّة الخالدة التي أوصى بها الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام عند عودته من صفين تعدُّ بحقٍّ منهج تربوي ونظام لإدارة الحياة بشكل دقيق، ويصلح لأي زمان إذا اتُبعت بشكل مثالي، فهي ليست فقط وصيَّة والد لولده فحسب إنَّما هي مرسوم حياتي متكامل بدقة شديدة، فهي تعبر عن حرص الوالد الحنون أن يسير ولده على الطريق الأمثل نحو التكامل الإنساني.

أوَّل عبارات الوصيَّة جاءت معبرة عن الحنان الأبوي فالإمام علي عليه السلام يقول:" **من الوالد الفان، المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا**"؛ إذ يبدأها بالنظر إلى الوالد بعطفه وحنانه وشفقته بكلِّ ما يحمل هذا الاسم من المضمون والعمق من

الرعاية للأبناء والمحافظة عليهم، من الوالد الذي يفنى من أجل أبنائه ويتذوق مر الحياة وعلقمها من أجلهم، من الأبوَّة التي ينساب منها رحيق العطاء ولا تعرف الكلل والملل، وكان الهدف من العبارة أن تستقر أهميَّة الوصيَّة وعظمتها في ذهن المخاطب (الولد)؛ لأنَّها جاءت من قلب يرجو له الخير في كل خطوة .[٢١]

ورد إيضاحًا كبيرًا لمعنى الأبوَّة في قوله عليه السلام: **"ووجدتك بعضي؛ بل وجدتك كلي حتَّى كأن شيئًا لو أصابك أصابني، وكأنَّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي"**؛ إذ يظهر الحنان الأبوي في أرقى صوره لبيان كيف يتمُّ النصح، ومن أي قلب ينبع[٢٢]، فيفسِّر الإمام عليه السلام معنى وجود الأولاد أنَّهم كل الوالد، وهم جزء من الآباء؛ بل صورة مصغرة عنهم، يحمل هويَّة الأب وشخصيَّته وعقيدته ورسالته وأهدافه، لذا يجب الاهتمام به والعناية بتربيته وجعله عنصرًا جيدًا في المجتمع يحب الخير لغيره ويسعى له، هذا هو منطق الأبوَّة المسؤولة التي تحمل عواطف البشر وقلوبهم وتتفاعل مع هذا الصغير بعطف وحنان ورقة؛ إذ إنَّ أي ألم بسيط ممكن أن يصيبه أو مرض وحتَّى لو كان فرح أو سرور فإنَّه يصيب الأهل أضعافه، وهذه الأمور الواردة في كلام الإمام عليه السلام لا يفقه معناها إلَّا من أصبح أبًا وتحرَّكت عواطف الأبوَّة فيه نحو الأبناء .

ومن هنا كانت كلمة الإمام عليه السلام **"فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي "** كيف أهتم بنفسي وأحافظ عليها، وأتمنَّى لها النجاح والعز والاهتمام ذاته والعناية بالولد وسعادته .[٢٣]

ثمَّ نجد الإمام بعد أن بيَّن مكانة الأبوَّة لدى الوالد ومكانة الأبناء لدى الآباء بدأ في النصح والإرشاد؛ إذ يقول عليه السلام: **"فإنِّي أوصيك بتقوى الله، أي بني ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به"**، فالإمام عليه السلام أعطى أعظم مثال لأي وصيَّة يجب أن تتقدَّم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى طاعة الله والالتزام بأوامره، هذا مطلع الوصيَّة العلويَّة الذي يجب أن يكون مطلع أي وصيَّة، الوصيَّة بتقوى الله الذي لا

يعلو إنسان عن الأمر بها؛ إذ تمثِّل الخضوع لله في الجوارح والإذعان؛ إذ إنَّ التقوى تمثِّل منتهى الغايات التي يجب أن يطمح لها الإنسان، ومن أجلها كانت كل تكاليف الله من طهارة وصلاة وصيام وغيرها التي تبنِّي شخصيَّة الإنسان الملتزم بالإسلام فكرًا وعملًا وعقيدة وسلوكًا وطريقًا للحياة لضمان نجاح الإنسان وفوزه في الحياة الدنيا والآخرة .(٢٤)

كانت الوصيَّة في فقراتها الأولى تحث على الالتزام الكامل والمطلق بالدين والإسلام كدستور حياة، والصبر على اختبارات الحياة جميعها؛ لأنَّها الطريق للفوز بمرضاة الله في الآخرة، وهذا هو جوهر الخطاب العلوي في جميع الميادين؛ إذ يحثُّ الإمام عليه السلام على التمسُّك بالأوامر الإلهيَّة في كل المجالات، وضرورة التفقه في الدين؛ لكي يطلع الإنسان على ماله وما عليه من أوامر ربَّانيَّة .

وإذا عدنا إلى الميدان التربوي في هذه الوصيَّة نجد الإمام عليه السلام يوضِّح كيفيَّة التعامل مع الأبناء وخصوصًا في المراحل الأولى من حياتهم؛ إذ يقول الإمام عليه السلام: "**وإنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك؛ لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته** "، هذه حقيقة اهتم بها الإسلام وأكَّد عليها وشرَّع لها أسلوب فذًّا في زرع المفاهيم والأفكار الإسلاميَّة، فإنَّ الشارع المقدَّس قد رسم للطفل عند الولادة سننًا رائعة، وهي تثبيت بذرة الإسلام في أذن الوليد في أوَّل لحظاته في الحياة من خلال التكبير والأذان والإقامة فيها؛ لكي تكون أوَّل ما يدخل ذهن هذا الوليد ويترسَّخ في عقله الغض؛ لكي يتمُّ صياغة هذا الطفل صياغة إسلاميَّة صحيحة كما يقول عليه السلام: "**حق الولد على والده إذا كان ذكرًا أن يستفره أمه، ويستحسن اسمه ويعلمه كتاب الله ويطهره ويعلمه السباحة** ".(٢٥)

ولَّما كان العلم في الصغر كالنقش على الحجر، يتوجب استثمار مرحلة الطفولة لكسب العلم أفضل استثمار على وفق برامج علميَّة تتبع مبدأ الأولويَّة أو تقديم الأهم على المهم، خصوصًا ونحن في زمن يشهد ثورة علميَّة ومعرفيَّة هائلة، وفي عصر هو عصر السرعة والتخصص. ولقد أعطى أهل البيت)عليهم السلام(لتعلم القرآن أولويَّة خاصَّة، وكذلك تعلم مسائل الحلال والحرام، ذلك العلم الذي يمكنه من أن يكون مسلمًا يؤدِّي فرائض الله المطلوبة منه، وللتدليل على ذلك، نجد أنَّ من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام:".. **ابتدأتك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره..**"، وزيادة على ضرورة تعليم الأطفال العلوم الدينيَّة من قرآن وفقه، تركز السنَّة النبويَّة المطهَّرة على أهميَّة تعلم الطفل لعلوم حياتيَّة معيَّنة كالكتابة والسباحة والرماية، منها: قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "**من حقِّ الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ**"[٢٦]

إذن فتعليم الكتابة حقٌّ حياتي تنقشع من خلاله غيوم الجهل والأميَّة عن الطفل وقال صلى الله عليه وآله: "**حق الولد على والده أن يعلمه الكتاب، والسباحة، والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيبًا** ".

هنا يوضِّح الإمام عليه السلام أنَّ الطفل صفحة بيضاء يستطيع المربِّي أن يسطر عليه التعاليم الجيدة أو غير الجيدة من خلال التربية، وما يتمُّ التعود عليه في مجتمعه سواء كان داخل الأسرة أو في المدرسة والشارع، فإذا كانت صالحة هذه التربية نشأ عنصرًا صالحًا في المجتمع، وإذا كانت فاسدة نشأ عنصرًا فاسدًا يؤذي المجتمع وأهله، وأكَّد على أهميَّة التربية الإسلاميَّة منذ الصغر؛ إذ قال الإمام علي عليه السلام: "**ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وانت في مقتبل العمر ومقبل الدهر ذو نيَّة سليمة، ونفس صافية وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه**"[٢٧]؛ إذ خاطب ولده الإمام الحسن عليه السلام وأوضح مسؤوليَّة الأب في الاهتمام بأمر أولاده من خلال قوله عليه السلام: "**ورأيت حيث**

عناني من أمرك"، والتوجه العلوي هنا إلى الآباء؛ إذ إنَّ الأب الحريص على أبنائه لا يسعى في غير منطق الخير إليهم، ويسعى لولده في فلاحه وسعادته كما يسعى لنفسه، والمدرسة العلويَّة تخاطب الآباء بمسؤوليَّة تعليم الصبي قبل أن يمتلئ قلبه برذائل الدنيا والملوثات الفكريَّة قبل أن يصل إلى سن معيَّنة لا ينفع معه الأدب والحكمة.

وتستمر الوصيَّة العلويَّة في الحثِّ على النهج التربوي القويم في تربية الأبناء فكل فقرة منها هي درس تربوي قيِّم ترسم الخط لحياة سعيدة وسامية[٢٨]؛ إذ أكَّد أن يكون خلق المسلم مع أهل بيته أرقى ما يكون عليه الخلق الإسلامي، فقد أوصى الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام بالقول: **"ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك "**، ويخاطب هنا الأفراد داخل الأسرة المتمثِّلة بأفرادها من أمٍّ وأب وأبناء بأن يكونوا أهلًا بالودِّ مع عائلته، وأن يحسن معاشرتهم ويعاملهم بطيب الخلق، وهو نهي مطلق أن يلحق الولد لأهله الشر والأذى، ولا ينبغي أيضًا أن يحدث نزاع داخل الأسرة وخصوصًا من رب الأسرة وتتطور الأمور إلى العنف الأسري ويصبح سببًا في تحطيم سعادة الأسرة، فالإمام عليه السلام يعطي الإمام الحسن عليه السلام النظريَّة الاجتماعيَّة الأسريَّة في الحفاظ على الروابط الأسريَّة من الأهواء التي تسبب في تفريق الأسر وتشتتها.[٢٩]

إنَّ المجتمع اليوم يفقد التربية الإسلاميَّة الصالحة؛ لأنَّ الأب والأم لا يهتمَّان إلَّا بإعالته ماديًّا من تنظيفه وتهيئة ملابسه ومطعمه ومشربه، أما غيرها من الأمور الأخرى فإنَّهما يفقدانها من أنفسهم، وإذا خرجنا من البيت والأسرة إلى المدرسة فإنَّنا نجدها أبعد ما تكون عن تلقين الإسلام وغرس مبادئه ومفاهيمه؛ بل العكس من ذلك نرى مناهج الدراسة تعطي أفكارًا جاهليَّةً عنصريَّةً أو عرقيَّةً وعلمانيَّةً وغيرها، وهي بعيدة عن الدين، ونجد المعلم يكاد يفقد العناصر المثالية في القدوة الحسنة بوصفه المثل الأعلى الذي ينظر إليه الطفل، وهكذا إذا أكملنا الخروج إلى الحياة بشكل عام نجد انتشار الانحلال والانحراف ونلاحظ بعدًا كبيرًا في بعض المجالات عن مبادئ الدين القويم ممَّا يشكل خطرًا كبيرًا على الحياة الأسريَّة.

يقول الإمام علي عليه السلام في إطار تصحيح مسار الولد من ضمن حقه على الأب: "**يا بني اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك**"[٣٠]، هذه قاعدة تربويَّة تنبِّه على أنَّ علاقة الإنسان بأخيه الإنسان قد يشوبها كثير من الاضطراب وتتعرَّض في كثير من الأحيان إلى هزَّات عنيفة قد تأتي على صلات القربى فتفصلها، وعلى روابط المحبَّة فتفكك عُراها، وهكذا يتحوَّل الأحباب إلى أعداء ويفسد حبل الود، ولذا يجب أن يضع نفسه ميزانًا يوازن به الأمور كلها .

وفي سبيل تحصين الأسرة بشكل كامل أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام بفقرة خاصَّة عن النساء؛ إذ قال عليه السلام: "**وإيَّاك ومشاورة النساء فإنَّ رأيهنَّ إلى أفن وعزمهنَّ إلى وهن، واكفف عليهنَّ من أبصارهن بحجابك إيَّاهن فإنَّ شدَّة الحجاب أبقى عليهنَّ، وليس خروجهنَّ بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهنَّ، وإن استطعت ألَّا يعرفن غيرك فأفعل، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنَّ المرأة ريحانة وليست قهرمانة، ولا تُعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها، وإيَّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنَّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب**"[٣١].

هنا يؤكِّد الإمام عليه السلام أهميَّة حماية المرأة من نفسها أوَّلًا ومن استغلالها ثانيًا، فمهما كانت مكانة المرأة يجب عدم مشاورتها؛ إذ يبدو من كلام الأمير عليه السلام أنَّ المرأة غير صالحة للاستشارة والحوار في الأمور وبخاصَّة في الأمور المهمَّة، وليس من شك أنَّ المرأة ناقصة في تكوينها العقلي بسبب غلبة العاطفة عليها، وهي لا تبلغ مهما بلغت مرتبة الرجل ما دامت العاطفة والشفقة أو نقول بساطتها تطغى على شخصيَّتها، وما يلاحظ أنَّ كلام الإمام عليه السلام لا يدل على أنَّ نقص المرأة سنَّة موجودة في كلِّ امرأة على الخصوص

وإنَّما هي تجري على الأغلبيَّة، وليس من شك أنَّ من بين النساء من تفضل على كثير من الرجال، وتصلح لما يصلح له العظماء وزيادة.(٣٢)

ثمَّ ينقلنا الإمام عليه السلام من هذا التحذير إلى شيء آخر ممَّا يمت إلى المرأة وطبيعتها بصلة قويَّة ألا وهو أن تتحجَّب المرأة وتلح في الاحتجاب؛ لأنَّ ذلك أستر وأبقى عليها؛ بل إنَّ الإمام عليه السلام لم يكتف بذلك؛ إذ أمر الزوج أن يجعل معرفتها محدودة بحيث لا تتعداه إلى غيره "**وإن استطعت أن لا يعرفنَّ غيرك فافعل**"، ويمضي عليه السلام في تحذي ولده ووعظه، فينهاه عن التغاير في غير موضعه؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى عكس النتائج المرجوة منه، أمَّا قول الإمام علي عليه السلام أنَّ المرأة ريحانة وليست قهرمانة، فقد يكون الأمان قصد أنَّ المرأة لا تكلف مشاقًا وأتعابًا لا تستطيع تحملها وليس في مقدورها الاتيان بها، أو أنَّ المراد أن لا يجعل الرجل المرأة رجلًا آخر تعمل عمله، وتنزل معه إلى السوق لتواجه جميع الطبقات من الناس وتتسنَّم المناصب لما بيَّناه من أنَّها رقيقة القلب حساسة المشاعر تتألَّم وتنفعل بسرعة لذلك لا يصلح لها؛ لأنَّه فيه كثير من الجهد في الفكر والجسد.(٣٣)

وقد حثَّ الإمام علي عليه السلام على الاهتمام بالأقارب والإحسان إليهم من خلال قوله عليه السلام: "**وأكرم عشيرتك فإنَّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول**"، وهذا الموضوع من المسائل التي يهتمُّ بها القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا تارة تحت عنوان (صلة الرحم) وأخرى بعنوان (الإحسان إلى القربى)، وقد أراد بهذا أن يقوي أواصر العلاقة بين جميع أفراد البشر مضافًا إلى إيجاد أواصر وعلاقات أقوى وأمتن منها في الوحدات الاجتماعيَّة التي هي أكثر انسجامًا مثل العشيرة والعائلة ليستطيعوا التعاون فيما بينهم عند ظهور المشاكل والحوادث .(٣٤)

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع في نصٍّ عظيم الأهداف والخصائص نقف عاجزين عن إدراك مقاصده التامَّة؛ لأنَّ كلَّ كلمةٍ قالها الإمام علي عليه السلام يجب أن يكتب فيها كثيرًا وكثيرًا، وخاصَّة أنَّ هذه الوصايا الأبويَّة هي عصارة العلم والمعرفة العلويَّة الموجهة إلى الأمَّة وليس إلى الإمام الحسن عليه السلام فقط، فالإمام الحسن في مدَّة تلقِّي الوصيَّة كان شابًّا قد أدرك ونهل التعاليم الدينيَّة القويمة والأخلاقيَّة من جده النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ومن والده الإمام علي عليه السلام، وتلك الوصيَّة لم يخاطبه كونه إمامًا معصومًا؛ بل جسَّدت وصيته الجانب الأبوي المحب لولده والحريص عليه من فتن الدنيا، إذ المقصد من الوصيَّة أنَّ الإمام عليه السلام يوصي بوجه عام جميع الآباء أن يعلموا أولادهم على الأخلاق القويمة والسلوك الشرعي .

وإذ تعدُّ الأسرة هي المؤسَّسة الاجتماعيَّة الأولى المسؤولة عن تربية الأولاد وضبطهم؛ لأنَّها اتحاد تلقائي يتمُّ نتيجة الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشريَّة، وهي ضرورة حتميَّة لبقاء الجنس البشري واستمرار الوجود الاجتماعي؛ إذ تلعب الأسرة دورًا أساسيًّا في سلوك الأفراد بطريقة سوية، أو غير سوية، من خلال النماذج السلوكيَّة التي تقدمها لصغارها؛ إذ إنَّ أنماط هذه التفاعلات وهذا السلوك الذي يدور داخل الأسرة يعدُّ هو الأنموذج الذي يؤثِّر سلبًا أو إيجابًا في تربية الناشئين.

وكلما كان بناء هذه الأسرة سليمًا وعلى أسس إسلاميَّة قويمة، كان الطفل الذي تربيه هذه الأسرة ذو شخصيَّة قويمة وفرد فاعل في المجتمع حين يكبر، ومن خلال أحاديث آل البيت عليهم السلام وضعت أسس مهمَّة على الأسرة أتباعها في التربية للفرد.

التوصيات

نحن بحاجة لإعادة النظر بطبيعة المناهج التعليميَّة وتحديثها وتنقيتها على وفق موروثنا الإسلامي المستمد من شريعة أهل البيت عليهم السلام، تلك الشريعة التي أشادت بها الأمم المتحدة في سنِّ قوانينها الإنسانيَّة حينما اعتمدت من كلمة أمير المؤمنين عليه السلام (الناس صنفان: إمَّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، أساسًا في الحكم على طبيعة كونيَّة صارت فيما بعد مصدرًا مهمًا من مصادر التشريع في القانون الوضعي، نحن بحاجة إلى أن ننظر للمجتمع نظرة تبدأ بالطفل أساسًا في بناء متماسك يعتمد مواكبة التطور الحاصل بكلِّ مجال من مجالات الحياة، يتفاعل ويشارك التطور الذي بلغه الغرب من خلال اقتناص النماذج المشعة والحيَّة والمشاركة في حضورها الإنساني الخلاق، ويسهم إلى حد بعيد في تصدير المضامين الإنسانيَّة على نحو عام والمضامين التربويَّة على نحو خاص (مضامين منهج أهل البيت في الحياة)، في محاولة لعدم الوقوف مكتوفي الأيدي أمام التيارات الجامحة التي بدأت تهدد المنظومة القيميَّة للمجتمع الإسلامي، وهذه الدعوة لا تقوم إلا إذا انبرى لها ذوو الخبرة والاختصاص في المجال التربوي والنفسي مستثمرين جل الطاقات والخبرات المتاحة من أجل خلق جيل واعٍ قادر على استلهام مسؤوليَّته مستقبلًا.

الهوامش:

١- باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، بيروت ١٩٧٩، ص ١٨.

٢- ضياء جواد كاظم الموسوي، الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس جامعة سانت كليمنس في التربية الإسلاميَّة، مكتب بغداد،٢٠٠٨،ص ١٢٤.

٣- عمار عبد الرزاق جابر، الفكر التربوي في نهج البلاغة، مجلة كليَّة التربية، جامعة واسط، العدد الرابع والعشرون، لسنة ٢٠١٦، ص ٢٧٤-٢٨٤.

٤- شهاب الدين العذاري، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت، مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلاميَّة ٤٢، ٢٠١١، ص ١٧.

٥- المصدر نفسه، ص ٩.

٦- عهد الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الاشتر، مؤسسة الرياضي للنشر، د.ت، ص ١٦.

٧- رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الاخلاق، الطبعة السادسة، بيروت ١٩٧٢، ص ٤٢١.

٨- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص ٨٣.

٩- علاء الدين السيد امير محمد القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، مكتبة الفقيه، طبعة ثانية، الكويت ١٩٨٦، ص ١٤٧-١٤٨.

١٠- المصدر نفسه، ص ١٤٩.

١١- شهاب الدين العذاري، المصدر السابق، ص ٢٥.

١٢- كيان محمد البرغوثي، التخطيط الاسري من المنظور التربوي الإسلامي، جمعيَّة العفاف الخيريَّة، عمان – الأردن، ٢٠٠٦، ص ٥٧.

١٣- المصدر نفسه، ص ٥٨.

١٤- باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ص ٥٠.

١٥- غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) رؤية علميَّة، طبعة ثانية، بغداد، ٢٠٠٨،ص ٢٤٦.

١٦- أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه ونسقه العلامة الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه الإمام محمد عبده، طبعة منقحة بأشراف الدكتورين عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت ١٩٩٠،ص ٦٨٥.

١٧- رند عباس عبد الغني، الحياة الأسريَّة في نهج البلاغة (دراسة تاريخية)، مراجعة وضبط اللجنة العلميَّة في مؤسَّسة علوم نعج البلاغة، إصدار مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، كربلاء، ٢٠٢٢، ص ١٠٥.

١٨- المصدر نفسه، ص ١٠٦.

١٩- المصدر نفسه، ص ١١٢- ١١٥.

٢٠- حسن القبانجي، شرح وصيَّة أمير المؤمنين للإمام الحسن عليه السلام، تلخيص وإعداد مكتبة الروضة الحيدرية، نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٧، ص ٨.

٢١- عباس علي الموسوي، الوصيَّة الخالدة شرح وصيَّة الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام، دار الأضواء، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص ٩-١٥.

٢٢- حسن القبانجي، المصدر السابق، ص ١٦.

٢٣- عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٧.

٢٤- حسن القبانجي، المصدر السابق، ص ١٨ ؛ عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٩.

٢٥- عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ٣٨.

٢٦- نهج البلاغة، المصدر السابق، ص ٦٨٧-٦٨٨.

٢٧- عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ٤٥.

٢٨- احمد علي دخيل، ١٠٠ وصيَّة للإمام علي عليه السلام، دار المرتضى للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠١، ص ١١٩.

٢٩- رند عباس عبد الغني، المصدر السابق، ص ١١٦- ١٢١؛ عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٩٥.

٣٠- عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ٨٩.

٣١- المصدر نفسه، ص ٢١٦ .

٣٢- حسن القبانجي، المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

٣٣- المصدر نفسه، ص ٣٧٥.

٣٤- سلسلة الدروس الثقافيَّة، وصايا الأمير عليه السلام، جمعية المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٢٧- ١٢٩.

المصادر والمراجع:

احمد علي دخيل، ١٠٠ وصيَّة للإمام علي عليه السلام، دار المرتضى للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه ونسقه العلامة الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه الإمام محمد عبده، طبعة منقحة بأشراف الدكتورين عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت ١٩٩٠.

باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، بيروت ١٩٧٩.

حسن القبانجي، شرح وصيَّة أمير المؤمنين للإمام الحسن عليه السلام، تلخيص وإعداد مكتبة الروضة الحيدرية، نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٧.

رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الاخلاق، الطبعة السادسة، بيروت ١٩٧٢.

رند عباس عبد الغني، الحياة الأسريَّة في نهج البلاغة (دراسة تاريخية)، مراجعة وضبط اللجنة العلميَّة في مؤسَّسة علوم نعج البلاغة، إصدار مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، كربلاء، ٢٠٢٢.

سلسلة الدروس الثقافيَّة، وصايا الأمير عليه السلام، جمعية المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨.

شهاب الدين العذاري، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت، مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلاميَّة ٤٢، ٢٠١١.

ضياء جواد كاظم الموسوي، الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس جامعة سانت كليمنس في التربية الإسلاميَّة، مكتب بغداد،٢٠٠٨.

عباس علي الموسوي، الوصيَّة الخالدة شرح وصيَّة الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام، دار الأضواء، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

علاء الدين السيد امير محمد القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، مكتبة الفقيه، طبعة ثانية، الكويت ١٩٨٦.

عمار عبد الرزاق جابر، الفكر التربوي في نهج البلاغة، مجلة كليَّة التربية، جامعة واسط، العدد الرابع والعشرون، لسنة ٢٠١٦.

عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الاشتر، مؤسسة الرياضي للنشر، د.ت.

غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رؤية علميَّة، طبعة ثانية، بغداد، ٢٠٠٨.

كيان محمد البرغوثي، التخطيط الاسري من المنظور التربوي الإسلامي، جمعيَّة العفاف الخيريَّة، عمان – الأردن، ٢٠٠٦.

الْمَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ فِي فِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام

(دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)

أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلاوي

جامعة الشيخ الطوسي / كلية التربية

أ.م.د. كريم عبد حمزة الكلابي

جامعة الشيخ الطوسي / كليَّة التربية /

قسم علوم القرآن

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

يُعَدّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحدَ أبرز رموز الفكر الإسلامي الذين أسّسوا منهجًا تربويًا وأخلاقيًّا متكاملًا، يستمدّ جذوره من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، ويهدف إلى بناء الإنسان روحيًّا وعقليًّا وسلوكيًّا. فقد تجسَّدت في شخصه القيم الإنسانيَّة العليا كالعدالة، والرحمة، والصدق، والتقوى، فكان مثالًا للقدوة العمليَّة في القول والفعل.

يرتكز المنهج التربوي في فكر الإمام عليه السلام على مبدأ التكامل بين العلم والعمل، والعقل والقلب؛ إذ جعل من العلم سبيلًا للهداية، ومن الأخلاق أساسًا لبقاء المجتمع وصلاحه. وقد نوَّع الإمام في أساليبه التربويَّة بين القدوة، والحوار، والنصيحة، والترغيب والترهيب، ساعيًا إلى تهذيب النفس وتحريرها من الانفعالات السلبيَّة، وغرس القيم الإيجابيَّة التي تنهض بالفرد والمجتمع.

ودعا أيضًا إلى إحياء روح المسؤوليَّة الاجتماعيَّة عبر العدل، والإحسان، والتسامح، والإيثار، لتكون التربية وسيلةً لتحقيق التوازن بين حاجات الإنسان المادية والروحيَّة.

وتُظهر الدراسة أنَّ المنهج التربوي والأخلاقي للإمام علي عليه السلام لا يقتصر على عصره؛ بل يمتدُّ أثره إلى يومنا هذا، إذ يُعدّ مشروعًا إنسانيًا شاملًا لبناء الإنسان الصالح والمجتمع العادل.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام علي عليه السلام، المنهج التربوي، الأخلاق الإسلاميَّة، التربية بالقدوة، الحوار التربوي، العدالة، القيم الإنسانيَّة.

Abstract

The Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), is one of the most prominent figures who left a profound impact on Islamic thought. He embodied supreme human and moral values, and he was a role model in various areas of life, particularly in education and ethics. His educational approach was based on solid scientific and moral foundations aimed at building the individual and society on the principles of justice, love, and respect, making him a moral and educational reference for successive generations.

The Commander of the Faithful & 39;s educational vision was not limited to his era; rather, it extended to form a comprehensive educational approach that transcended the boundaries of time and place. He called for enhancing the value of knowledge and emphasized the importance of ethics as an integral part of education. Through his words and actions, the Commander of the Faithful (peace be upon him) sought to instill the principles of truthfulness, justice, patience, and mercy in the souls of individuals, making him a symbol of sublime human values. The Commander of the Faithful (peace be upon him) relied in his educational approach on a set of methods aimed at building human character on solid foundations. Among the most prominent of these methods are: education by example, as the Commander of the Faithful (peace be upon him) was a living example embodying the values he advocated; education through dialogue, as he encouraged critical thinking and constructive discussion; and education through encouragement and intimidation, striking a balance between encouraging virtues and warning against moral deviations. He also emphasized the importance of both knowledge and action, believing that knowledge without action is fruitless, and that morality is the essence of true education

Keywords: Commander of the Faithful Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) - Educational approach - Moral approach - Thought.

المُقْدِمَةُ

تُعد التربية والأخلاق من الركائز الأساس التي تُشكل شخصيَّة الإنسان وتؤثر في بناء المجتمع. فقد أسَّس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منهجًا تربويًا وأخلاقيًا متكاملًا يُعَدُّ من أبرز النماذج الفكريَّة، التي جمعت بين المعرفة والسلوك القويم، وقد انعكست مبادئه في أقواله وأفعاله التي تهدف إلى تهذيب النفس وإصلاح المجتمع.

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل المنهج التربوي والأخلاقي في فكر أمير المؤمنين عليه السلام عبر استعراض مجموعة من أقواله التي تُجسد القيم الجوهرية في التربية والتعليم، فضلاً عن المبادئ الأخلاقيَّة التي تعزِّز الاستقامة والوعي الاجتماعي.

ومن طريق هذه الدراسة، سيتم استكشاف مدى تأثير هذه المبادئ في بناء الإنسان فكريًا وأخلاقيًا، ومدى ارتباطها بالمفاهيم التربويَّة الحديثة التي تدعو إلى التوازن بين المعرفة والسلوك القويم لضمان مجتمع أكثر وعيًا وأخلاقًا.

سبب اختيار الموضوع: يأتي اختيار الموضوع من إدراك الدور المحوري الذي تلعبه التربية والأخلاق في بناء شخصيَّة الإنسان والمجتمع. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أنموذجًا في الحكمة والمعرفة؛ إذ قدم رؤية شاملة في التربية والأخلاق استنادًا إلى المبادئ الإسلاميَّة والإنسانيَّة التي تسهم في إعداد الفرد؛ ليكون عنصرًا إيجابيًا في محيطه الاجتماعي. وعبر تحليل أقواله عليه السلام، يمكن استنباط أسس تربويَّة وأخلاقيَّة تُعزِّز الوعي الفكري والسلوك القويم، وهو ما يجعل هذا الموضوع ذا قيمة معرفيَّة وتربويَّة كبيرة.

أهميَّة الموضوع: تتمثَّل أهميَّة هذا البحث في نقاط جوهريَّة عدَّة، منها:

تسليط الضوء على الفكر التربوي والأخلاقي لأمير المؤمنين عليه السلام، الذي يُعد مصدرًا غنيًّا للحكمة والقيم الإنسانيَّة الرفيعة.

الإسهام في تعزيز التربية الأخلاقيَّة في المجتمعات، لا سيَّما في ظلِّ التحدِّيات التي تواجه القيم الإنسانيَّة في العصر الحديث.

تقديم أنموذج أخلاقي يحتذى به؛ إذ تُعدُّ أقواله عليه السلام منهجًا عمليًّا يمكن الإفادة منه في الحياة اليوميَّة لتعزيز الفضائل والسلوكيَّات النبيلة.

إثراء الدراسات التربويَّة والأخلاقيَّة بالموروث الفكري الإسلامي، وبيان كيف يمكن لهذه المبادئ أن تسهم في تعزيز التفاهم والتسامح بين الأفراد والمجتمعات.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

تحليل المنهج التربوي في فكر أمير المؤمنين عليه السلام، وتسليط الضوء على القيم التي تساعد في بناء شخصيَّة الفرد علميًّا واجتماعيًّا.

دراسة المنهج الأخلاقي في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام، وفهم كيف يمكن لهذه المبادئ أن تُسهم في تكوين مجتمع متماسك قائم على الفضيلة والتسامح.

توضيح العلاقة بين التربية والأخلاق، وإظهار كيف أن التعليم لا يقتصر على اكتساب المعرفة؛ بل يشمل أيضًا تهذيب السلوك وتنمية الأخلاق الحميدة.

الإسهام في إثراء البحث العلمي في المجال التربوي والأخلاقي، عبر دراسة الفكر الإسلامي وتحليله، وتسليط الضوء على أهمِّ معالجات القضايا التربويَّة والاجتماعيَّة.

وقد قسَّم البحث على ثلاثة مباحث وتمهيد، تضمن التمهيد التعريف بالمنهج والفكر لغةً واصطلاحًا، ليكون مدخلًا للبحث. أمَّا المبحث الأوَّل، فقد تناول المنهج التربوي في فكر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ركّز على أهميَّة: العلم، الحلم، الاستقلاليَّة الفكريَّة، التعلم المبكر، وضبط النفس في بناء الشخصيَّة. في حين سلط المبحث الثاني الضوء على المنهج الأخلاقي الذي يُرسِّخ القيم النبيلة، مثل: حسن الأخلاق، مكارم الأخلاق، العفو عند المقدرة، والتنافس في الفضائل.

أمَّا المبحث الثالث، فقد تطرَّق إلى تكامل المنهج التربوي والأخلاقي في فكر أمير المؤمنين عليه السلام وتطبيقاته العمليَّة، وقد ناقش: أسس العقل والتربية، والعلاقة بين العقل والأخلاق، وأهميَّة العدل كركيزة للاستقرار، كذلك تطرق إلى أثر الإحسان في بناء المجتمع، وأهميَّة القيادة الحكيمة في تحقيق التوازن والعدالة.

التَّمْهِيدُ: تَعْرِيفُ الْمَنْهَجِ وَالْفِكْرِ

الْمَنْهَجُ لُغَةً:

تعود كلمة المنهج في أصلها اللغوي إلى الفعل (نَهَجَ): والنَّهْج، "بفتح فسكون: الطَّريقُ الواضِحُ البَيِّنُ. وهو النَّهَج، محرَّكةً أَيضاً. والجمع نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ"[١].

والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ. "وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً. والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صار نَهْجاً. ونَهَجتُ الطريقَ: سَلَكتُه. وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه. والنَّهْجُ: الطريقُ المستقيمُ"[٢].

وهناك أيضًا مصطلحات تُستخدم أحيانًا بمعنى قريب من (المنهاج)، مثل: (المُقرَّر)، الذي يشير إلى المعرفة المرتبطة بالأنشطة التعليميَّة التي تهدف إلى إيصال المحتوى إلى المتعلم بطريقة منظمة.

وقد وردت كلمة: (المنهاج) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٣].

الْمَنْهَجُ اصْطِلَاحًا:

يُعرَّف المنهج بأنَّه المسار الواضح الذي يُستخدم للكشف عن الحقائق في مختلف المجالات؛ إذ يعتمد على مجموعة من القواعد والأساليب المنظمة التي تساعد الباحث في الوصول إلى المعرفة المطلوبة. فالمنهج يُعد أداة أساس في البحث العلمي والتربوي؛ فهو يحدد طريقة التفكير والاستنتاج وفقًا لإجراءات محددة تهدف إلى تحقيق نتائج دقيقة ومنظمة. وقال الرَّاغب (ت ٤٢٥هـ) "النَّهْجُ: الطريقُ الوَاضِحُ، ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنْهَجَ: وَضَحَ، ومَنْهَجُ الطَّرِيقِ ومِنْهَاجُه. ومنه قولهم: نَهَجَ الثَّوْبُ وأَنْهَجَ: بَانَ فِيه أَثَرُ البِلَى، وقد أَنْهَجَه البِلَى"[٤]. وأضاف إليه المعجم اللغوي العربي الحديث معنى آخر، هو: "الخطة المرسومة"[٥]. ويمكن تعريف المنهج أيضًا بأنَّه المسار الذي يسلكه المعلم والمتعلم للوصول إلى الأهداف التربويَّة المنشودة، وهو الأساس الذي تعتمد عليه

المؤسَّسات التعليميَّة في صياغة استراتيجياتها وخططها لضمان تحقيق الفهم الصحيح للمعرفة وتنمية المهارات الفكريَّة والسلوكية لدى الأفراد. ومن هذا المنطلق، يُنظر إلى المنهج على أنَّه إطار تنظيمي يشمل المبادئ والخطوات التي تسهم في تطوير القدرات العقليَّة والوجدانيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى بناء شخصيَّة متوازنة ومتكاملة. وبما أنَّ المنهج يشكل ركيزة أساس في العمليَّة التعليميَّة، فمن الضروري أن يتميَّز بالمرونة والاستجابة للتغيرات المستمرة، بحيث يتماشى مع تطورات الحياة ومتطلبات العصر لتحقيق أقصى فائدة ممكنة في بناء الفكر الإنساني والمعرفي.

الفِكْرُ لُغَةً:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه. معتبراً، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر"[٦]. وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) "الفكرة: إعمال الخاطر في الشّيء والجمع فِكَرٌ وهو الفكر"[٧]. ويقول صاحب لسان العرب: "الفَكْر والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء"[٨]. وقد ورد لفظ: (فكر) في القرآن الكريم في نحوِ عشْرين موضعاً[٩]، ممَّا يؤكِّد أهميَّة التأمُّل والتفكر في فهم الوجود وتحقيق الإدراك العميق للمفاهيم المختلفة.

الفِكْرُ اصْطِلاحَاً:

ورد الفكر عند الرَّاغب فقال: "الْفِكْرَةُ: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتَّفَكُّرُ: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أنْ يحصل له صورة في القلب"[١٠]. وقيل الفكر: "ترتيب أمور للتوصل إلى مجهول"[١١].

يشير الفكر إلى عمليَّة البحث والتحقيق في موضوع معين بهدف الوصول إلى نتائج واضحة ومحددة. فهو يمثل الأداة التي يستخدمها الإنسان لاستنتاج الحقائق وتحليل المعطيات في مختلف المجالات العلميَّة والأدبيَّة، ممَّا يسهم في الإبداع والتطور والتنمية. ومن طريق تراكم المعرفة عبر العصور، استطاع الفكر الإنساني أن يكون المحرك

الأساس للتقدم الحضاري؛ إذ شكّل الأساس للابتكار وتطوير العلوم والتقنيات الحديثة. وفي السياق الإسلامي، يُعرَّف الفكر بأنَّه أداة لفهم الواقع وتحليله على وفق رؤية مستمدة من تعاليم الإسلام؛ إذ يُستخدم لتفسير القضايا المختلفة بما يتوافق مع المبادئ الشرعيَّة. وقد أشار بعض العلماء إلى مفهوم الفكر بأنَّه القوة الإدراكية التي تتيح للإنسان تأمل الظواهر وإدراك المعاني، بينما يعرَّف في بعض المصادر بأنَّه ترتيب للأفكار والمعطيات للوصول إلى معرفة جديدة. كذلك يُعد الفكر وسيلة أساسيَّة لفهم الحياة والمجتمع، فهو يقوم على الإدراك، والتحليل، والاستنتاج للوصول إلى رؤية أكثر عمقًا وشموليَّة. أمَّا الفكر التربوي والأخلاقي، فهو يتجسد في مجموعة المبادئ والقيم التي يسعى الإنسان إلى تطبيقها لتحقيق التوازن بين المعرفة والسلوك، وهو ما نلحظه بوضوح في تعاليم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قدم منهجًا فكريًا قائمًا على الحكمة والعدل والتربية الأخلاقيَّة.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:

المَنْهَجُ التَّرْبَوِيُّ فِي فِكْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام

يعتمد المنهج التربوي في فكر أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام على عدة ركائز أساس. وفيما يلي تحليل عشرٍ من أقواله عليه السلام التي تعكس هذا النهج التربوي:

١- قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي الحِلْمِ ثَمَرَةُ العِلْمِ وَأَسَاسُ الحِكْمَةِ: (عَلَيْكَ بِالحِلْمِ، فَإِنَّهُ ثَمَرَةُ العِلْمِ)[١٢].

الحلم هو صفة عظيمة تعكس الحكمة والاتزان في التعامل مع الآخرين. عندما يقول الإمام عليه السلام (عَلَيْكَ بِالحِلْمِ)، فإنه ثمرة (العِلْمِ)، فهو يشير إلى أن الحلم ينبع من المعرفة والفهم العميق للأمور. والشخص المتعلم يدرك أن ردود الفعل المتسرعة قد تؤدِّي إلى نتائج غير مرغوبة، لذا فهو يتحلَّى بالحلم ويختار كلماته وأفعاله بعناية.

وفي المنهج التربوي لفكر أمير المؤمنين عليه السلام الحلم هو ركيزة أساس في بناء الشخصيَّة الواعية؛ إذ يساعد الفرد على التحكم في انفعالاته، ويعزِّز من قيم التسامح والتروي في مواجهة التحديات، ممَّا يؤدِّي إلى مجتمع أكثر استقرارًا وتماسكًا. وقد سلط الإمام عليه السلام الضوء على العلاقة بين العلم والأخلاق؛ إذ يؤدِّي العلم إلى اكتساب الحلم وضبط النفس، ممَّا يعزِّز احترام الإنسان ويمنحه مكانة اجتماعيَّة مرموقة. وعلى وفق المبادئ التربويَّة الحديثة، فإنَّ التعليم يجب أن يسهم في تهذيب السلوك، وليس فقط اكتساب المعرفة النظرية.

٢- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِيَّةِ فِي بِنَاءِ الشخصيَّة الْوَاعِيَةِ: (ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ الله حُرّاً)[١٣].

يؤكِّد الإمام عليه السلام في منهجه التربوي على قيمة الحرية التي منحها الله للإنسان، ويدعو إلى عدم التبعية العمياء للآخرين. فالإنسان الحر يمتلك القدرة على التفكير المستقل واتخاذ قراراته دون أن يكون أسيرًا لرغبات أو ضغوط خارجية. هذه الفكرة التربويَّة تعزز من بناء شخصيَّة قوية قادرة على مواجهة التحديات بثقة واستقلاليَّة، ممَّا يسهم في تطوير مجتمع واعٍ ومتحرر من القيود الفكريَّة والاجتماعية التي تحد من الإبداع والتقدم. لذا، فإنَّ تحقيق هذه الحريَّة يتطلب وعيًا وإدراكًا لمسؤوليات الإنسان تجاه نفسه وتجاه مجتمعه.

فتربية الإنسان على الاستقلاليَّة الفكريَّة والحرية في اتخاذ القرار هي أساس بناء شخصيَّة قوية، وهي من المبادئ التي تدعو إليها الفلسفات التربويَّة الحديثة التي تحث على تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى الأفراد.

٣- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي أهميَّة التَّعَلُّمِ الْمُبَكِّرِ فِي بِنَاءِ الشخصيَّة وَالْقِيَادَةِ: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ صِغَارًا تَسُودُوا بِهِ كِبَارًا)[١٤].

يركز الإمام عليه السلام في منهجه التربوي على أهميَّة اكتساب العلم في سن مبكرة؛ لأنَّ المعرفة التي تُغرس في الصغر تصبح أساسًا متينًا لبناء شخصيَّة قياديَّة وواعية في الكبر. فالتعلم في الطفولة يتيح للفرد فرصة لفهم الأمور بعمق والإفادة منها عمليًا، ممَّا يمكنه من تحقيق النجاح والتقدم في المستقبل. كذلك فإنَّ من لم يستغل مرحلة الطفولة في التعلم والتطوير الذاتي قد يواجه صعوبات في النمو الفكري والمجتمعي لاحقًا. ولذلك، يُعد الحرص على طلب العلم منذ الصغر نهجًا تربويًا يعزز من مكانة الإنسان في المجتمع ويساعده على تحقيق أهدافه بوعي وثقة. وهو ما تدعمه النظريات التربويَّة الحديثة التي تعد السنوات الأولى من حياة الإنسان حجر الأساس في بناء شخصيته ومعارفه المستقبلية.

٤- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الطَّمَعِ وَتَأْثِيرِهِ عَلَى الْعَقْلِ وَاتِّخَاذِ الْقَرَارِ: (أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الطَّمَعِ)[١٥].

يشير الإمام عليه السلام في هذا القول إلى خطورة الطمع وآثاره السلبيَّة على العقل والتفكير السليم. فالطمع يعمي الإنسان عن اتخاذ القرارات الحكيمة ويجعله عرضة للوقوع في الأخطاء والمآزق التي تضعف إدراكه. في المنهج التربوي لفكر الإمام عليه السلام، يُعد التحلي بالقناعة والتوازن في الطموح أمرًا أساسيًا للحفاظ على الحكمة والوعي، ممَّا يساعد الفرد على بناء شخصيَّة مستقرة ومتزنة. من طريق تجنب الطمع، يستطيع الإنسان أن يتخذ قراراته بوعي ورؤية واضحة، بعيدًا عن الانجراف وراء المغريات التي قد تؤدِّي إلى الهلاك الفكري والأخلاقي. وفي علم التربية، تعد غرس القيم الأخلاقيَّة أحد أهداف التعليم الأساس لمواجهة السلوكيَّات السلبية.

٥- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّوَاضُعِ وَضَبْطِ النَّفْسِ أَسَاسُ الْأَدَبِ الْحَقِيقِيِّ: (أَفْضَلُ الأَدَبِ أَنْ يَقِفَ الإِنْسَانُ عِنْدَ حَدِّهِ وَلا يَتَعَدَّى قَدْرَهُ وَطَوْرَهُ)[١٦].

في قول الإمام عليه السلام نجد رؤية تربويَّة عميقة ترتبط بتكوين الشخصيَّة الإنسانيَّة

السليمة. وهذا القول يوضح أنَّ الأدب الحقيقي لا يقتصر على حسن الكلام والتصرف؛ بل يتعداه ليشمل معرفة الإنسان لقدراته وحدوده، وعدم تجاوزها بطريقة غير مناسبة. فالتوازن بين الطموح والتواضع يُعد من أساسيات التربية الأخلاقيَّة التي تؤدِّي إلى بناء فرد مسؤول ومُدرك لواجباته وحقوقه في المجتمع.

والإمام عليه السلام يؤكِّد هنا على أنَّ الإنسان عندما يُدرك حجمه الحقيقي ويتعامل مع الآخرين بتواضع واحترام، فإنَّ ذلك يُجنبه الوقوع في الغرور والتهور، ويجعله أكثر قدرة على تحقيق النجاح بطريقة صحية. وهذه الفكرة تُسهم في تربية جيل قادر على تحمل المسؤوليات من دون أن يتجاوز حدوده أو ينجرّ خلف الأوهام التي تُشوه نظرته إلى نفسه وإلى الآخرين. وبهذا النهج، تصبح التربية وسيلة لبناء مجتمع متوازن، يتصرف كل فرد على وفق قدراته وإمكاناته، ممَّا يعزز الاحترام المتبادل والتعاون في الحياة الاجتماعية

٦- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْإِحْسَانِ وَسِيلَةٌ لِتَحْقِيقِ الْقِيَادَةِ بِالْمَحَبَّةِ: (أَحْسِنْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ)(١٧).

يعكس هذا القول الحكيم لأمير المؤمنين عليه السلام أهميَّة الإحسان في بناء العلاقات الإنسانيَّة والتأثير في الآخرين. فالإحسان لا يقتصر على تقديم الخير؛ بل هو أسلوب راقٍ في التعامل يجعل الإنسان محبوبًا ومؤثرًا فيمن حوله. عبر العطاء والكرم واللطف، يكسب الفرد احترام الناس وثقتهم، ممَّا يمنحه مكانة قيادية في المجتمع. وفي المنهج التربوي لفكر الإمام عليه السلام، يُعد الإحسان أداة فعالة لتحقيق التأثير الإيجابي؛ إذ يُمكن للفرد أن يكون أميرًا لا بالقوة والسلطة؛ بل بفضل أخلاقه وأفعاله الطيبة التي تجعله قدوة يُحتذى بها.

وتبرز هذه المقولة أهميَّة التربية الاجتماعية؛ إذ يؤدِّي التعامل الطيب مع الآخرين إلى اكتساب مكانة قيادية مبنية على الاحترام والمحبة، وهو مفهوم مركزي في التربية الحديثة التي تعزز الذكاء العاطفي والتفاعل الاجتماعي.

٧- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي إِصْلَاحِ الْبَاطِنِ طَرِيقٌ إِلَى صَلَاحِ الظَّاهِرِ: (مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَه أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ)[١٨].

يركز الإمام عليه السلام في منهجه التربوي على أهميَّة إصلاح النفس الداخلية قبل الاهتمام بالمظهر الخارجي. فالإنسان إذا سعى إلى تهذيب قلبه وأفكاره، وانتهج الصدق والإخلاص في نيته، فإنَّ الله عزَّ وجَّل يمنحه التوفيق ويُصلح أموره الظاهرة أمام الناس. هذه القاعدة الأخلاقيَّة تربي الفرد على ضرورة العناية بالقيم الجوهرية مثل: الأمانة والاستقامة؛ لأنَّ الإصلاح الحقيقي يبدأ من الداخل وينعكس إيجابًا على السلوك والعلاقات الاجتماعيَّة. وبذلك، يصبح الإنسان قدوة يُحتذى بها في المجتمع، ليس فقط بأفعاله الظاهرة؛ بل أيضًا بنقاء ذاته وصدق توجهه.

وتؤكِّد هذه المقولة على التربية الذاتيَّة كعامل أساس في تطوير الشخصيَّة؛ وهو ما يتفق مع المبادئ الحديثة التي تدعو إلى تعزيز الوعي الذاتي لضمان النمو الشخصي والاجتماعي.

٨- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَقْلِ وَأَهَمِّيَّتِهِ فِي تَحْقِيقِ الْانْسِجَامِ الِاجْتِمَاعِيِّ: (ثَمَرَةُ العَقْلِ مُدَارَاةُ النَّاسِ)[١٩].

يشير الإمام عليه السلام إلى أن الإنسان العاقل هو من يحسن التعامل مع الآخرين بحكمة ولطف. فالعقل ليس مجرد تفكيرٍ منطقيٍّ؛ بل هو وسيلة لفهم طبيعة البشر واستيعاب اختلافاتهم، ممَّا يسهم في تحقيق الانسجام الاجتماعي. وعبر المداراة، يستطيع الإنسان كسب القلوب وتجنب الصراعات غير الضرورية، وهو ما يعزِّز القيم التربويَّة القائمة على الاحترام والتفاهم المتبادل. وهذه الفكرة تتماشى مع نهجه القائم على العدل والرحمة في بناء مجتمع متماسك ومتوازن. وهي فكرة تتوافق مع الفلسفات التربويَّة التي تدعو إلى ربط الذكاء بالمهارات الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة.

٩- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّوَاضُعِ مِفْتَاحُ النَّجَاحِ وَالتَّكَبُّرُ سَبَبُ الذُّلِّ: (مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ)[٢٠].

يبين الإمام عليه السلام في هذا القول إلى خطورة التكبر وآثاره السلبية على الإنسان والمجتمع. فالتعالي على الآخرين يؤدِّي إلى العزلة ويجعل الفرد يفقد احترام الناس وثقتهم، ممَّا يسبب له الذل والانكسار في النهاية. وفي المنهج التربوي لفكر الإمام عليه السلام، يُعد التواضع قيمة أساس في بناء شخصيَّة ناجحة؛ إذ يعزز العلاقات الإيجابيَّة بين الأفراد ويمنحهم الاحترام المتبادل. لذلك، فإنَّ التواضع والتعامل بلطف مع الآخرين يجعلان الفرد أكثر تقديرًا ومحبة، بينما التكبر يقود إلى الفشل الاجتماعي والانحطاط. ويبرز قول الإمام عليه السلام إلى أهميَّة غرس هذه الفضيلة في المناهج التربويَّة.

١٠- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّرْبِيَةِ على وَفْقَ احْتِيَاجَاتِ الْعَصْرِ لَا اسْتِنْسَاخَ الْمَاضِي: (لا تُقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ)[٢١].

في منهج أمير المؤمنين عليه السلام التربوي، يؤكِّد على مبدأ جوهري في التربية، وهو ضرورة مراعاة الفروق الزمنيَّة والتطور الاجتماعي في تربية الأبناء. فالإمام عليه السلام يلفت الانتباه إلى أنَّ الأجيال تتغير، ولكل زمن متطلباته وخصوصياته، ممَّا يعني أنَّ التربية لا ينبغي أن تكون مجرَّد استنساخ لتجارب الماضي من دون النظر إلى احتياجات العصر. وهذا القول يعكس فهمًا عميقًا لطبيعة التغير في المجتمع، ويحث الآباء والمربين على اعتماد أساليب مرنة تتناسب مع ظروف الأبناء واحتياجاتهم الفكريَّة والنفسيَّة، بدلاً من فرض قواعد صارمة قد لا تكون ملائمة لزمنهم.

وبهذه النظرة التربويَّة، يرشد الإمام عليه السلام إلى بناء جيل قادر على مواجهة تحديات عصره، مستندًا إلى القيم الأخلاقيَّة الأصيلة؛ ولكن بأساليب تتماشى مع التطورات الحديثة، ممَّا يحقِّق توازنًا بين المبادئ الثابتة والظروف المتغيرة.

المَبْحَثُ الثَّانِي:

المَنْهَجُ الأَخْلَاقِيُّ فِي فِكْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام

تُعد الأخلاق جوهر التربية في فكر الإمام علي عليه السلام؛ إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقل والسلوك والتفاعل الاجتماعي. قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): "الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معًا يقال: فلان حسن الخلق والخلق، أي: حسن الظاهر والباطن، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة. فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا"[٢٢].

وفيما يلي تحليل عشرٍ من أقواله عليه السلام التي تشكل دعائم هذا المنهج:

١- قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي طَهَارَةِ الْأَصْلِ تَنْعَكِسُ فِي حُسْنِ الْأَخْلَاقِ: (أَطْهَرُ النَّاسِ أَعْراقًا، أَحْسَنُهُمْ أَخْلاقًا)[٢٣].

يُشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ طهارة الأصل ونقاء الجوهر يظهران في حسن الأخلاق. فالأخلاق الفاضلة تعكس صفاء النفس وتُجسّد التربية الصالحة التي نشأ عليها الإنسان. فالشخص الذي يتحلّى بصفات مثل: الصدق، الأمانة، الكرم، والتواضع يكون محبوباً بين الناس، ويترك أثراً إيجابياً في مجتمعه. كذلك فإنَّ حسن الأخلاق لا يقتصر على المعاملة الظاهرة؛ بل ينبع من القلب ويُعبّر عن قيم الإنسان الحقيقية. وفي فكر الإمام عليه السلام، يُعد حسن الخلق مفتاح النجاح في الدنيا، وهو الطريق إلى رضا الله تعالى وثواب الآخرة. لذلك، كلما سعى الإنسان إلى تهذيب نفسه والتحلي بالمروءة، زادت مكانته بين الناس وعظمت درجته عند الله عزَّ وجَّل. فالإنسان الذي يُحافظ على أخلاقه الفاضلة يُسهم في بناء مجتمع قائم على الاحترام والتسامح والتعاون.

٢- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّسَامُحِ وَالْعَطَاءِ جَوْهَرُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ: (إِنَّ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)[٢٤].

يُجسّد جوهر الأخلاق الفاضلة التي تقوم على التسامح والعطاء والتواصل (أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ). يعني أن تبادر إلى صلة الرحم والتواصل مع من ابتعد عنك، حتَّى لو كان قد قاطعك؛ لأنَّ ذلك يعزِّز المحبَّة ويُرسّخ العلاقات الإنسانيَّة. وأن (تُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ). يُشير إلى الكرم والإحسان؛ إذ يُحثّ الإنسان على العطاء حتى لمن لم يُقدّم له شيئاً، ممَّا يُظهر نُبل النفس وسمو الأخلاق. وأن (تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ). يُجسّد أعلى درجات التسامح، فالعفو عن الظالم يُعبّر عن قوة الإرادة ونقاء القلب، ويُسهم في نشر السلام والتآلف بين الناس. هذه القيم الأخلاقيَّة تُساعد في بناء مجتمع متماسك يقوم على الرحمة والتسامح؛ إذ يكون الإنسان مصدر خير وإصلاح، لا مصدر انتقام أو قطيعة. فكلما تحلّى الإنسان بهذه الصفات، زادت مكانته بين الناس. وفي المنهج الأخلاقي للإمام عليه السلام، تُعد هذه الصفات علامة على سمو النفس وعظمة الشخصيَّة؛ إذ يُشجّع الإنسان على تجاوز مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام، واستبدالها بالمحبة والإصلاح. فعندما يتحلى الفرد بهذه الأخلاق، فإنه يُحقق السلام الداخلي ويُسهم في نشر قيم التعايش والتسامح، ممَّا يجعل المجتمع أكثر استقراراً وترابطاً.

٣- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي حُسْنِ الْخُلُقِ مِفْتَاحُ الْقُلُوبِ وَاسْتِقْرَارُ الْمُجْتَمَعِ: (مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ كَثُرَ مُحِبُّوهُ وَأَنِسَتْ بِهِ النُّفُوسُ)[٢٥].

في المنهج الأخلاقي لأمير المؤمنين عليه السلام، يُعد حسن الخلق من أهم الأسس التي تُبنى عليها العلاقات الاجتماعية السليمة. ويؤكِّد الإمام عليه السلام على أنَّ التعامل بلطف واحترام مع الآخرين لا يؤدِّي فقط إلى كسب محبتهم؛ بل يجعل الإنسان مصدر راحة وسكينة لمن حوله، ممَّا يسهم في بناء مجتمع قائم على التآلف والمودة.

وحسن الخلق لا يقتصر على التصرفات الظاهرية؛ بل يشمل الصفات الجوهرية مثل: الصدق، الحلم، العفو، والتواضع، وهي كلها قيم تعزز الروابط الاجتماعية وتُقوي العلاقات بين الأفراد. وعندما يتحلَّى الإنسان بهذه الأخلاق، يصبح محبوبًا في مجتمعه، ويجد الناس راحة في التعامل معه، الأمر الذي يؤدِّي إلى انسجام اجتماعي متين، قائم على الثقة والاحترام المتبادل.

وفي فكر الإمام عليه السلام، الأخلاق ليست مجرد سلوكيات فردية؛ بل هي منهج تربوي واجتماعي يُسهم في استقرار المجتمع وتماسكه، ويُدرك الفرد أن حسن خلقه يؤثر بشكل مباشر على المحيطين به، ممَّا يجعل الحياة أكثر انسجامًا وسلامًا. من هنا، يُمكن عد الأخلاق الحسنة قاعدة جوهريَّة في بناء علاقات اجتماعية ناجحة ومثمرة.

٤- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَفْوِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ قُوَّةٌ أخلاقيَّة عَظِيمَةٌ:)إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْه شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْه)[٢٦].

هذه الحكمة العميقة تحمل رسالة أخلاقيَّة عظيمة تدعو إلى التسامح والعفو عند المقدرة. والفكرة الأساس هنا هي أنَّ القدرة على الانتقام ليست مبررًا لممارسته؛ بل يجب أن يكون العفو هو الشكر الحقيقي لهذه القدرة. فعندما يكون الإنسان في موقف قوة تجاه عدوه، فإنَّ الغريزة قد تدفعه إلى الانتقام، لكن الإمام عليه السلام يوجهنا إلى نهج أكثر سموًا، وهو العفو والتسامح، ممَّا يعكس قوة داخلية أكبر من مجرد القدرة على الرد بالمثل. فالعفو هنا ليس ضعفًا؛ بل هو تعبير عن السيطرة على النفس وعن إدراك أن الانتقام قد يؤدِّي إلى استمرار دائرة العداء، بينما العفو يفتح بابًا للصلح والسلام. كذلك فإنَّ هذه الحكمة تذكرنا بأنَّ النعم التي يمنحها الله تعالى للإنسان، ومنها القدرة والقوة، يجب أن تُشكر بطريقة صحيحة، وليس باستخدامها في الظلم أو الانتقام؛ بل في نشر الخير والتسامح. فالشكر الحقيقي للقدرة يكون باستخدامها في ما يرضي الله عزَّ وجَّل ويحقق العدالة والرحمة بين الناس. فيرسّخ الإمام عليه السلام قيمة التسامح كفضيلة

أخلاقيَّة راقية، موضحًا أنَّ العفو عند المقدرة يُعبِّر عن قوَّة أخلاقيَّة عظيمة لا يُدركها إلا أصحاب القيم النبيلة.

٥- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّنَافُسِ فِي الْفَضَائِلِ سَبِيلٌ لِلْجَزَاءِ الْعَظِيمِ: (تَنَافَسُوا فِي الْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، يَعْظُمُ لَكُمُ الْجَزَاءُ)[٢٧].

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يدعو إلى التنافس في الفضائل والأعمال العظيمة التي تعكس سموّ النفس وعلوّ الهمَّة. فـ (الْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ) تشير إلى القيم الرفيعة التي تُعدّ أساساً لبناء شخصيَّة قويَّة ومؤثرة في المجتمع. و(الْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ) تعكس الطموح الكبير والرؤية الواسعة؛ إذ يُحثّ الإنسان على السعي لتحقيق أهداف نبيلة تخدم الإنسانيَّة. أما (الْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ) تشير إلى مواجهة التحدِّيات الكبرى بشجاعة وإصرار؛ لأنَّ الإنجازات العظيمة لا تتحقق إلَّا عبر مواجهة المصاعب والاختبارات. فالتنافس في هذه المجالات يجعل الإنسان أكثر قوَّة ونضجاً، ويُؤهله لنيل الجزاء العظيم، سواء أكان ذلك في الدنيا عبر النجاح والتقدير، أو في الآخرة عبر الثواب الإلهي. فالإنسان الذي يُكرّس حياته لتحقيق هذه الفضائل يترك أثراً إيجابيّاً في مجتمعه، ويكون مصدر إلهام لمن حوله. وهذا المنهج الأخلاقي يُعزز الإرادة ويُحفّز الإنسان على بذل الجهد للوصول إلى أعلى درجات الكمال الإنساني.

٦- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعِلْمِ بَوَّابَةُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْفَضَائِلِ وَالرَّذَائِلِ: (رَأْسُ الْعِلْمِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَخْلَاقِ، وَإِظْهَارُ مَحْمُودِهَا، وَقَمْعُ مَذْمُومِهَا)[٢٨].

يُشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ جوهر العلم الحقيقي يكمن في القدرة على التمييز بين الأخلاق الحسنة والسيئة، والعمل على تعزيز الفضائل ومحاربة الرذائل. فالعلم ليس مجرَّد معرفة نظرية؛ بل هو وسيلة لتطوير النفس وتهذيب السلوك. وإظهار محمود الأخلاق يعني بيان الصفات الفاضلة، وجعلها أساس التعامل اليومي.

أمَّا قمع مذموم الأخلاق، فهو السعي للتخلص من الصفات السيئة؛ لأنَّها تُفسد العلاقات وتُضعف المجتمع. وهذا المنهج الأخلاقي يُعزِّز الوعي الذاتي، ويجعل الإنسان أكثر قدرة على اتخاذ قرارات صحيحة مبنيَّة على القيم السامية. فكلما كان الإنسان أكثر إدراكاً للتمييز بين الخير والشر، زادت حكمته، وأصبح أكثر تأثيراً في مجتمعه.

٧- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الرِّفْقِ وَاللِّيْنِ أَسَاسُ الْعَلَاقَاتِ الإنسانيَّة الْمَتِينِ: (الْعُسْرُ يُشِينُ الْأَخْلَاقَ، وَيُوحِشُ الرِّفَاقَ)[٢٩].

يعكس قول أمير المؤمنين عليه السلام مبدأً أخلاقياً جوهريّاً، ففي فكره عليه السلام أنَّ الإنسان إذا تعامل بالقسوَّة والتشدد في أموره، سواء أكان في كلامه أو تصرفاته، فإنَّ ذلك ينعكس سلباً على أخلاقه ويؤدِّي إلى نفور الناس منه. فالشدة تجعل الشخص يبدو متصلباً ومتزمتاً، ممَّا يؤدِّي إلى فقدان الود والانسجام بينه وبين محيطه الاجتماعي.

وفي المنهج الأخلاقي للإمام عليه السلام، نجد أنَّ اللين والرفق هما أساس العلاقات الإنسانيَّة السليمة، فكلما كان الإنسان متسامحاً وسهل المعشر، زادت محبَّة الناس له وتقاربت القلوب بينهم. كذلك فإنَّ التيسير في الأمور يخفِّف من الأعباء النفسيَّة ويعزِّز روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. هذا المبدأ الأخلاقي ينطبق على مختلف جوانب الحياة، سواء أكان في العلاقات العائليَّة، أو العمل، أو حتَّى في التعامل مع الأصدقاء والجيران.

ولذلك، يدعو الإمام عليه السلام إلى أن يكون الإنسان متوازناً في سلوكه، فلا يكون شديداً متعسفاً فيطلب ما هو فوق طاقة الآخرين، ولا يكون متساهلاً إلى درجة التفريط في المبادئ؛ بل عليه أن يسلك طريق الاعتدال، فيكون رحيم القلب، سهل التعامل، حسن الخلق؛ لأنَّ ذلك يزرع المحبة، ويقوي العلاقات الاجتماعيَّة، ويجعل الحياة أكثر سلاسة وراحة.

٨- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَقْلِ الْحَكِيمِ يُقَلِّلُ مِنَ الْكَلَامِ وَيَزِيدُ التَّأَمُّلُ: (إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ)[٣٠].

هذه الحكمة تعكس العلاقة بين العقل والكلام؛ إذ يشير عليه السلام إلى أنَّ اكتمال العقل يؤدِّي إلى تقليل الكلام. والفكرة هنا أنَّ الإنسان كلما زاد وعيه وإدراكه، أصبح أكثر انتقائيَّة في حديثه، فلا يتكلَّم إلَّا بما هو ضروري ومفيد. والعقل الواعي يدرك أنَّ كثرة الكلام قد تؤدِّي إلى الوقوع في الأخطاء أو الإسهاب غير الضروري، بينما الصمت المدروس يعكس عمق التفكير وحسن التدبير. فالشخص الحكيم يزن كلماته قبل أن ينطق بها، ويحرص على أن تكون ذات قيمة ومعنى، ممَّا يجعله أكثر تأثيرًا واحترامًا بين الناس. كذلك فإنَّ هذه الحكمة تذكرنا بأنَّ الحديث ليس مجرد كلمات تُقال؛ بل هو وسيلة للتواصل والتأثير، وكلما كان الإنسان أكثر حكمة، كان كلامه أكثر دقة وأقل إسرافًا. فالصمت في بعض الأحيان يكون أكثر بلاغة من الكلام؛ لأنَّه يعكس الفهم العميق والقدرة على الاستماع والتأمل، وهو ما يتماشى مع التربية الأخلاقيَّة التي تدعو إلى الاعتدال في الحديث.

٩- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي النَّصِيحَةِ الصَّادِقَةِ سَبِيلُ الْمَحَبَّةِ وَالْإِغْرَاءُ دَلِيلُ الْبُغْضِ: (مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ)[٣١].

يشير الإمام عليه السلام إلى أهميَّة النصيحة الصادقة كجزء من التربية الأخلاقيَّة. وقوله عليه السلام يعكس طبيعة العلاقات الإنسانيَّة وتأثيرها على سلوك الفرد. فالشخص الذي يحبك بصدق يسعى إلى نصحك وإرشادك لما فيه خيرك، حتَّى لو كان ذلك عبر النهي عن تصرفات قد تضر بك. في المقابل، من يحمل لك البغض قد يحاول إغراءك ودفعك نحو أفعال قد تؤذيك أو تضعك في مواقف غير محمودة.

فالحكمة هنا تكشف عن الفرق بين النصيحة الصادقة التي تهدف إلى حماية الإنسان من الأخطاء، والإغراء الذي قد يكون مدفوعًا بالمصلحة الشخصيَّة أو

الرغبة في الإيقاع بالآخرين. فالإنسان الحكيم يدرك أن من يحبه سيحاول توجيهه نحو الخير، بينما من يبغضه قد يسعى إلى تضليله عبر الإغراءات التي تبدو جذابة لكنها تحمل ضررًا مستترًا.

١٠- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي العَلاقَةُ بَيْنَ المَنْهَجِ الأَخْلاقِيِّ وَأَثَرِ الخَرْقِ فِي السُّلُوكِ: (إِيَّاكَ والْخَرْقَ فَإِنَّهُ شَيْنُ الأَخْلَاقِ)[٣٢].

الأخلاق الحسنة تعكس صفاء النفس ونقاء الجوهر. وهذا يتطلب الابتعاد عن التصرفات الطائشة التي قد تفسد صورة الإنسان أمام الآخرين. فالخرق، أي: التصرف بطيش، يتنافى مع هذا التوازن؛ لأنَّه يؤدِّي إلى قرارات غير مدروسة قد تضر بصاحبها وبمن حوله. وفي المجتمع، الشخص الذي يتصرف بحكمة ورزانة يكون أكثر احترامًا وتأثيرًا، بينما الشخص الذي يتصرف بطيش واندفاع قد يفقد ثقة الآخرين. وهذا يتماشى مع تحذير الإمام عليه السلام من الخرق؛ لأنَّه يفسد العلاقات الاجتماعيَّة ويؤدِّي إلى نتائج غير محمودة.

ففي القيادة واتخاذ القرارات: الشخص الذي يتصرف بتهور دون تفكير قد يتَّخذ قرارات خاطئة تؤدِّي إلى خسائر كبيرة، بينما الشخص الحكيم يدرس الأمور بعناية قبل اتخاذ أي خطوة.

وفي التعامل مع الآخرين: الإنسان الذي يندفع في كلامه وتصرفاته دون مراعاة مشاعر الآخرين قد يسبب الأذى، بينما الشخص الذي يتحلى بالحكمة والهدوء يكون أكثر قدرة على بناء علاقات قوية.

وفي مواجهة الأزمات: عند التعرض لموقف صعب، الشخص الطائش قد يتصرف بانفعال ويزيد المشكلة تعقيدًا، بينما الشخص الحكيم يتعامل مع الأمور بهدوء ويبحث عن حلول مناسبة.

إذن، تحذير الإمام عليه السلام من الخرق هو دعوة إلى التحلي بالحكمة والتروي؛ لأنَّ الأخلاق الفاضلة لا تقتصر على حسن المعاملة؛ بلْ تشمل أيضًا التفكير السليم واتخاذ القرارات بحكمة.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ:

تَكَامُلُ المَنْهَجِ التَّرْبَوِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ فِي فِكْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام وَتَطْبِيقَاتُهُ

لا يمكن الفصل بين التربية والأخلاق عند بناء شخصيَّة الإنسان المتكاملة؛ فالتربية تُزوّد الفرد بالمعرفة والتعليم، بينما تسهم الأخلاق في تهذيب السلوك وضبط التفاعل الاجتماعي. وقد شدّد الإمام عليه السلام على أنَّ التربية يجب أن تقود إلى العلم النافع، وأنَّ الأخلاق تلعب دورًا في توجيه هذا العلم ليكون وسيلة للإصلاح والتقدم. لذلك، فإنَّ الدمج بين المنهجين التربوي والأخلاقي يسهم في إعداد فرد متزن فكريًّا وسلوكيًّا.

ويهدف هذا المبحث إلى توضيح العلاقة بين التربية والأخلاق في فكر الإمام عليه السلام، فضلاً عن استعراض التطبيقات العمليَّة لهذه المبادئ في الحياة اليوميَّة، لا سيَّما في المجالات الاجتماعيَّة والتربويَّة المختلفة.

وفيما يلي تحليل عشرٍ من أقواله عليه السلام التي تشكل دعائم هذا المنهج التربوي والأخلاقي:

١- قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي المَعْرِفَةِ بِالنَّفْسِ أَسَاسُ الْعَقْلِ وَالتَّرْبِيَةِ: (أَفْضَلُ العَقْلِ مَعْرِفَةُ المَرءِ بِنَفْسِهِ، فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَقِلَ، وَمَنْ جَهِلَهَا ضَلَّ)[٣٣].

يربط الإمام عليه السلام بين التربية الأخلاقيَّة وتنمية العقل، مؤكدًا أنَّ إدراك الإنسان لذاته هو مفتاح الارتقاء الفكري والأخلاقي. فالمعرفة بالنفس ليست مجرد تأمل فردي؛ بل هي أساس يُمكّن الإنسان من محاسبة نفسه وتطويرها على وفق المبادئ الصحيحة.

إنَّ الشخص العاقل لا يكتفي بالتفكير المجرد؛ بل يسعى ليكون أكثر وعيًا بمسؤوليَّاته الأخلاقيَّة، ممَّا يساعده على اتخاذ قرارات سليمة.

كذلك يُشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ الجهل بالذات يؤدِّي إلى الضياع في السلوك والقرارات؛ إذ يصبح الإنسان عرضة للتأثر بالعوامل الخارجيَّة السلبيَّة التي قد تدفعه إلى التخبط واتخاذ خيارات خاطئة. لذا، فإنَّ فهم النفس والعمل على تهذيبها يشكلان أحد الأسس الجوهريَّة لمنهجه التربوي.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

يقدّم الإمام عليه السلام رؤية عمليَّة لدمج التربية والأخلاق في الحياة اليومية، منها:

اعتماد المحاسبة الذاتيَّة كمنهج يومي يُساعد على التطوير الشخصي والأخلاقي.

ترسيخ مفهوم التأمل الذاتي في تنشئة الأفراد، ممَّا يمكنهم من إدراك نقاط القوة والضعف.

تعزيز العقلانيَّة الأخلاقيَّة في التعاملات الاجتماعيَّة والسياسيَّة.

ربط القرارات الشخصيَّة بالمسؤوليَّة الأخلاقيَّة لضمان تصرفات حكيمة.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام على أنَّ التربية والأخلاق ليستا نظامين منفصلين؛ بل يكملان بعضهما بعضًا لتشكيل شخصيَّة واعية ومتزنة. فالتربية تمنح الإنسان المعرفة، بينما تُوجّه الأخلاق هذه المعرفة نحو السلوك القويم والتفاعل الإيجابي داخل المجتمع.

٢- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْأَخْلَاقِ فِي تَكْوِينِ الشخصيَّة الْمُتَوَازِنَةِ: (الْخُلُقُ الْمَحْمُودُ مِنْ ثِمَارِ الْعَقْلِ)[٣٤].

يربط الإمام عليه السلام بين العقل والأخلاق، مؤكدًا أنَّ الأخلاق الحسنة هي انعكاس مباشر لعقل واعٍ ومستنير. فالعقل السليم يدفع الإنسان إلى التصرف على وفق القيم الفاضلة، بينما يؤدِّي الجهل إلى سلوكيات خاطئة تضر بالفرد والمجتمع. فالأخلاق ليست مجرد صفات مكتسبة؛ بل تنبع من فهم الإنسان للخير والشر عن طريق تفكيره العميق وإدراكه لتداعيات أفعاله.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

تنمية الوعي الذاتي عبر التفكير النقدي ومراجعة السلوك باستمرار.

تعزيز الحكمة في ضبط التصرفات واتخاذ قرارات أخلاقيَّة قائمة على مبادئ راسخة.

مكافحة الجهل بالعلم والمعرفة لضمان تطور الفرد أخلاقيًا واجتماعيًا.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ الأخلاق والعقل متلازمان، فلا يمكن للإنسان أن يكون مستقيمًا في أخلاقه من دون امتلاك عقل راجح يوجهه نحو القيم الصحيحة، ممَّا يسهم في بناء شخصيَّة متوازنة ومجتمع أكثر وعيًا.

٣- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْخِيَانَةِ وَأَثَرِهَا فِي تَهْدِيدِ الْقِيَمِ الإنسانيَّة: (أَقْبَحُ الأَخْلَاقِ الخِيَانَةُ)[٣٥].

يرى الإمام عليه السلام أنَّ الخيانة من أسوأ الصفات التي يمكن أن يتحلى بها الإنسان؛ لأنَّها تُضعف العلاقات الإنسانيَّة وتُفقد الثقة بين الناس. فالخيانة لا تقتصر على الغدر بين الأفراد فقط؛ بل تمتد لتشمل الجوانب الاجتماعيَّة والسياسيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى الفوضى والانهيار الأخلاقي.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

ترسيخ قيم الأمانة والوفاء في التربية منذ الصغر.

تعزيز ثقافة الصدق والشفافية في التعاملات اليومية والمهنية.

محاسبة النفس لضمان الالتزام بالمبادئ الأخلاقيَّة.

نشر الوعي بأضرار الخيانة وتأثيرها السلبي على الأفراد والمجتمعات.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ الخيانة ليست مجرد تصرف خاطئ؛ بل هي سلوك يهدم القيم الإنسانيَّة، ممَّا يستوجب محاربتها بالتربية الصحيحة وغرس فضائل الأمانة والوفاء.

٤- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَدْلِ أَسَاسُ الاِسْتِقْرَارِ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ وَفْرَةِ الْمَوَارِدِ: (عَدْلُ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِنْ خِصْبِ الزَّمَانِ)[٣٦].

يؤكِّد الإمام عليه السلام على أنَّ العدل في الحكم هو العامل الأهم في تحقيق الاستقرار والرخاء، أكثر من مجرد وفرة الموارد والخيرات. فحتَّى لو كانت البلاد غنية، فإنَّ غياب العدل يؤدِّي إلى الفوضى والفساد؛ إذ تصبح الثروات مُحتكرة لدى فئات معينة، بينما يعاني بقية المجتمع.

كذلك فإنَّ العدل لا يقتصر على الحُكام فقط؛ بل هو مبدأ يجب أن يُطبّق في جميع جوانب الحياة، بدءًا من الأسرة إلى العمل والمجتمع بأسره. فالعدالة تُسهم في استقرار العلاقات الإنسانيَّة وتعزِّز الشعور بالمساواة بين الأفراد، ممَّا يخلق بيئة آمنة ومزدهرة للجميع.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

ترسيخ ثقافة العدل في القرارات لضمان عدم استغلال الفئات الضعيفة.

محاسبة المسؤولين ومكافحة الفساد لضمان توزيع الموارد بشكل منصف.

تعليم الأفراد أهميَّة العدالة في التعاملات اليومية، بدءًا من الأسرة إلى المجتمع الأكبر.

إشراك الجميع في صنع القرار لضمان تطبيق العدالة بأسلوب شامل يراعي حقوق الجميع.

وبهذا يوضح الإمام عليه السلام أنَّ العدل ليس مجرد فضيلة أخلاقيَّة؛ بل هو أساس الحكم الصالح، وهو العنصر الحقيقي الذي يضمن استقرار المجتمع أكثر من توفر الموارد وحدها.

٥- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعِلْمِ وَأَثَرِهِ فِي تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَتَمْيِيزِ الْفَضَائِلِ عَنْ الرَّذَائِلِ: (رَأْسُ العِلْمِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الأَخْلَاقِ، وَإِظْهَارُ مَحْمُودِهَا، وَقَمْعُ مَذْمُومِهَا)[٣٧].

يربط الإمام عليه السلام بين العلم والأخلاق، مؤكِّدًا أنَّ المعرفة الحقيقية لا تقتصر على استيعاب المعلومات فقط؛ بل تشمل القدرة على التمييز بين الفضائل والرذائل، واتخاذ الموقف الصحيح منها. فالإنسان الذي يمتلك علمًا نافعًا هو الذي يسعى إلى إظهار الأخلاق الحسنة وتعزيزها، وفي الوقت نفسه يحارب السلوكيَّات السيئة التي تهدد المجتمع.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ العلم ليس مجرد وسيلة لاكتساب المعرفة؛ بل هو أداة للتوجيه الأخلاقي، ممَّا يساعد الفرد في اتخاذ قرارات حكيمة قائمة على مبادئ صحيحة، ويجعل المجتمع أكثر استقامة وتوازنًا.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

تعزيز الوعي الأخلاقي في المناهج التعليميَّة لتمكين الأفراد من فهم القيم الفاضلة.

ممارسة النقد الذاتي لمراجعة السلوك الشخصي وتقويم الأخطاء.

الالتزام بتطبيق الأخلاق الحميدة في الحياة اليومية، كالصدق والعدل والأمانة.

مكافحة الفساد والسلوكيَّات السلبية لضمان بيئة أخلاقيَّة سليمة تحترم المبادئ السامية.

وبهذا يؤكد الإمام عليه السلام أنَّ العلم الحقيقي هو الذي يهذِّب السلوك ويوجه الإنسان نحو القيم الفاضلة، ممَّا يجعل المعرفة وسيلة للإصلاح والتقدم، وليس مجرد تراكم للمعلومات.

٦- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْإِحْسَانِ وَأَثَرِهِ فِي التَّأْثِيرِ الِاجْتِمَاعِيِّ: (أَحْسِنْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ)(٣٨).

يربط الإمام عليه السلام بين الإحسان والتأثير الاجتماعي، موضحًا أنَّ المعاملة الطيبة تمنح الإنسان مكانة عالية في قلوب الآخرين؛ إذ يصبح له تأثير إيجابي عليهم وكأنَّه أميرهم معنويًا. فالإحسان لا يقتصر على تقديم المساعدة المادية فقط؛ بل يشمل التعامل بلطف، وإبداء الاحترام، وغرس قيم التعاون والمودة.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ الإحسان يولد شعورًا بالامتنان، ممَّا يعزز روابط الثقة والمحبة بين الأفراد، ويؤدِّي إلى بناء مجتمع متماسك بعيد عن الأنانية والجفاء. فالإنسان الذي يقدم الخير دون انتظار مقابل يكون محبوبًا ومؤثرًا فيمن حوله، ممَّا يعزز القيم الأخلاقيَّة ويجعل العلاقات الإنسانيَّة أكثر قوَّة واستدامة.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

ممارسة العطاء من دون توقع مردود شخصي لتعزيز ثقافة التعاون.

التحلي باللطف والاحترام في جميع التعاملات اليومية.

نشر ثقافة الإحسان والتكافل لضمان بيئة اجتماعية أكثر ترابطًا.

الحرص على تقديم الخير في جميع المواقف لتعزيز التأثير الإيجابي.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ الإحسان ليس مجرَّد تصرف؛ بل هو قوَّة معنوية تؤثِّر في حياة الآخرين، وتخلق مجتمعًا أكثر تماسكًا وازدهارًا.

٧- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْقِيَادَةِ الْحَكِيمَةِ أَسَاسُ اسْتِمْرَارِيَّةِ الْحُكْمِ: (مَنْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ دَامَتْ رِيَاسَتُهُ)[٣٩].

يُركِّز الإمام عليه السلام على أهميَّة حسن التدبير في القيادة؛ إذ يوضح أنَّ نجاح القائد لا يعتمد فقط على امتلاك السلطة؛ بلْ على القدرة على إدارة الأمور بحكمة وعدل. فالقيادة مسؤوليَّة تتطلب تفكيرًا استراتيجيًا واتخاذ قرارات تحقق الخير للجميع، ممَّا يضمن استمرارية الحكم واستقرار المجتمع.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ القائد العادل، الذي يضع مصالح الناس في مقدمة أولوياته، يكون أكثر قدرة على الحفاظ على مكانته وكسب ثقة شعبه. أمَّا الظلم وسوء التدبير، فيؤدِّيان إلى انهيار الحكم وزعزعة استقرار المجتمع، ممَّا يجعل القيادة غير قادرة على الاستمرار.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

الاستماع إلى آراء الناس لضمان اتخاذ قرارات عادلة تعكس احتياجاتهم.

التخطيط بعيد المدى لتحقيق التنمية والاستقرار.

الابتعاد عن الاستبداد وتعزيز ثقافة الحوار في جميع القرارات.

محاربة الفساد لضمان النزاهة والعدالة في الحكم.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ القيادة الناجحة تتطلب إدارة حكيمة ورؤية عادلة؛ إذ يكون القائد القادر على تحقيق التوازن بين السلطة والعدل أكثر قدرة على الحفاظ على مكانته وضمان استمرارية حكمه.

٨- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْفَقْرِ نَتِيجَةٌ لِغِيَابِ الْعَدَالَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: (مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ)(٤٠).

يوضح الإمام عليه السلام في هذا القول أنَّ الفقر ليس مجرد مصير محتوم؛ بل هو نتيجة مباشرة لسوء توزيع الثروات واستئثار الأغنياء بها من دون مراعاة حقوق المحتاجين. فالقول يُشير إلى أنَّ المجتمعات التي تعاني من الفقر لا تعاني بالضرورة من قلة الموارد؛ بل من غياب العدالة الاقتصاديَّة التي تؤدِّي إلى تفاوت اجتماعي كبير.

كذلك يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل في أموال الأغنياء حقوقًا للفقراء، بحيث يكون العطاء والإنفاق جزءًا من التوازن المجتمعي الذي يضمن استقرار الجميع. ولذلك، فإنَّ غياب الإنصاف في توزيع الثروات يؤدِّي إلى حرمان الطبقات المحتاجة من أبسط حقوقها، ممَّا يعمّق الفجوة بين الأغنياء والفقراء ويزيد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

تعزيز ثقافة العطاء والإنفاق كجزء من المسؤولية المجتمعيَّة.

إقرار قوانين تضمن العدالة الاقتصاديَّة والتوزيع العادل للثروات.

محاربة الفساد المالي الذي يؤدِّي إلى تفاقم الفقر وغياب الحقوق.

تشجيع المشاريع التنموية التي تساعد الفقراء على تحسين أوضاعهم.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ معالجة الفقر لا تتم فقط عن طريق زيادة الموارد؛ بل عبر تحقيق العدالة الاقتصادية وضمان حصول الفقراء على حقوقهم، ممَّا يؤدِّي إلى حياة كريمة للجميع.

٩- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي التَّوَازُنِ بَيْنَ الْعَقْلِ الْفِطْرِيِّ وَالْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ: (العَقلُ عَقلانِ؛ عَقلُ الطَّبعِ وعَقلُ التَّجرِبَةِ، وَكِلاهُمَا يؤدِّي المَنفَعَةَ)[٤١].

يرى الإمام عليه السلام أنَّ العقل البشري ينقسم إلى نوعين متكاملين:

عقل الطبع (العقل الفطري): وهو الفطرة التي يولد بها الإنسان، والتي تمكِّنه من إدراك الأمور الأساس من دون الحاجة إلى تجربة مسبقة. ويشمل هذا العقل الحدس الطبيعي، القدرة الفطرية على التمييز بين الخير والشر، والتفاعل الفوري مع المواقف الحياتية.

عقل التجربة (العقل المكتسب): وهو المعرفة التي يكتسبها الإنسان عبر التعلم والتجارب؛ إذ تعتمد على التحليل والخبرة والاستنتاج، ممَّا يساعده على اتخاذ قرارات أكثر دقة بناءً على المعرفة السابقة.

ويشير الإمام عليه السلام إلى أنَّ الإنسان يحتاج إلى التوازن بين هذين النوعين من العقل ليصل إلى الحكمة الحقيقية، فلا يكفي أن يعتمد على فطرته فقط؛ بل يجب أن يدعمها بالتعلم والتجربة، حتَّى يكون قادرًا على اتخاذ قرارات صائبة تلبي احتياجاته وظروفه.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

تعزيز التفكير النقدي: الجمع بين الفطرة والتجربة في اتخاذ القرارات لضمان التوازن.

الاهتمام بالتعلم المستمر: عدم الاكتفاء بالمعرفة الفطرية؛ بل السعي لاكتساب الخبرات.

الاعتماد على الحدس مع التحليل: استخدام الفطرة كدليل أولي، ثمَّ التحقق من صحة القرارات عبر التجربة العمليَّة.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ الحكمة ليست مجرد إدراك فطري، ولا مجرد تراكم للمعرفة؛ بل هي مزيج متناغم بين الفطرة والتجربة، ممَّا يساعد الإنسان على بناء شخصيَّة متوازنة وقادرة على مواجهة التحديات بوعي وحكمة.

١٠- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ كَأَسَاسٍ لِقِيمَةِ الْإِنْسَانِ: (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ)[٤٢].

يركّز الإمام عليه السلام على أنَّ قيمة الإنسان لا تتحدد بمكانته الاجتماعية أو ممتلكاته؛ بل بمدى إتقانه لما يقوم به. فالإنسان الذي يتقن عمله، سواء أكان في العلم أو المهارات أو الحرف، يصبح ذو قيمة عالية في مجتمعه، ويحقق تأثيرًا إيجابيًا على من حوله.

كذلك يوضح الإمام عليه السلام أنَّ كلَّ فرد يجب أن يعمل في المجال الذي يُحسنه، وأن تجنب التطفل على المجالات غير المتقنة هو جزء من النجاح الحقيقي. فمن يعمل فيما لا يُجيده قد يُعرّض نفسه والمجتمع للضرر، بينما من يسعى إلى تطوير مهاراته وتحقيق الإتقان يُصبح أكثر نفعًا لنفسه وللآخرين.

التطبيقات العمليَّة للمنهج التربوي والأخلاقي:

التركيز على تطوير المهارات الشخصيَّة لضمان تحقيق التفوق في العمل والعلم.

احترام التخصصات وعدم التدخل في مجالات لا يمتلك الفرد خبرة فيها.

تعزيز ثقافة الإبداع والإتقان في المؤسسات التعليميَّة والمهنية لضمان الجودة والتقدم.

الحرص على التعلم المستمر لمواكبة التطورات وضمان تحقيق النجاح الحقيقي.

وبهذا يؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ قيمة الإنسان تكمن في إتقانه لما يقوم به، ممَّا يعزز دوره في المجتمع ويجعله أكثر تأثيرًا وإنتاجية، ويسهم في تحقيق نهضة أخلاقيَّة وتنموية مستدامة.

الخاتمة:

يُبين هذا البحث أهميَّة الفكر التربوي والأخلاقي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ يعكس منهجه رؤية متكاملة لبناء شخصيَّة الإنسان على وفق القيم الفاضلة والمعرفة السليمة. فقد أكَّد الإمام عليه السلام على ضرورة الربط بين العلم والأخلاق؛ إذ لا يكتمل العقل إلا بحسن السلوك، كذلك فإنَّ الاجتهاد والتحلي بالقيم الإنسانيَّة يسهمان في نجاح الفرد وتقدّم المجتمع. ومن طريق تحليل أقواله، وجدنا أنَّ تربية الفرد يجب أن تشمل تهذيب النفس، تعزيز الاستقلالية الفكريَّة، وتطبيق مبادئ العدالة والتسامح في الحياة اليومية.

النَتَائِجُ:

عبر دراسة المنهج التربوي والأخلاقي للإمام علي عليه السلام، توصل البحث إلى النتائج التالية:

١- التربية في فكر الإمام عليه السلام تستند إلى العلم والأخلاق؛ إذ لا يمكن أن يكتمل أحدهما دون الآخر.

٢- التعليم المبكر له دور محوري في بناء الشخصيَّة؛ إذ يُعَد أساسًا للمعرفة والسلوك القويم.

٣- التحلي بالحكمة وضبط النفس يُعد من أهم القيم التربويَّة التي تعزز استقرار الإنسان وتفاعله الإيجابي مع مجتمعه.

٤- التسامح والعدل هما ركيزتان أساسيتان في التربية الأخلاقيَّة؛ إذ يؤدِّيان إلى نشر السلام وتقوية العلاقات الاجتماعيَّة.

٥- التواضع والإحسان للآخرين يزيدان من مكانة الإنسان واحترامه، ويؤدِّيان إلى تعزيز الروابط الاجتماعية القائمة على الاحترام المتبادل.

التَّوْصِيَاتُ:

بناءً على ما توصَّل إليه البحث، يُوصي الباحث بما يلي:

١. إدراج الفكر التربوي والأخلاقي للإمام علي عليه السلام ضمن المناهج التعليميَّة لتعزيز التربية الأخلاقيَّة لدى الطلاب.

٢. تكثيف الدراسات التربويَّة حول القيم الإسلاميَّة في بناء الإنسان والمجتمع، وربطها بالمناهج التعليميَّة الحديثة.

٣. تعزيز مفاهيم العدل والتسامح والتواضع في التربية الأسرية لضمان غرس القيم الأخلاقيَّة منذ الصغر.

٤. تنمية التفكير النقدي والاستقلالية الفكريَّة لدى الأفراد لمساعدتهم على اتخاذ قرارات واعية دون التأثر السلبي بالضغوط الخارجيَّة.

٥. الإفادة من تعاليم الإمام عليه السلام في برامج التنمية البشريَّة لتقديم أنموذج أخلاقي يُحتذى به في الحياة اليومية.

٦. إقامة ندوات وحلقات بحثية حول القيم التربويَّة والأخلاقيَّة لمناقشة سبل تعزيز هذه المبادئ في المجتمعات الحديثة.

الهَوَامِشُ:

١- ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ٥٠٤.

٢- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٣٨٣.

٣- سورة المائدة، الآية ٤٨.

٤- ينظر: الرَّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ٨٢٥.

٥- الفضلي، أصول البحث، ٤٩.

٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٦.

٧- ابن سيده، المخصص، ٧٥.

٨- ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٦٥.

٩- ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ٥٢٥.

١٠- الرَّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ٦٤٣.

١١- السيد السيستاني، الرافد في علم الأصول، ٣١٣.

١٢- الواسطي، عيون الحكم، ٣٣٥.

١٣- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، ٤٠١.

١٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٦٧.

١٥- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، ٥٠٧.

١٦- الآمدي، غرر الحكم، ١٦٣؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ١/ ٥٥.

١٧- الواسطي، عيون الحكم، ٨٣.

١٨- الآمدي، غرر الحكم، ٢٦٢.

١٩- الواسطي، عيون الحكم، ٢٠٩.

٢٠- الآمدي، غرر الحكم، ٢١٦؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ٢٦٥٩.

٢١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٦٧.

٢٢- ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٨/ ٩٦.

٢٣- الحلواني، نزهة الناظر، ٣٦.

٢٤- الواسطي، عيون الحكم، ١٤٣.

٢٥- الآمدي، غرر الحكم، ١٧٠.

٢٦- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/ ٤٢٧.

٢٧- الواسطي، عيون الحكم، ٢٠٠.

٢٨- الآمدي، غرر الحكم، ٢١؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ١/ ٨٠١.

٢٩- الآمدي، غرر الحكم، ٢٤٧؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٠/ ٢١٤.

٣٠- الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، نهج البلاغة، ٤٨٠؛ الواسطي، عيون الحكم، ١٣٤.
٣١- الحلواني، نزهة الناظر، ٨٨.
٣٢- الآمدي، غرر الحكم، ١٧٩.
٣٣- الواسطي، عيون الحكم، ١١٦؛ السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٦/ ١٧٣.
٣٤- الآمدي، غرر الحكم، ١٦٩؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ١/ ٧٩٨.
٣٥- الواسطي، عيون الحكم، ١١٨.
٣٦- ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ١/ ٥٥٦، ٢/ ١٦١٨٦.
٣٧- الآمدي، غرر الحكم، ٢١؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ١/ ٨٠١.
٣٨- الواسطي، عيون الحكم، ٨٣.
٣٩- ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ١/ ٥٥٥؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ٢/ ١٣٨٤.
٤٠- العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٤، ٢٨/ ٢٩٤؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ٣٠.
٤١- الشافعي، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ٤، ٤٩؛ الريشهري، موسوعة العقائد الإسلاميَّة، ١/ ١٦٦.
٤٢- الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، نهج البلاغة، ١٥.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ:

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

المَصَادِرُ:

الآمدي، أبو الفتح، عبد الواحد بن محمد التميمي (ت ٥٥٠هـ):
غُرر الحِكَم وَدرر الكلم، (مؤسسة التبليغ الإسلامي، قم، ١٣٦٦هـ).

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ):
شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).

الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن (ت القرن ٥):
نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، (مطبعة مهر، قم، ١٤٠٨هـ).

الرَّاغِبُ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ):
مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (مطبعة سليمان زادة، قم، ١٤٢٧هـ).

الزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ):
تاج العروس من شرح القاموس (المسمى تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).

ابن سِيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ):
المخصص، تحقيق دار إحياء التراث العربي، (الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت).

الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ):
مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله، تحقيق ماجد أحمد العطية، (د مط، دت).

ابن الصباغ، عليّ بن محمّد أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ):
الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، حققه ووثّق أصوله وعلّق عليه سامي الغريري، (دار الحديث، مطبعة سرور، قم، ١٤٢٢هـ).

الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِب عليه السلام: أبو الحسن عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِب بن عبد المطلب (ت ٤٠هـ):
نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أَمِيْر الْمُؤْمِنِين أبي الحسن عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِب عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة وحققه صبحي الصالح، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ):
إحياء علوم الدين، (دار الكتاب العربي، بيروت، د ت).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ):
معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ).

الواسطي، الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي (ت ق٦):

عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، (دار الحديث، قم، ١٤١٨هـ).
المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ):
بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ).
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ):
لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ).
ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ):
شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبِلَ بعِدَّة نُسَخ مَوثوقٌ بها، (الناشر مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).

المَراجِعُ:

الريشهري، محمد:
موسوعة العقائد الإسلاميَّة، (مطبعة دار الحديث، بيروت، ١٤٢٥هـ).
موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ بمساعدة محمّد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي، (دار الحديث، قم، ١٤٢١هـ).
ميزان الحكمة، (دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).
السيد السيستاني، السيد علي الحسيني:
الرافد في علم الأصول، محاضرات آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله، بقلم السيد منير السيد عدنان القطيفي، (مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ).
السيد الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤١٢هـ):
الميزان في تفسير القران (تفسير الميزان)، (الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د ت).
العاملي، جعفر مرتضى:
الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، (دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ).
عبد الباقي، محمد فؤاد:
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (المكتبة الإسلاميَّة، إسطنبول، د ت).
الفضلي، عبد الهادي:
أصول البحث، (مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم - إيران).

بناء الإنسان في الاتجاهات التنموية؛ قراءة نقدية للمقاربات التنموية وتحدياتها في تراث أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

أ.م.د. مسلم طاهري

جامعة طهران - مجمع الفارابي / كلية الإلهيات/ إيران

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى إعادة قراءة نقدية لمفهوم التنمية في ضوء فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، عبر تحليل الأسس التي يقوم عليها بناء الإنسان بوصفه جوهر العملية التنموية ومحورها. تنطلق الورقة من نقد الاتجاهات المعاصرة التي حصرت التنمية في أبعادها الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، متجاهلة البعد الإنساني الذي يشكّل الأساس الحقيقي لأيِّ مشروع نهضوي مستدام.

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي - التحليلي في تفكيك المقاربات التنموية الحديثة، وتبيّن كيف أن الإمام عليّاً عليه السلام قدَّم في نهجه رؤية تكاملية تجعل من الإنسان غاية التنمية ووسيلتها في آنٍ واحد. فقد دعا إلى تربية الإنسان تربية معرفية وأخلاقية تسهم في تحقيق العدالة، وتؤسس لنظم اقتصادية وسياسية واجتماعية تنطلق من القيم لا من المصالح.

وتخلص الدراسة إلى أنَّ الفكر العلوي لا ينظر إلى التنمية بوصفها عملية مادية فحسب، بل مشروعًا إنسانيًا - روحيًا - أخلاقيًا يعيد التوازن بين المادة والمعنى، والعقل والوحي، ويجعل من العلم والعمل والعدالة ركائز لبناء الإنسان والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، التنمية، الفكر العلوي، المقاربات التنموية، الشريعة والعقلانية، الإمام علي عليه السلام.

Abstract

This paper seeks to study the concept of "building humanity" through a critical re-examination of developmental approaches—whether economic, political, social, or cultural. It focuses on the developmental perspective that views development as a fundamentally human endeavor. Employing qualitative and descriptive-analytical methodologies, the research critically evaluates contemporary

developmental trends in this context.

The key insight of this study is that "development," as a human-centric process, must return to the human roots of social life. It redefines the boundaries of human agency across various domains. Unlike conventional approaches that merely treat "humanity" as a passive subject of development, this research advocates for developmental systems and frameworks grounded in human dignity and potential. It shifts the discourse beyond economic metrics (e.g., individual or collective wealth), political structures (e.g., formal power dynamics), social considerations (e.g., ethnic, religious, or linguistic harmony), and cultural elements (e.g., collective identity markers).

While existing models have generated specific economic, political, social, and cultural systems through human-centered education and ethics, they often fail to link developmental obstacles directly to economic, political, social, or cultural transformations. Instead, this paper argues that it is "humanity" itself—through its intrinsic values and agency—that must define the foundational principles, general directions, and practical dimensions of development.

Keywords: Humanity, Developmental Approaches; Developmental Thought; Sharia and Rationality; Imam Ali (AS).

١/ مقدمة

لا يخفى على الباحثين أنَّ عدد الأبعاد التنموية بدوره غير متفق عليه بين العلماء والمفكرين، بيد أنَّه يمكن تسمية بعض الأمور الأساسية في الحياة الإنسانية؛ حيث تبلورت الأفكار المعاصرة الناظرة إلى التنمية في ضوئها. إنَّ "الأمر الاقتصادي(the economic)، و"الأمر السياسي" (the political)، و"الأمر الاجتماعي"(the social)، و"الأمر الثقافي" (the cultural) وصولًا إلى "الأمر الإنساني" (the humanity) في نهاية المطاف، تشكّل في مجموعها خمسة مفاهيم نظرية عن الأمور الحيوية في الحياة الإنسانية لكلِّ مجتمع.

وهناك من عدَّها زائدة "أمرًا اقتصاديًا"، وعمل بعد جهود مفهومية ناظرة إليها على تنظيم سائر الأبعاد الإنسانية الحيوية؛ وفي هذه الرؤية حجزت مسألة الثروة، ومسار إنتاجها وتوزيعها واستهلاكها لنفسها فضاءً مفهوميًا ونظريًا ملحوظًا.

وهناك الكثير من الذين ربطوا التنمية بـ "الأمر السياسي" لا بوصفها أمرًا اقتصاديًا وإنَّما بتحققها أو ماهيتها، بدعوى أنَّ التنمية يجب فهمها أولًا وبالذات بوصفها أمرًا سياسيًا، وأن يتمَّ تحديدها وبيان دورها في السلطة وجهاز الحكم في المجتمع، وبعد أن حصل توافق وإجماع في هذه المساحة على نطاق واسع، يتم العمل على تنظيم أربعة أركان أخرى في المجتمع بالنظر إلى تحولات من هذا النوع.

وهناك من العلماء والمفكرين من لم يعدُّوا التنمية أمرًا اقتصاديًا ولا أمرًا سياسيًا، بل عدُّوها "أمرًا اجتماعيًا"، وقالوا بأنَّ التنمية مسار يجب أن يجري على مستوى أعمَّ في المجتمع، وأن يحدث تبعًا لذلك توافق شامل، بحيث لا يكون هذا التوافق منحصرًا في دائرة المؤسسات السياسية أو الاقتصادية في المجتمع ـ والتي تعدُّ جزءًا محدودًا منه ـ بل يجب أن يكون هناك فهم مشترك بين الفئات والطبقات الاجتماعية كافة بالنسبة إلى الأمور المختلفة بشكل عام، ومسألة التنمية بشكل خاص؛ إنَّ عطف التدابير

التنموية نحو الأمر الاجتماعي ناظر إلى ضرورة إيجاد "الانسجام" والتناغم بين القوى الانضمامية الموجودة في المجتمع، ويدَّعي بأنَّ الأمر الاجتماعي هو الذي يُعيِّن الموضوع والغاية والقائم بالتنمية.

إنَّ الاتجاهات الانتقادية بالنسبة إلى مدعيات التنمية الغربية القادرة بفعل التداعيات الوجودية الناشئة عن تحقق النماذج التنموية سواء في بعدها الاقتصادي أو في النماذج السياسية الكامنة فيها، وحتى الأفكار ما وراء الزمانية وما وراء المكانية الميتافيزيقية للأمر الاجتماعي قد أفضت إلى تحوّلات في الفكر التنموي. إنَّ النظر إلى التنمية بوصفها أمرًا ثقافيًا، قد عمل على توجيه رؤيتنا المتفوقة المستقبلية التي تعبر حدود الزمان و المكان والتي كانت ملقاة من قبل الـ "الأنا" الغربية في فهم ماهية الأمر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ـ ولم يتمَّ رسم مسار الوصول إليها وإلى تحققها الخارجي إلاعن طريق خط استغرابي معيَّن، نحو "أمر اجتماعي" متعيِّن، ورقعة وطنية لم تربط المسار الماثل أمامها بمصير الـ "الأنا" الغربي بالضرورة.

يمكن اعتبار مفهوم التنمية وقد سعينا في هذه الدراسة ـ ضمن تقديم تقرير مختصر عن أنواع التحوُّل في دراسة أمر التنمية، وكذلك بيان الأبعاد النظرية المختلفة لمفهوم التنمية ـ إلى بحث عن الحقوق الإنسان مع هذا الأمر، وأن نسلك الخطوات الأولى في طريق معرفة وتدوين النظريات والنماذج المقترحة للتنمية القائمة على أساس الفكر الديني.

٢/ حقوق الإنسان في اتجاهات التنموية

بشكل عام، يمكن أن نذكر بعض الأمور الأساسية في حياة الإنسان، والتي من عبرها خلالها تتحدد حدود حقوق الإنسان المعاصرة؛ وهي تشمل "الشأن الاقتصادي"، و"الشأن السياسي"، و"الشأن الاجتماعي"، و"الشأن الثقافي"، ومؤخرا "الشأن الإنساني"، وهي تشكل في مجموعها خمسة متع للشؤون الحيوية للحياة الإنسانية في مجتمع ما، كلٌّ منها عبارة عن تَصوِّر تصور خاص للبشر حقوقهم. ويمكن القول

بأنَّ منهج المفكرين الاجتماعيين في الاعتراف بحقوق الإنسان في ظاهرة التنمية أنموذجاً يخضع أيضاً لهذه القاعدة؛ لقد عبرَّ بعضهم التنمية "مسألة اقتصادية" ونظموا أبعاداً أخرى لحياة الإنسان بعد جهود مفاهيمية استهدفتها؛ لقد ربط الكثيرون التنمية ليس بوصفها كمسألة اقتصادية بل بتحقيقها أو ما هي عليه بـ "مسألة سياسية" ويزعمون أنَّ التنمية يجب أن تعدَّ مسألة سياسية أولاً وقبل كلِّ شيء، وينبغي تحديدها وتفويضها في هيكل السلطة والحكم. وبعد التوصل إلى اتفاق واسع وتوافق في هذا المجال، ينبغي لهم التخطيط لتنظيم الركائز الأربع الأخرى للمجتمع من عبر خلال التركيز على التطورات من هذا النوع. يرى البعض أنَّ التنمية ليست مسألة اقتصادية ولا سياسية، بل هي "مسألة اجتماعية"، ويرون أنَّ التنمية عملية يجب الاتفاق عليها على المستوى العام للمجتمع، وليس فقط في مجال المؤسسات السياسية أو الاقتصادية للمجتمع والتي تعدُّ جزءًا محدودًا من المجتمع؛ وينبغي تخطيط الهوية وبناء المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية على أساس القضية الاجتماعية وما يتعلق بها؛ كما عدَّ بعضهم التنمية "مسألة ثقافية" وهي الطريقة الوحيدة للتعرف على اختلافات التنمية من مجتمع إلى آخر؛ ومؤخرا، عدَّ بعضهم ظاهرة التنمية قضية إنسانية، رتبوا من عبرها العلاقات الاجتماعية والهوية، بما في ذلك القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، تحت تعريف محدد للإنسان. وبهذا التعريف وبعد ذكر التطورات الجارية في دراسة التنمية وتوضيح الأبعاد المطلوبة لمفهوم التنمية سنبين بوضوح ما نعنيه بمناهج التنمية حتى يمكن صياغة التجربة التنموية في التعامل مع حقوق الإنسان على أساس ذلك .

٣/ العلوم الاجتماعية الغربية وإشكالية "التنمية" في الغرب؛ أزمة الإنسان ومجال حقوقه

يمكن إحصاء دراسات التنمية من عبر خلال أعمال وأفكار مفكري الاقتصاد والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية وغيرها من مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية كالفلسفة، لكن لا يمكن فئتها وتصنيفها بسهولة؛

وهذه الأعمال لها اختلافات وتشابهات مع بعضها البعض من حيث الأسس المنهجية والنظرية. ومنذ البداية، ارتبطت دراسات التنمية بشكل مستمر بمفاهيم أخرى مثل "النمو الاقتصادي"، و"السلطة السياسية"، و"الوضع الاجتماعي"، و"الهوية الثقافية"، و"الكرامة الإنسانية". وسنستعرض في هذا القسم تطور الفكر التنموي بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمعرفية.

أ. التنمية بوصفها مسألة اقتصادية ومواجهتها لحقوق الإنسان

هذا الموقف يدعو إلى تنمية منظمة تقوم على "الثروة" وكيفية نموها في المجتمع؛ لقد ربط العقبات التي تعترض التنمية والقضايا ذات الصلة بالقضايا الاقتصادية للمجتمع واقترح بشكل أساس حلولاً موجهة نحو الاقتصاد بوصفة وسيلة للخروج من التخلف. لقد أنتج المفكرون الاقتصاديون في الدول الغربية، من عبر خلال تجميع المؤشرات لتقييم مثل هذا الوضع، وخاصة في التعامل مع منظور قضايا التنمية في المناطق "الأخرى" غير الغربية وغير الأوروبية، وخاصة في آسيا أو أمريكا اللاتينية، مواد مهمة، بما في ذلك أعمال والت روستو (روستو، ١٩٦٠) وألبرت هيرشمان (هيرشمان، ١٩٥٨). على الرغم من أنَّ المؤرخين الاقتصاديين قد اهتموا بعواقب تجربة التصنيع للدول الغربية في المجتمعات غير الغربية، فقد تناول الاقتصاديون أسئلة عن استراتيجيات التنمية والتخطيط، وتدويل الثروة الوطنية والتنمية، وقضايا نقل التكنولوجيا، واقتصاديات التنمية الزراعية، والاستثمار في الزراعة. العالم الثالث وما شابه ذلك من أهداف أخرى غير الأهداف الداخلية لدول المقصد. إنَّ الموقف من التنمية في العلوم الاقتصادية الحديثة، المبني على طبيعة الرؤية والمنهج الذي يحكم هذا المجال، قد تم دمج مع نظرة كمية قابلة للقياس بمؤشرات رقمية، ومع منهج تطوري وخطي ومقياسي يحدد مدى التطور أو التطور. ويقاس الافتقار إليه بمقدار الثروة والدخل والنمو الاقتصادي للمجتمع

مقارنة بالمجتمعات الأخرى. (bernstein, (ed) (1973), p, 13) ومن عبر خلال هذا القياس العددي، يُقدر مستوى الرخاء أو الفقر في المجتمع. ولعل التنمية من وجهة النظر هذه يمكن النظر إليها على أنَّها تحقيق نمو اقتصادي مرتفع ومستدام من عبر خلال التصنيع المبني على المعرفة، والذي يهدف إلى توسيع رفاهية النوع البشري، وليس شخصاً معيناً، أو مجتمعاً متميزاً، وبمؤشرات مثل زيادة الثروة والدخل بما يتناسب مع عدد سكان المجتمع. (راجع: هاتنا، ٢٠١١، ص ٨١-٨٠؛ بيتر، ٢٠١٢: الفصل ٢، ص ٣٩) ومن أهم المفكرين الذين نظروا إلى التنمية من منظور اقتصادي: آدم سميث، كارل ماركس، كين، هاملتون، فريدمان. وأشار ساموبلسون، ومؤخرًا ديفيس، ودوغلاس نورث، ولوكاس، ورومر، وبارو.

ولا يوجد في الأدبيات مقاربة اقتصادية لتنمية رؤية واحدة للرجل الاقتصادي. ويُنظر إلى الإنسان بشكل عام على أنَّه أداة لتحقيق الثروة، وستكون استفادته من هذه الثروة بالقدر الذي يحدده السوق. وفي هذا النهج، يفترض أنَّ الفاعلين الاقتصاديين لديهم احتياجات يجب تلبيتها. وفي الوقت نفسه، يواجهون أيضًا نقصًا في الموارد وليس من الممكن تلبية جميع الاحتياجات. ولذلك، يسعى الجميع إلى زيادة ثروتهم، في حين أنَّ الجميع لا يتمتعون بنفس الشروط لاكتساب الثروة.

ب. حقوق الإنسان في إتجاة التنمية بوصفها مسألة سياسية

لقد وصل مسار الفكر التنموي إلى حدٍّ أنَّه إضافة إلى التخطيط الاقتصادي ومراقبته، أصبح الاهتمام بالمؤسسات السياسية الفعالة في هذا المجال ضرورة أساسية، يحصل من عبر خلال دعم البناء الرسمي للسلطة في المجتمع، من الممكن تعبئة وتعزيز الموارد البشرية والمواد اللازمة لذلك المجتمع؛ ولذلك، فإنَّهم في هذا الفهم للتنمية، تصوروا بشكل أساس مسألة "التنمية" على أنَّها "سياسية"، وصوروا نظام التنمية على أساس البناء الرسمي لـ "السلطة" وكيف تم عملية تكوينها وتدويرها وشرعيتها في مجتمع ما.

مجتمع؛ لذلك، تمت الإشارة إلى العقبات التي تعترض التنمية والقضايا ذات الصلة إلى القضايا السياسية، وتم التفكير في الحلول الموجهة نحو السياسات بشكل أساس بوصفة وسيلة للخروج من التخلف. في هذا الوقت، ظهرت المتغيرات السياسية مثل المشاركة التنافسية، والديمقراطية، والتدفق الحر للمعلومات(**przeworski, 2004, p,14**)، والحد من سلطة الحكومة في التدخل (**baum and lake, 2003: pp. 333-347**)، والاستقلال النسبي للحكومة عن القوى الحاكمة الأخرى وأصحاب المصلحة في التنمية (هنتنغتون، ٢٠١٥: ص ٣٦-٣٧)، الحاجة إلى الاستقرار واعتماد سياسات متماسكة من أجل تحقيق التنمية (انظر: سوانت وإريك لين، ١٣٨٢: ص ٦٥)، وكانت النخبوية التنموية و... تعدُّ لا تقل أهمية عن المتغيرات الاقتصادية.

في الواقع، على الرغم من أنَّ هدف النهج السياسي للتنمية يركز على النمو الاقتصادي الموجه نحو الثروة، فإنَّه يدعي أنَّه لا توجد تنمية اقتصادية ممكنة دون تنمية سياسية؛ ولذلك فإنَّ اتجاه مجالات العلوم الإنسانية المعاصرة التي تتزايد فيها جوانب التداخل بين التخصصات، أدى إلى أبعاد البحوث التنموية عبر الجمع بين مكونات "السياسة" و"الاقتصاد" مع بعضها البعض، مما أدى إلى توسيع نطاق البحوث التنموية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية. والسياسية. على سبيل المثال، أدى خلق سياق للتفكير في مكانة السياسة في التنمية الاقتصادية إلى توفير تركيز خاص على فئة الحكومة لكونها النقطة المحورية للاقتصاد السياسي.

(راجع: دلفروز، ٢٠١٣: ص١١)؛ وفي هذا التطور النظري اختزلت الحكومة إلى فئة السياسة والاقتصاد، إلى ظاهرة السوق، وبرزت الحكومة إلى الواجهة بوصفها متغيراً مستقلاً مؤثراً في البنى والنظام الاقتصادي بين قوى المجتمع المتعددة. ; وفي ظل هذا الموقف من التنمية في سياق التطورات الدولية المتأثرة بأدب التبعية والمدرسة الشرقية، ظهرت نظرية "النظام العالمي" للرشتاين، وتناولت مجمل النظام العالمي في

ثلاث طبقات: المركز، وشبه المحيط. والأطراف، وكيف تتغير، ومؤخراً، مع تأثير عدم كفاءة مثل هذا الموقف الذي يتجاهل القدرات المحلية والوطنية للدول، شكلت اسم "الدراسات الوطنية في نموذج النظام العالمي". لا يزال البحث ذو النهج الاقتصادي هو السائد. ومع هذه التطورات المستمرة في تطور الفكر، نرى اهتمام مفكري العلوم الإنسانية والاجتماعية بالبنى الاجتماعية الأخرى لتحقيق التنمية، وهو ما سنتحدث عنه بمزيد من التفصيل.

ج. حقوق الإنسان في إتجاة التنمية بوصفها مسألة اجتماعية

إنَّ تحويل إجراءات التنمية إلى القضية الاجتماعية يرى ضرورة خلق "تماسك" بين القوى الملموسة الموجودة في المجتمع ويدعي أنَّ القضية الاجتماعية تحدد موضوع التنمية وهدفها وعاملها. لذلك، فإنَّ الهياكل الاقتصادية والسياسية للمجتمع وكذلك الفاعلية البشرية في شكل طبقات اجتماعية ومجموعات وأفراد بشريين تندرج تحت عنصر "النظام الاجتماعي" الذي يشير إلى "التماسك" و"الوحدة" الناتجة عن الإجماع العالمي، تعدُّ "الفوضى" و"التفكك" التي عدّتَ وسيلة للخروج من الهيمنة البنيوية السياسية أو الاقتصادية في المجتمعات الحديثة، ويتم نظر إلى درجة النجاح في تحقيق نمط معين من التنمية في ضوء مثل هذا الوضع؛ وقد اهتم مفكرو العلوم الاجتماعية مثل كارل ماركس، وفرديناند تونس (تونس، ١٩٥٧)، وإميل دوركهايم (إميل دوركهايم، ١٣٨١) إضافة إلى بعض الكتاب الآخرين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بتطور مثل هذه النظرة لتطوير الخدمات. وهو تطور التفكير الاستراتيجي، مما أدى إلى التركيز على المزيد من المكونات النظرية، أيْ: التفكير في العقليات التي تحكم التنمية؛ وقد حاولت مجموعة من مفكري التنمية الغربيين، متبعين موقف المفكرين مثل ماكس فيبر وتأكيده على التخصص البنيوي وعلمنة المؤسسات الاجتماعية بوصفها حلولاً كحلول تنموية، تعميق هذا الموقف في فضاء العلوم الاجتماعية؛ من بينها، يمكننا أن نذكر آيزنشتات

(آيزنشتات، ١٩٦٦). وقد أدى تالكوت بارسونز (بارسونز، ١٩٧٤ و١٩٧٨) دورًا مهمًا في الترويج للكثير من هذه المادة في الولايات المتحدة وصياغة جديدة للجهود المفاهيمية لمنظري التنمية بوصفها ظاهرة اجتماعية. وبناءً على منهج بارسونز، درس بعضهم التنمية وعلاقتها بالآراء والقيم والسمات الشخصية؛ بما في ذلك باي (باي، ١٩٦٢ و١٩٦٥)، ليرنر (ليرنر، ١٩٥٨) وأليكس إنكلز (إنكلز، ١٩٧٤). كما أكد بعضهم على أهمية المؤسسات ذات التوجه الجماهيري في عمليات التنمية، سواء كانت مؤسسات محددة مثل البيروقراطية (انظر: آيزنشتات، ١٩٦٦) أو العلاقة المتبادلة بين مؤسسات المجتمع. (على سبيل المثال انظر: ألموند، ١٩٦٤؛ وأبتر، ١٩٨٧).

وفي غضون ذلك، فإنَّ أحد هذه التيارات الدراساتية المتعلقة بالتنمية بوصفها مسألة اجتماعية هي مدرسة التبعية، التي تحول نظرتها من مسألة النظام الداخلي وتماسك القوى المنتجة في المجتمع إلى فئة "الهيمنة" الأجنبية. والاستعمار الناتج عن ذلك، هو رد فعل على الانتفاضة التي تحاول الدول غير الغربية إيجاد نموذجها التنموي المثالي. وفي بعض الأحيان كان الاعتماد على إنجازات هذه المدرسة من قبل دول آسيا وأمريكا اللاتينية قد خلق أرضية تجعل من الصعب إحصاء المفكرين المرتبطين بها؛ لكن السمة الأهم لمثل هذه الفكرة الناشئة في فضاء الفكر التنموي الاستراتيجي هو التركيز على مفهوم الصراع الطبقي والطبيعة السياسية والاجتماعية لعلاقات الإنتاج الاقتصادية في المجتمع، والتي تتطلب "نظاماً اجتماعياً" متميزاً. للمجتمعات المستقلة القائمة من الأفكار الغربية المهيكلة. (راجع: كاردوزو وفالتو، ١٣٥٩: ١٧). هذا الفهم للتنمية لا يشمل مفاهيم مثل: الاستعمار الجديد، والإمبريالية، والتخلف، والمركز والأطراف، وما إلى ذلك؛ يعتقد هذا النهج المناهض للتنمية بمعناه الغربي بمنظور إنساني أنَّه يجب التحقيق في المبادئ الأساسية المخفية في النظم الاجتماعية المهيكلة القائمة وكشفها وتوضيح التيارات الأساسية التي تشكلها. إنَّ النهج النقدي للتنمية يعطي الأصالة

للإنسان الاجتماعي الكاشف والمتغير، ويرى أنَّ التماسك والنظام الاجتماعي المنشود يجب أن يهدف إلى تحرير الإنسان من أغلال الهيمنة وعلى أساس القيم الاجتماعية الصحيحة.(Neuman, Lawerenc, 2000) ومن الخبراء في هذا المجال نذكر أندريه جوندر فرانك (فرانك، ١٩٧١)، وباران، وسويزي، والمدرسة البنيوية للتنمية مثل باربيش، وفورتادو، وسمير أمين، وغيرهم. إضافة إلى التنظير لفئة التطوير، تم أيضًا تشكيل دراسات ثانوية ونقدية تركز على التفكير المتطور. ومن عبر خلال انتقاد وجهات النظر القائمة التي ترجع تاريخ تطور الفكر في العلوم الاجتماعية إلى السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، فإنَّهم يعتقدون أنَّ الدراسة الدقيقة تظهر أنَّ مفهوم التنمية وحتى نظريات التنمية، بغض النظر عما إذا كنا نعدُّ التقدم هو هدفه أم لا. الجذر أم لا، نعود إلى أوائل القرن التاسع عشر وسوف يعود. (Esteva, Gusta-vo. 2010, p: 5) إنَّ إظهار النقطة التي مفادها أنَّ النهج البنيوي والكلي قد أضافا التطورات التاريخية للتنمية مع نهج موجه نحو السياسات إلى أدبيات التنمية يمكن عدَّه نتيجة لهذا النهج الناشئ في التنمية.

ويعتقد البعض أنَّ التنمية بمعناها العام تشير إلى العملية التي من عبرها خلالها يمكن لظاهرة أو كائن أن يكشف ويحقق قدراته الكامنة للوصول إلى شكله النهائي والكامل. إنَّ التغيير الإيجابي، والانتقال من البساطة إلى التعقيد، ومن النقص إلى الكمال، ومن السيئ إلى الجيد، كلها مفاهيم مخفية في التنمية لا يمكن الهروب منها حتى اليوم. ولذلك تعدَّ التنمية في نظر هؤلاء مفهوماً ناشئاً عن علم الأحياء الذي دخل العلوم الاجتماعية بالمعنى المذكور بين عامي ١٧٩٥ و١٨٥٩م. **(esteva, ibid: p, 4)** لقد عدَّ بعضهم أنَّ التنمية هي جهود مقصودة تهدف إلى التقدم في مختلف شرائح المجتمع **(thomas, 1992 p,7)**؛ ويرى البعض أنَّ التطور في علم الاجتماع ظهر بوصفة علماً يمكن أن يعيد النظام إلى عالم أوروبا الفوضوي سريع التغير في ذلك الوقت. **(bar-**

(nett, tony, 1988, p, 5-6) وبهذا التعريف يقول برنشتاين في كتاب "التخلف والتنمية": "إنَّ فكرة التنمية كتحول تدريجي للمجتمع وجدت شكلها الحديث في كتابات مؤسسي العلوم الاجتماعية". **(bernstein, henry (ed) (1973), p, 13)**

كما أنَّ بعض علماء الاجتماع المعاصرين الذين لديهم نهج نقدي للتحديث بموضوعات مثل "المجتمع المحفوف بالمخاطر" (بيك، ١٩٩٢)، "العالم المضطرب" (معلوف، ٢٠١٣)، "اغتراب الإنسان الحديث" (بابنهايم، ٢٠١٧) و.. لقد أعربوا عن استيائهم ومخاوفهم بشأن العالم الحديث.

د. حقوق الإنسان في مقاربة التنمية بوصفها مسالة ثقافية

تعزيز التوجهات النقدية تجاه مطالب الغرب التنموية بسبب التبعات الوجودية المترتبة على تحقيق أنماط التنمية، سواء في وضعه الاقتصادي أو في الأنماط السياسية المضمنة فيه، وحتى الأفكار الميتافيزيقية والزمنية للمسألة الاجتماعية، أدى إلى تطورات في تطوير التفكير الاستراتيجي؛ النظرة إلى التنمية بوصفها شيئاً ثقافياً، مواقف "نحن" المتعالية الهاربة من الزمان والمكان، والتي ألقتها "الأنا" الغربية في استنباط ما هو الشيء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والطريق للوصول إليه و تحقيقها الخارجي من عبر خلال "خط" محدد من التغريب، دفع الصورة غير المرسومة نحو "مسألة اجتماعية" محددة وإقليمية ومحلية لا تربط بالضرورة طريقها إلى الأمام بمصير "نحن" في الغرب. ولذلك فإنَّ ربط الأمر الاجتماعي، الهارب من الزمان والمكان السابقين، بمسألة الجغرافيا والبيئة، أدى إلى نشوء المادة الثقافية. إنَّ تناول الأبعاد والقضايا المتعلقة بـ "هوية" مثل هذا الشخص من أجل تحقيق نمط معين من التطور جعل الرأس ينحدر من السماء الغربية إلى الأرض غير الغربية وليس فقط إعادة قراءة قدرات " "الذات" ولكن أيضًا لإيجاد طريقة "للعودة" إلى مثل هذه الذات أسهمت عوامل عديدة في مثل هذا "التحول". نهاية الحرب الدولية الثانية، وعدم كفاءة وجهات النظر الاقتصادية والسياسية الشاملة للتنمية

والحاجة إلى إعادة بناء فكر التنمية أثرت على عملية التفكير التنموي العالمي؛ ومع حدوث "ثورة اللغة"، أدت أهمية مكانة الإنسان ومتطلباته الوجودية والمعرفية والثقافية إلى ظهور رؤية أخرى للتنمية، ليس بالضرورة أن تكون ذات لون غربي؛ ولذلك، فإنَّ عملية التفكير التنموي، حسب رأيهم، لم تتبع دائمًا مسارًا أحادي الاتجاه من الحضارة الغربية إلى الحضارات غير الغربية وتعزيز نهج التحديث. بل في نفس المجتمعات الغربية مثل المجتمعات "النامية" أو "الجديدة" أو "المتخلفة" أو "الناشئة"، تفاعلوا مع النظرة الغربية لحالة التنمية في بلدانهم وعاشوا نموذجا محددا للتنمية.

وبهذا الوصف، فتحت الانتقادات الموجهة لعملية التنمية السياسية والاقتصادية في مجال الحكم، المجال أمام مقاربات جديدة للتنمية؛ إنَّ أعمال المفكرين مثل إيفان إيليتش وليوتارد ودريدا وبولاني وفوكو هي الأساس للانتقال من واقعية الأنظمة الاقتصادية أو السياسية الغربية الميتافيزيقية والإنشاءات والأسس ومواقف الخط الواحد السابقة تجاه التنمية نحو ما بعد البنائية وكسر الأساس والانتقادات القائمة على الثقافة تجاه مسار التنمية المقدمة بمعنى آخر، إنَّ منهج ما بعد التنمية هو نتيجة الانتقادات المختلفة للتجربة المحققة للتنمية ذات التوجه الغربي من منظور "الهوية" و"المجال الثقافي المستقل" للمجتمعات مقارنة بـ "الثقافة الغربية"، والتي نفذت أكثر من أيِّ شيء آخر من قبل الحكومات الرسمية؛ وبعبارة أكثر وضوحا، فإنَّ جذور هذه الفكرة تمتد إلى نموذج الدولة القومية الغربية. إنَّ مرحلة ما بعد التنمية هي نتاج انتقادات متعددة للتنمية في مجالات: ١) المنطق الاقتصادي للنمو والتقدم؛ ٢) العمومية والأوروبية؛ ٣) تدمير الطبيعة وزيادة الصناعة؛ ٤) الناس ونمط تطوير القيادة. (يوسفوند، ٢٠١٥، ص ٤٣) مما يضعه على أنَّه جهد يبذله الساحة العامة غير الحكومية نحو خطط التنمية التي نفذتها المنظمات الدولية والحكومات الوطنية بشكل سلطوي ومن فوق في المجتمعات الإنسانية، هذا النموذج من التنمية التطوير

عملياً حصل بأمر من الحكومة وبنظرة رسمية. وبعبارة أخرى، كان نهجهم من الأعلى إلى الأسفل أو آليًا. هذه البرامج هي الوصفة والتحليل لحزم النمو والتنمية الغربية التي سبق تجربتها. تجاهل المعرفة المحلية، والفجوة الكبيرة بين أهداف البرامج وخصائص الأشخاص الخاضعين لها، والجهل وتجاهل القيم والأعراف المحلية من قبل المسؤولين التنفيذيين الحكوميين، وسوء الإدارة والفساد الإداري هي من عوامل فشل الحكومة برامج التطوير. في النهج الدولتي للتنمية، لا يُسمح بالمشاركة الحقيقية ولا تتسق بالضرورة مع توجيهات الحكومة وسياساتها. هذا هو المكان الذي يحصل فيه التشكيك في جهود الحكومات في مجال التنمية من قبل أنصار ما بعد التنمية تنتقد أساليب الحكم. ومن ناحية أخرى، فإنَّ قضية الحكم الرشيد والقطاع الجديد، مع الإعداد والدوافع الإنسانية باسم القطاع الثالث أو المنظمات غير الحكومية، تحظى باستحسان شعبي. ويتمتع هذا القطاع الناشئ برأس مال تفتقر إليه الحكومات إلى حد كبير، ألا وهو المعرفة المحلية والمحلية. (عنبري ١٣٩٠: ١٤٧-١٤٨)

وبحسب ما قيل؛ إنَّ أدب التنمية بوصفة شيئاً ثقافياً مليء بمجموعة من الشكوك الناعمة أو الصلبة تجاه مشروع التنمية، مع أنشطة أشخاص مثل رينجر، غاندي، إستوا، روزينا، إسكوبار، راهناما وبورتس، بالمر، يابا، ليمان، أغراوال.، اناكلتي و... كان لقد كان التطور في هذا الموقف تهديدًا لاستقلال وحرية العالم غير الغربي وسببًا للإحباطات الإنسانية. ولذلك يرى بعضهم أنَّ "التنمية تشكل تهديدا لاستقلال الإنسان... ولا ينبغي النظر إلى نهاية التنمية على أنَّها نهاية البحث عن تغييرات جديدة، فنهاية التنمية تعني نهاية النهج المدمر والثنائي القطب والميكانيكي والاختزالي واللاإنساني للتغيير" (رهنما، ١٩٩٧: ٩) بشكل عام، أفكار إسكوبار وغيرها من مناهج ما بعد التنمية، والتفكير، وقد تم وُضِع نقد التنمية والغرب في قلب مناقشات التنمية؛ بحيث تشكلت الأفكار الهدامة وما بعد التنموية في تطور المجتمعات البشرية.

وبحسب من يؤمنون بمرحلة ما بعد التنمية، فإنَّ العالم والتاريخ ليسا استمرارية عمليات بنيوية، بل شهدا نوعا من التفكك مع تعقيدات بنيوية. إنَّ وجهات النظر البنيوية عن التنمية تسعى إلى تحرير الإنسان في التقدم واستخدام قدرات ومرافق هذا العصر (الحديث). في حين أنَّ عملية التنمية تعدُّ من وجهة نظر ما بعد البنيويين (أو ما بعد التنمية) نوعًا من استراتيجية تعزيز السلطة والسيطرة الاجتماعية الحديثة على الأمم والجماعات والشعوب. (عنبري، ١٣٩٠: ١٦٧)

ويرتكز النظام المعرفي لهذا الفهم للتنمية على مكونات ثقافية مثل: الاهتمام بالمعرفة الأصلية، والنظرة الهدامة للتنمية الغربية للعالم الثالث، وعالم ما بعد الغرب، والتعددية العالية، والحياة البسيطة، والعالم غير الرأسمالي، وغيرها. (رهنما، ٢٠١٧) ومن هذا المنظور فإن "ثقافة" الغرب بحد ذاتها مشكلة يجب تجنبها؛ ولذلك، فهي "ترفض طريقة التفكير وأسلوب الحياة التي خلقها التطور الحديث، بهدف إحياء تصورات الثقافات والفلسفات غير الحديثة وغير الغربية. من وجهة النظر هذه، "إنَّ التطور الغربي الحديث مدمر وليس بناء ويجب معارضته بدلاً من الترحيب به" (بيت، ١٩٩٩) لم يكن فقط معيقًا، بل في بعض الحالات جعلهم أسوأ. "إنَّ التنمية هي أيديولوجية ولدت في الغرب ونضجت هناك، ويرجع ذلك أساسًا إلى حاجة القوى المهيمنة إلى البحث عن أداة مناسبة لتوسعها الاقتصادي والجيوسياسي" (Ezkia et al., 2009: 381). لقد كانت التنمية مشكلة وليست حلاً (بيت، هارتويك، ٢٠١٤: ٢١٧).

٤/ الإنسان المتعالي في سياق نماذج التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية بناءً على تعاليم الإمام علي عليه السلام

مفهوم الإنسان المتعالي، المستمد من تعاليم الإمام علي عليه السلام، يُمكن دراسته في أبعاد متعددة تشمل نماذج التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية. تؤكد تعاليم

الإمام علي دمج الروحانيات والأخلاق في جميع جوانب الحياة، مما يُمكن عدَّه مبدأً توجيهيًا لتحقيق النمو المتعالي للإنسان.

أ. التنمية الاقتصادية

أكد الإمام علي ﷺ في المجال الاقتصادي العدالة الاجتماعية، والتوزيع العادل للثروة، ومسؤولية الحُكومة تجاه الفقراء. كان يُدين تراكم الثروة بلا حدود واستغلال البشر، مؤمنًا بأنَّ الاقتصاد يجب أن يخدم تلبية الاحتياجات الأساسية للمجتمع وتقليل التفاوتات.

الاقتصاد الأخلاقي: تدعم تعاليم الإمام علي ﷺ العدالة والسلوك الأخلاقي في الأنشطة الاقتصادية، بما في ذلك الممارسات التجارية العادلة، والصدق في المعاملات، والتوزيع العادل للثروة.

رفاهية المجتمع: يجب أن تهدف السياسات الاقتصادية إلى تحقيق رفاهية المجتمع، وضمان تلبية احتياجات المحرومين، وتداول الثروة لتجنب التفاوتات الحادة.

عدالة توزيع الموارد: في الرسالة الشهيرة للإمام علي إلى مالك الأشتر (حاكم مصر): "إِيَّاكَ أَنْ تُخَصَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله خَاصَّةً... وَاجْعَلْ للهِّ حَظًّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ" تُظهر هذه العبارة رؤيته في ضرورة الشفافية والإنصاف في توزيع الموارد العامة. أيام حكمه، استعاد الإمام علي الأراضي العامة التي احتُجزت ظلمًا لدى الأثرياء ووزعها على الناس، مما يعكس نضاله ضد الاحتكار الاقتصادي.

مسؤولية الحُكومة تجاه الفقراء: آمن الإمام علي ﷺ بأنَّ الحُكومة مُلزمة بتوفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة لجميع المواطنين. في رسالته إلى مالك الأشتر: "وَاتَّقِ الله فِي الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ... فَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ". يجب أن تركز السياسات على حماية كرامة الضعفاء وضمان مشاركتهم العادلة في ثروات المجتمع، انطلاقًا من مبادئ الإمام علي ﷺ في العدالة والرحمة.

حتى في سنوات المجاعة، كان الإمام علي عليه السلام يُجاهِدُ الجوع بنفسه ليتضامن مع الفقراء. يعدُّ هذا النهج نموذجًا يُحتذى به في السياسات الرفاهية المعاصرة.

تشجيع الإنتاج والزراعة: عدَّ الإمام علي عليه السلام عمارة الأرض وازدهار الزراعة دليلًا على حُكم عادل. في عهده، أُعيد إحياء شبكات الري، وضُبِطَت الضرائب بعدالة لتخفيف العبء عن المزارعين. كما دعم التجارة النزيهة، لكنه أدان بشدة الربا والاحتكار.

هـ. التنمية السياسية

انبنت سياسة الإمام علي عليه السلام على الأخلاق والمساءلة أمام الشعب ومحاربة الفساد. لقد رأى أنَّ شرعية الحُكم لا تأتي من القوة، بل من رضا الشعب والالتزام بالعدالة.

الحُكم كأمانة: في خطبته الشهيرة "الشقشقية"، يقول الإمام علي عليه السلام: "لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ... لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا". تُظهر هذه العبارة أنَّه عدَّ الحُكم أمانة إلهية-شعبية، وليس أداة للطمع في السلطة. كان يُؤكد دائمًا ضرورة مشاورة الناس، وحتى في الحروب، كان يستطلع آراء الجنود.

محاربة الفساد والتمييز: في الأيام الأولى لحُكمه، عزل الإمام علي عليه السلام جميع الولاة السابقين المتهمين بجمع الثروات غير المشروعة. وقد أوصى مالك الأشتر قائلًا: "إِيَّاكَ وَاسْتِعْمَالَ الْحَرِيصِ وَالْجَبَانِ... وَأَسْنِدِ الْأُمُورَ إِلَى أَهْلِهَا". يعدُّ هذا النهج اليوم أساسًا لمحاربة الفساد الإداري واعتماد مبدأ الجدارة.

حقوق المُعارضين: على رغم من المعارضة الشديدة من جماعات مثل الخوارج، كان الإمام علي عليه السلام يُصرُّ على حقوقهم المدنية، ولم يتعامل معهم بعنف إلا عند لجوئهم إلى السلاح. يعكس هذا النهج احترامًا للتعددية السياسية.

العدالة والحوكمة: أحد الجوانب الأساسية في تعاليم الإمام علي عليه السلام هو مفهوم العدالة المُقدَّس. يتطلب ذلك تنفيذ سياسات عادلة ومنصفة تدعم حقوق جميع الأفراد وتعزز المصالح العامة.

القيادة والمسؤولية: يُتوقع من القادة أن يعملوا بصدق ومساءلة وشعور بالمسؤولية تجاه شعوبهم. يهدف هذا النهج المتعالي في القيادة إلى جسْر الفجوات السياسية وإحداث تغييرات طويلة الأمد.

السيادة والإدارة: اتسم حُكم الإمام علي ﷺ بوضع معايير أخلاقية في اختيار وتعيين المسؤولين، مع التركيز على الخبرة والصدق والموثوقية والالتزام بالمبادئ الإسلامية. هدَف هذا النهج إلى حماية الخزينة العامة وضمان حُكمٍ مسؤول.

إدارة النزاعات: وضع الإمام علي ﷺ أيام خلافته قوانين وإجراءات تحكُم الحروب، والتي أثَّرت على القانون الدولي الإنساني. تعدُّ مبادئه في النزاعات المسلحة غير الدولية أساسية ولا تزال ذات صلة.

و. التنمية الثقافية:

التماسك الثقافي: تُعزز تعاليم الإمام علي ﷺ فكرة التماسك الثقافي واحترام التقاليد المتنوعة، وهو أمر ضروري لبناء مجتمع متناغم تُقدَّر فيه الخلفيات الثقافية المختلفة وتحافظ عليها.

التعليم والمعرفة: يُؤكد السعي نحو المعرفة بتركيز على فهم القيمة الحقيقية للأشياء والذات في ارتباطها بالعالم. يشجع هذا النهج الثقافي على التعلم المستمر والنمو الفكري.

ثقافة الإمام علي ﷺ تقوم على تعزيز القيم الأخلاقية والحكمة والحفاظ على الهوية الدينية.

نشر الأخلاق والروحانية: في الرسالة ٣١ من نهج البلاغة إلى الإمام الحسن ﷺ، يرى الإمام علي أنَّ الأخلاق هي أساس سعادة الفرد والمجتمع، ويقول: "أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ... وَأَدِّبْ نَفْسَكَ بِالتَّفَكُّرِ".

التفاعل مع الثقافات الأخرى: على الرغم من تأكيده على الهوية الإسلامية، كان الإمام علي ﷺ يُعامل أتباع الديانات الأخرى باحترام، واتخذ نهجًا تفاعليًا مع الثقافات غير الإسلامية. في حُكمه، سمح للمسيحيين واليهود بممارسة طقوسهم الدينية بحرية.

الفن والأدب: كلمات الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة هي مزيج فريد من الفلسفة والأدب والعرفان. كان يرى أنَّ الشعر والأدب يجب أن يخدما تربية الإنسان، وقد نظم هو نفسه قصائد ذات مضامين أخلاقية.

العدالة والمسؤولية الاجتماعية: آمن الإمام علي عليه السلام بأنَّ تحقيق نتائج اجتماعية عادلة يتطلب أدوات وإجراءات عادلة. وأكد أنَّ كلاً من الحُكومة والأفراد مسؤولون عن تقليل الظلم الاجتماعي-الاقتصادي.

الدعم وإعادة التوزيع المجتمعي: جمع الثروة وإعادة توزيعها (المُشار إليها بـ "مال الله" أو "حقوق الأئمة الأطهار") كانا ركنين أساسيين في الإطار الاجتماعي. مكَّن هذا النظام الإمام من إظهار الكرم وبناء جسور التواصل مع المجتمعات البعيدة.

ز. التنمية الاجتماعية:

رأى الإمام علي عليه السلام أنَّ المجتمع المثالي هو المجتمع الذي تسود فيه الكرامة الإنسانية والمساواة والتضامن الاجتماعي.

المساواة بين البشر: أظهر الإمام عمليًا أنَّه لا فرق بين عربي وغير عربي، أو حر وعبد. عند توزيع أموال بيت المال، كان يُعطي الجميع حصصًا متساوية، قائلًا: "أَتَأْمُرُونَنِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟!"

الاهتمام بالنساء والأطفال: في وصيته للإمام الحسن عليه السلام، ذكَّر الإمام علي بحقوق الجار والأيتام والنساء. حتى في الحروب، حرَّم قتل النساء والأطفال.

التعليم والتوعية: عدَّ الإمام العلم حياة المجتمع، وقال: "لَا كَنْزَ كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ". وأكَّد تأسيس مراكز تعليمية ونشر القراءة والكتابة في المجتمع.

الأخلاق الاجتماعية: تركَّز تعاليم الإمام علي على أهمية الأخلاق الاجتماعية كالرحمة والتعاطف والاحترام المتبادل. هذه القيم أساسية لبناء مجتمع متماسك وداعم.

الرفاهية الروحية: دمج الرفاه الروحي في التنمية الاجتماعية أمر حيوي. يتضمن ذلك تعزيز نمط حياة يوازن بين الاحتياجات المادية والروحية، ليؤدي إلى رضًا عامًّا وسعادة شاملة.

التعالي والتنمية البشرية: النهج الشمولي: الإنسان المتعالي في رؤية الإمام علي هو مَنْ يدمج الجوانب الروحية والأخلاقية والعملية في حياته. يضمن هذا النهج الشمولي نموَّ الأفراد بطريقة متوازنة ومتكاملة.

التعالي الجَمَاعي والفردي: التعالي الفردي (تهذيب النفس) والتعالي الجَمَاعي (تنمية المجتمع) مرتبطان ضروريًا، لكن الأولوية غالبًا للتعالي الجَمَاعي؛ لأنَّه أساس النمو الفرديـ. پيوند ابعاد چهارگانه توسعه

رأى الإمام علي عليه السلام أنَّ التنمية هي عملية مُتكاملة تَتكامل فيها الاقتصاد العادل، والسياسة الأخلاقية، والمجتمع المتماسك، والثقافة الأصيلة. فعلى سبيل المثال، كان يرى أنَّ تحقيق العدالة الاقتصادية مستحيلٌ دون تعزيز ثقافة المسؤولية اجتماعيًا.

٥/ الخلاصة والاستنتاجات

إنَّ عدَّ التنمية قضية إنسانية يمكن عدَّه عودة إلى الجذور الإنسانية للحياة الاجتماعية؛ في الأساس، لم يقتصر الأمر على عدَّهم مسألة "التنمية" مجرد "إنسان" وطالبوا "بالنظام" ونمط التنمية القائم على "الإنسان"، بل إنَّ مثل هذا الموقف مستقل عن العلاقات الاقتصادية (أو الكمية والكيفية). الثروة الفردية والجماعية)، والسياسية (أو درجة المشاركة في البناء الرسمي للسلطة)، والاجتماعية (أو درجة مراعاة المجموعات العرقية والدينية والعنصرية واللغوية لبناء التماسك الاجتماعي للمجتمعات) والثقافية (أو مكونات بناءة ومقبولة للهوية الجماعية) أدخلت إلى مجال التفكير، لذلك، على الرغم من أنَّ الإنسان قد حقق عبر التفكير أنماطًا معينة من النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، إلا أنَّ تصوير معوقات التنمية والقضايا المرتبطة بها لا يرتبط ارتباطًا مباشرًا ولا على القضايا الاقتصادية، ولا على

التطورات السياسية أو الاجتماعية وحتى الثقافية، ولكن هذا هو "الإنسان" الذي سيحدد القضايا الأساسية والتوجهات العامة والخطوط التنفيذية للتنمية.

وكما لوحظ، فإنَّ دراسة التنمية ومواجهة كلٍّ منها مع حقوق الإنسان لها مجموعة واسعة من المناهج الرامية إلى تحقيق "دورتها العملية" في المجتمع المشكل؛ واختفت عدة عناصر "مشتركة" في معنى التنمية بمصطلحات مختلفة، مثل "التدخل المنظم"، في "الشؤون الجماعية" بهدف التغلب على "المعوقات" وقيادة "حركة" المجتمع نحو "التحسين" في الوضع الحالي ومع هذا الوصف، توجد عناصر "مختلفة" في التصورات المختلفة للتنمية؛ على سبيل المثال، يحصل تقسيم التدخل والتحسين التنموي "المناسب" و"اللائق" وفقًا لجوهر الإنسان، والهوية الثقافية الجماعية، والسياقات التاريخية والطبقية، وعلاقات القوة، وخلق الثروة في المجتمع؛ في بعض الأحيان، مع التطور، كان هناك لقاء نظري في مجال التفكير، الذي لديه بشكل رئيس خبراء في مجالات الفلسفة أو الفلسفات التكميلية؛ إنَّ اهتمامات هذا القطاع من المفكرين هي التفكير في ماهية التنمية، وهدفها، والمتطلبات المعرفية المرتبطة بها للمجتمع، مما يخلق صناعة تخطيط خاصة؛ وأحيانا يحدث هذا اللقاء في مجال نظام التخطيط، بما في ذلك رسم سياسات التنمية والتخطيط والتنفيذ ومراقبة تنفيذها، وهو الوسيط في مجال التداول والعمل التنموي.

يستند نموذج التنمية عند الإمام علي عليه السلام إلى مرتكزات أساسية هي: العدالة، الأخلاق، والإنسانية. يكتسب هذا النموذج أهمية متزايدة في عالمنا اليوم الذي يواجه أزمات اقتصادية حادة، وتراجعًا في الثقة السياسية، وانهيارات ثقافية. لقد أثبت الإمام علي أنَّ التنمية الحقيقية لا تكمن في النمو المادي فحسب، بل في الارتقاء الروحي والأخلاقي للمجتمع. تقدم تعاليم الإمام علي عليه السلام إطارًا شاملًا لفهم "الإنسان المتعالي" في سياق التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، مع تركيزها على:

العدالة بوصفها أساساً للحُكم والسياسات؛ السلوك الأخلاقي في كلِّ الممارسات الفردية والجماعية؛ التعلم المستمر لتعزيز النمو الفكري؛ دمج الروحانيات في جميع جوانب الحياة لبناء مجتمع متوازن ومتناغم. يمكن لهذه الرؤية الشاملة أن تكون منارةً لصانعي السياسات، تُلهمهم لتبني نهجٍ متكاملٍ يعزز التوازن بين الأبعاد المادية والمعنوية، ويُوجههم نحو تشكيل مجتمع عادل تُحفظ فيه كرامة الإنسان وتحقيق التضامن الاجتماعي.

المصادر والمراجع

العدالة الاجتماعية-الاقتصادية والفقر في نهج البلاغة

محسني چراغلو، ع. (٢٠١٥). مجلة الماليات والإدارة الإسلامية والشرق أوسطية الدولية، ٨(١)، ٢٠-٣٥.

شعبانلو، ك.س.، بهروزي، ن.، شهنيائيلق، م.، مقدّم، م.س. (٢٠١٩). مقارنة الذكاء الأخلاقي من منظور الإمام علي مع نظرية بربا مجلة أوبشن.

يوسف، س.ا.، بوديمان، م.ا.، أمين، ر.م.، التنمية والرفاه الشمولي بناءً على مقاصد الشريعة: حالة كاليمانتان الجنوبية، إندونيسيا

عابدين، ع. (٢٠١٩). مجلة التعاون والتنمية الاقتصادية.

خان، ف.، حنيف، م.ا. (٢٠٢٢). الاستجابات الدينية لأهداف التنمية المستدامة: منظور إسلامي؛مجلّةالاقتصادوالتمويلالإسلامي.

پايا، ا. (٢٠١٢). إعادة النظر في نظرية العدالة عند الإمام علي، مجلّة الدراسات الإسلامية الشيعية.

مرجا، م. (٢٠٢٥).الدين، قدسية الحياة البشرية، الأخلاقيات الحيوية، والتنمية: وجهات نظر معيارية وفقهية إسلامية قيم وتنمية إفريقيا: إعادة التفكير في أجندة ٢٠٦٣.